وصايا ومواعظ العلماء للأمراء

خالد سيد علي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصايا ومواعظ العلماء للأمراء

الطبعة الاولى

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

مكتبة دار التراث - الكويت
ص.ب ٣٤٢١٦ العديلية
الرمز البريدي 73253
هاتف : ٤٧٣٣٨٥٩

المقـدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد :

يقول الله تعالى : ﴿ وإذْ أخذَ الله ميثاقَ الذينَ أوتُوا الكِتَابَ لَتُبيِّنُنَّهُ للنَّاسِ وَلا تكتمُونَهُ ﴾[1] . ويقول الله تعالى : ﴿ إنَّ الذينَ يكتمُونَ مَا أنزَلْنَا من البيِّناتِ والهُدَى مِن بَعْدِ مَا بيَّناهُ للناسِ في الكتابِ أولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ الله ويَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴾[2] . ويقول الرسول ﷺ : « من كان عنده علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة »[3] .

ويقول الرسول ﷺ : « إنما الدين النصيحة ، قيل لمن يا رسول الله ؟. قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[4] .

انطلاقاً من هذه النصوص وغيرها أخذ العلماء على عاتقهم النصح والإرشاد كلما استطاعوا إليه سبيلاً ووجدوا له طريقاً ، همهم هداية البشر إلى طريق الحق والصواب وإرضاء لله ورسوله .

---

(١) آل عمران آية ١٨٧

(٢) البقرة آية ١٩٥

(٣) رواه أبو داود والترمذي في العلم وابن ماجة في المقدمة .

(٤) رواه البخاري ومسلم في الإيمان .

كما علموا أن الملوك والأمراء هم أولى الناس بأن تهدى إليهم النصائح ، وأحقهم بأن يخولوا بالمواعظ ، إذ كان في صلاحهم صلاح الرعية ، وفي فسادهم فساد الرعية. ولذلك كان الأولون يقولون : (صلاح الوالي خير من خصب الزمان) . وورد في الحديث : « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » .

وقالوا : (من غش الإمام فقد غش العامة ، وإن ظن أنه للعامة مناصح) .

وقال أحد الحكماء : (يجب من حق الله تبارك وتعالى على المرء التوحيد والطاعة ، ومن حق السلطان الود والنصيحة) .

وكان يقال : (من كتم السلطان نصيحته ، والأطباء مرضه ، والإخوان بثّه فقد خان نفسه) . ففي نصيحة السلطان نصيحة الكافة ، وفي نصيحة الكافة هداية إلى مصلحة العالم بأسره ، ونظام أمور الكل بجملته ، وعلى حسب ذلك يرجو باذلها لهم من الثواب العاجل والآجل وجزاء المحيا والممات .

إذاً فالنصيحة للوالي هي في الحقيقة نصيحة للرعية ، فإذا صلح أمر الحاكم صلح أمر المحكوم ، وإذا استقام أمر السيد استقام أمر المسود .

ولله در القائل :

لو صلح الراس واستقام إذن ... قام على العدل كل أساس

وقال غيره :

لا بد للشاة من راع يدبّرها ... فكيف بالناس إن كانوا بلا والي
وإن أضيف إلى الأذناب أمرهم ... دون الرؤوس فهم في حال إهمال

وقال غيره :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا
والبيت لا يبتنى إلا له عمد ... ولا عماد إذا لم تُرسَ أوتاد
فإن تجمع أوتاد وأعمدةٌ يوماً ... فقد بلغوا الأمر الذي كادوا

فلا بد لمن أودعه الله أمانة العلم والتبيين أن يبينه للناس وينصح لهم وخير

مكان تودع فيه النصيحة سيد القوم وأميرهم حتى يجد لنصيحته من يعمل بها ويقيم الناس عليها .

قال عمر رضي الله عنه : « رحم الله امرءاً أهدى إلينا مساوئنا » .

وأنت يا أخي المسلم حينما تنصح المسؤول وتوجهه إلى طريق الحق والصواب ليس في هذا تنقيصاً له أو تحقيراً وإنما هو لمصلحته حتى لا يقع في الخطأ لأن فاعل الخطأ لا يرى نفسه كما يراه غيره . وفي الحديث : « المؤمن مرآة أخيه »[1] .

فإن أحجمت عن بذل النصيحة والموعظة إلى أميرك أو رئيسك فقد غششته وظلمته . وفي الحديث : « من غشنا فليس منا »[2] .

قال الله تعالى : ﴿ وذكِّرْ فإنَّ الذِّكرَى تنفعُ المؤمنينَ ﴾[3] فلعل تذكرتك هذه تجد أذناً صاغية وقلباً مفتوحاً مؤمناً ينفع الله بها العباد والبلاد . فالنصيحة لا تكلفك سوى قليل من الإخلاص وصدق في القول .

ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي والنصح أرخص ما يباع ويوهب

ولتكن في نصيحتك ووصيتك معتدلاً خلوقاً متلطفاً متأدباً حكيماً متفكراً في قول الله تعالى : ﴿ ادعُ إلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ والموعِظَةِ الحسنَةِ ﴾[4] متبعاً أسلوب التخويف تارة والبشارة أخرى . قال تعالى : ﴿ وذكرهم بأيام الله ﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿ فبشّرْ عِبَادِ * الذينَ يستمعُونَ القولَ فيتَّبِعُونَ أحْسَنَهُ ﴾[6] .

إنها لدعوة للعلماء أن يقوموا بواجب النصح والموعظة والنصيحة التي أوكلها الله إليهم وليقتدوا بسلفهم الصالح الذي ما فتىء ينصح ولاة الأمور ويعظهم حتى

---

(١) رواه أبو داود في الأدب ، والترمذي في البر .
(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة في البيوع .
(٣) الذاريات آية ٥٥
(٤) النحل آية ١٢٥
(٥) إبراهيم آية ٥
(٦) الزمر آية ١٧

استجاب البعض لهذه الوصايا والمواعظ وآتت ثمارها . إنها دعوة لهم بأن يخلصوا في القول والعمل وأن يقصدوا بنصحهم ووعظهم وجه الله تعالى حتى تلقى آذاناً صاغية ويفتح الله بها قلوباً غلفاً وأعيناً صماً . فما خرج من القلب وصل إلى القلب وما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان .

وإنها لدعوة إلى الحكام والأمراء أن يستجيبوا لما يلقى إليهم من مواعظ ووصايا ونصائح وليكونوا خير خلف لخير سلف . دعوة لهم للتمسك بالحق والصواب . دعوة لهم لإصلاح مافسد وتقويم ماعوج .

وليتفكروا فيما مضى من أهل القرون السابقة . ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذي الأوتاد ، الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب ، إن ربك لبالمرصاد ﴾[1] . ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ﴾[2] .

قال صالح بن عبد القدوس :

فإن أملت أن تبقى فسائل — بما أفنى القرون الخاليات
وأين ذوو المعالي والمساعي — بنو الأحرار أهل الحاثرات
وأين ثوت ملوك الروم واسأل — بحمير في الدهور الماضيات
وأين ملوكنا من عبد شمس — ولاة منابر وبنو ولاة
وأين الراتقون لكل فتْق — وأين الموسعون ذوو الجداتِ[3]

إنها لدعوة للعامة والخاصة على السواء لأن يقبلوا على الله ويصلحوا ذات بينهم حتى يصلح الله أحوالهم .

وإنك لتجد يا أخي القارىء من خلال هذه النصائح والوصايا والمواعظ أنك

(١) الفجر ، الآيات ٦ ـ ١٤ .
(٢) محمد الآية ١٠
(٣) جمع جدة وهي الاستغناء بالمال .

أمام علماء أخلصوا في القول وزهدوا فيما بأيدي الملوك ولذلك قبلت مواعظهم ووجدت آذاناً صاغية وقلوباً مفتوحة .

إنها دعوة لربط الراعي بالرعية ؛ ربطهم ببعضهم البعض لأن كلاً منهم يكمل الآخر فلا راعي بلارعية ولارعاة بلاراعي .

دعرة لكل واحد منهما أن يقوم بما أوجبه الله عليه . فالعالم يقوم بواجب النصح والراعي يقوم على مصالح الرعية ؛ إذ كل منهم مكمل للآخر .

وهذا ماسنجده من خلال هذه الوصايا والمواعظ . سوف نجد الحكمة والموعظة الحسنة سوف نجد القول الطيب الكريم سوف نجد النصيحة اللينة سوف نجد الصبر والإيمان سوف نجد العلم والتبحّر .

في هذه الوصايا والمواعظ موسوعة علمية كبيرة تدلّ على علم أصحابها وسعة اطلاعهم كما تدل على إخلاصهم في القول . وصدقهم فيه وزهدهم في الدنيا ومتاعها الزائل . وفي المقابل سنجد أمراء صالحين نفذوا هذه الوصايا بإخلاص وصدق فصلح بها أمرهم واستقام حالهم .

إنها دعوة للجميع بأن يكونوا خير خلف لخير سلف دعوة للصدق والإخلاص دعوة للإيمان والتواضع دعوة للبذل والعطاء دعوة لإصلاح الدين والدنيا معاً عسى الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه الخير والصلاح .

وإننا لنبتهل إلى الله جميعاً أن يوفق ولاة أمورنا لما فيه صلاح الأمة وأن يأخذ بأيديهم إلى طريق الحق والصواب .

قال الفضيل بن عياض : لو أن لي دعوة مستجابة لجعلتها للإمام ، لأن به صلاح الرعية فإذا صلحت أمنت العباد والبلاد .

وعسى الله أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يثيبني عليه خيراً إنه خير مسؤول وبالإجابة جدير .

الكويت في ١٩٨٩/٣/٢٤ م

خالد سيد علي
أبو علاء



ابن ملك من ملوك بني إسرائيل يتعظ

كان رجل من ملوك بني إسرائيل قد أعطي طول عمر وكثرة مال وكثرة أولاد .

فكان أولاده إذا كبر أحدهم لبس ثياب الشعر ولحق بالجبال وأكل من الشجر وساح في الأرض حتي يأتيه الموت ففعل ذلك جماعتهم رجل فرجل حتى تتابع بنوه على ذلك فأصاب ولداً بعدما كبر فدعا قومه فقال :

إني قد أصبت ولداً بعدما كبرت وترون شفقتي عليكم وإني أخاف أن هذا سيتبع سنة إخوته ، وأنا أخاف عليكم إن لم يكن عليكم أحد من ولدي بعدي أن تهلكوا فخذوا له الآن في صغره فحببوا إليه الدنيا فعسى أن يبقى بعدي عليكم.

فبنوا حائطاً فرسخاً في فرسخ فكان فيه دهراً في لهوه ثم ركب يوماً فإذا عليه حائط مصمت[1] فقال : إني أحسب خلف هذا الحائط ناساً وعالماً .

أخرجوني أزدد علماً وألقى الناس .

فقيل ذلك لأبيه ، ففزع ، وخشي أن يتبع سنة إخوته .

فقال : اجمعوا عليه كل لهو ولعب ففعلوا ذلك به ، ثم ركب في السنة الثانية فقال : لا بد من الخروج .

فأخبر بذلك الشيخ ، فقال: أخرجوه فحمل على عجلة وكلل بالزبرجد والذهب وصار حوله حافتان من الناس فبينا هو يسير إذا هو برجل مبتلى فقال :

---

(١) المصمت في اللغة ما لا جوف له ، وكذلك الباب والقفل إذا أبهم مكان إغلاقها .

ما هذا ؟

قالوا : رجل مبتلى .

فقال : أيصيب ناساً دون ناس ؟ أو كل خائف له ؟

فقالوا : كل خائف له .

قال : وأنا فيما أنا فيه من السلطان ؟!

قالوا : نعم .

قال : أف لعيشكم هذا عيش كدر!

فرجع مغموماً محزوناً .

فقيل لأبيه ، فقال :

انشروا عليه كل لهو وباطل حتى تنزعوا من قلبه هذا الحزن والغم .

ولبث حولاً كاملاً ، ثم قال :

أخرجوني ـ على مثل حاله الأولى ـ فبينما هو يسير إذا هو برجل هرم قد أصابه الهرم ولعابه يسيل من فمه .

فقال : ما هذا ؟

فقالوا : هذا رجل به هرم .

قال : يصيب ناساً دون ناس ؟

أو كل خائف له إن هو عمر ؟

قالوا : كل خائف له .

قال : أف لعيشكم . هذا عيش لا يصفو لأحد .

فأخبر بذلك أبوه ، فقال :

احشروا عليه من كل لهو وباطل .

فحشروا عليه ، فمكث حولاً ثم ركب على مثل حاله فبينما هو يسير إذا هو بسرير تحمله الرجال على عواتقها .

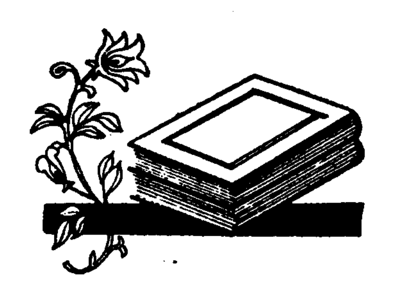
فقال : ماهذا ؟

قالوا : رجل مات .

قال لهم : وما الموت ؟
ائتوني به ، فأتوه ، فقال :
أجلسوه ؟
فقالوا : إنه لايجلس .
قال : كلموه ؟
قالوا : إنه لايتكلم .
قال : فأين تذهبون به ؟
قالوا : ندفنه تحت الثرى .
قال : فيكون ماذا بعد هذا ؟
قالوا : الحشر .
قال لهم : ماالحشر ؟
قالوا : يوم يقوم الناس لرب العالمين فيجزي كل واحد على قدر سيئاته وحسناته .
قال : ولكم دار غير هذه تجازون فيها ؟
قالوا : نعم .
فرمى بنفسه من الفرس وجعل يعفر وجهه في التراب، وقال لهم:
من هذا كنت أخشى !
كاد هذا أن يأتي عليّ ولا أعلم به !
أما ورب يعطي ويحشر ويجازي :
إن هذا آخر الدهر بيني وبينكم ، فلاسبيل لكم عليّ بعد هذا اليوم .
فقالوا : لا ندعك حتى نردك إلى أبيك .
قال : فردوه إلى أبيه وكان ينزف دمه .
فقال له : يا بني : ماهذا الجزع ؟
قال : جزعي ليوم يعطى فيه الصغير والكبير مجازاتهما على ما عملا من الخير والشر .

فدعا بثياب شعر فلبسها ، وقال :
إني عازم من الليل أن أخرج .

فلما كان نصف الليل أو قريب منه خرج ، فلما أن خرج من باب القصر قال : اللهم إني أسألك أمراً ليس لي منه قليل ولا كثير قد سبقت به المقادير الأولى . لوددت أن الماء كان في الماء وأن الطين كان في الطين ولم أنظر بعيني إلى الدنيا نظرة واحدة[1] .



---

(1) الذهب المسبوك ص ١٥١ ـ ١٥٤

تعزية بعض أهل اليمن لذي رعين بموت أخيه

قال ابن الكلبي : مات أخ لذي رعين فعزاه بعض أهل اليمن فقال :

إن الخلق للخالق والشكر للمنعم الرازق والتسليم للقادر ولا بد مما هو كائن وقد حل ما لا يدفع ولا سبيل إلى رجوع ما قد فات .

وقد أقام معك ما سيذهب عنك أو ستتركه لغيرك فما الجزع مما لا بد منه وما الطمع فيما لا يرجى وما الحيلة فيما سينقل عنك أو تنقل عنه .

وقد مضت لنا أصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد الأصل .

وأفضل الأشياء عند المصائب الصبر وإنما أهل الدنيا سفر لا يحلون عن الركاب إلا في غيرها .

فما أحسن الشكر عند النعم والتسليم عند الغير فاعتبر بمن رأيت من أهل الجزع . هل رد أحد ؟ واعلم أن المصيبة سوء الخلف منها ، فأَفِقْ فالمرجع قرب . واعلم أنما ابتلاك المنعم وأخذ منك المعطي وما ترك أكثر . فإن نسيت الصبر فلاتغفل عن الشكر[1] .



---

(1) الأمالي ٢/٩٩

بعض الحكماء يعظ ملكاً من الملوك

كتب بعض الحكماء إلى ملك من الملوك : إن أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطي حاجته منها ، لأنه يتوقع آفة تغدو على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه أو تأتي سلطانه من القواعد فتهدمه أو تدب إلى جسمه فتسقمه أو تفجعه بمن هو ضنين به من أحبابه وأهل مودته .

فالدنيا أحق بالذم هي الآخذة ماتعطي الراجعة فيما تهب .
بينما هي تضحك صاحبها إذ أضحكت منه غيره !
وبينما هي تبكي له إذ بكت عليه !
وبينما هي تبسط كفه بالإعطاء إذ بسطتها بالمسألة .
تعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره بالتراب غداً .
سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي .
تجد في الباقي من الذاهب خلفاً ، وترضى من كل بدلاً ، فأصبحت كالعروس المجلوة : فالعين إليها ناظرة ، والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة .

وهي لأرواحهم قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بما أصاب الأول منزجر ولا العارف بالله ـ حين أخبره عنها ـ مدكر .

فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت به عنها قدمه وعظمت ندامته وكثرت حسراته واجتمعت سكرات الموت إلى

حسرات الفوت بغصته فذهب بكمده ولم يدرك منها ماطلب ولم يرح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد[1] .



(1) الذهب المسبوك ص ١٥٩

بعض جلساء الملك سلامة ذي فائش
يحثونه على الصبر لموت ابن له

نشأ لسلامة ذي فائش ابن كأجل أبناء المقاول[1] وكان أبوه به مسروراً يرشحه لموضعه .

فركب يوماً فرساً صعباً فكبا به فوقصه[2] فجزع عليه أبوه جزعاً شديداً وامتنع من الطعام واحتجب عن الناس فاجتمعت وفود العرب ببابه ليعزوه فلامه نصحاؤه في إفراط جزعه ، فخرج إلى الناس فقام خطباؤهم يؤسونه[3] وكان في القوم الملبب بن عوف بن سلمة بن عمرو بن سلمة الجعفي وجعادة بن الحارث وهو جد الجراح بن عبد الله الحكمي صاحب خراسان .

فقام الملبب ، فقال :

أيها الملك : إن الدنيا تجود لتسلب وتعطي لتأخذ وتجمع لتشتت وتحلي لتمر وتزرع الأحزان في القلوب بما تفجأ به من استرداد الموهوب .

وكل مصيبة تخطيك جلل[4] مالم تدن الأجل وتقطع الأمل .

وإن حادثاً ألم بك فاستبد[5] بأقلك وصح عن أكثرك لمن أجل النعم عليك وقد

---

(١) المقاول من الملوك العظماء .
(٢) كسره ومات .
(٣) يُعَزُّونه .
(٤) الجلل : الصغير .
(٥) استبد به : جعله نصِيبه .

تناهت إليك أنباء من قد رزىء فصبر وأصيب فاغتفر إذ كان شوى [1] فيما يرتقب ويحذر فاستشعر اليأس مما فات إذا كان ارتجاعه ممتنعاً ومرامه مستصعباً فلشيء ماضربت الأسى [2] وفزع أولو الألباب إلى حسن العزاء .

وقام جعادة فقال :

أيها الملك لا تشعر قلبك الجزع على ما فات ، فيغفل ذهنك عن الاستعداد لما هو آت ، وناضل [3] عوارض الحزن بالأنفة عن مضاهاة [4] أفعال أهل وهن العقول ، فإن العزاء لحزماء الرجال والجزع لربات الحجال !

ولو كان الجزع يرد فائتاً أو يحيي تالفاً : لكان فعلاً ذمياً !

فكيف به وهو مجانب لأخلاق ذوي الألباب فارغب بنفسك أيها الملك عن مايتهافت [5] فيه الأذلون وصن قدرك عما يركبه المخسوسون وكن على ثقة من أن طمعك فيما استبدت به الأيام ضلة كأحلام النيام [6] .

* * *

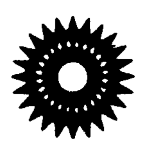
---

(1) الشوى : الهين اليسير .
(2) أي قيل فلان أسوة فلان .
(3) المناضلة : المراماة .
(4) المضاهاة : المشاكلة .
(5) التهافت : التتابع .
(6) الذهب المسبوك ص ١٥٦

نصيحة موبذان لكسرى

قال موبذ (موبذان لكسرى) :

لا ينبغي للملك أن يغضب ، لأن القدرة من وراء حاجته ، ولا يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد ، ولا يبخل فإنه لا يخاف الفقر ولايحقد لأن خطره قد جل عن المجازاة ، ولا يجهل لأنه لا يكون ذنب أرزن من حلمه[1] .



(1) معنى العبارة : أن الذنب وإن كان فظيعاً إلا أن فظاعة الذنب لا تستفز حلمه الرزين .
الذهب المسبوك ص ١٦١

موعظة امرأة لأحد الملوك

أغار بعض الملوك على قرية فنهبها ، وأخذ أموال أهلها ومواشيهم ودوابهم وفتك فيهم بالقتل وغيره ، فخرجت عجوز من بعض الدور فنظرت إليه وقالت : ياويلك من ديان يوم الدين إذا انشقت السماء ، وبرز الرب لفصل القضاء !

فقال لها : يا عجوز أما سمعت في القرآن : ﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلة ﴾ .

فقالت له : يا هذا أنسيت الآية الأخرى التي بعدها في السورة ﴿ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ﴾ .

فقال الملك : ردوا عليهم جميع أموالهم فردوها . ثم قال : يا عجوز كيف الخلاص ؟ . قالت : لا تقنط ، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده[1] .



---

(1) البيان الفاصل بين الحق والباطل لعلي فكري ص ٣٣٨

رجل يعظ ملكاً

ورد أن رجلاً كان ينادي على بعض أبواب الملوك : من يشتري مني ثلاث كلمات باثني عشر ألف درهم ! فكان من يسمعه يعجب منه . حتى بلغ ملكاً منهم خبره . فدعا به وسأل عن الكلمات ، فقال : أحضر المال ، فأحضره ، فقال :

أما الكلمة الأولى : فينبغي أن تعلم أنه ليس في صحبة الناس خير .

وأما الكلمة الثانية : ينبغي أن تعلم أنه لابد منهم .

والثالثة : ينبغي أن يعاملوا على قدر ذلك .

فقال له الملك : قد أحسنت ، فخذ المال .

قال : لاحاجة لي فيه ، إنما أردت أن أعلم هل بقي أحد يطلب الحكمة[1] .



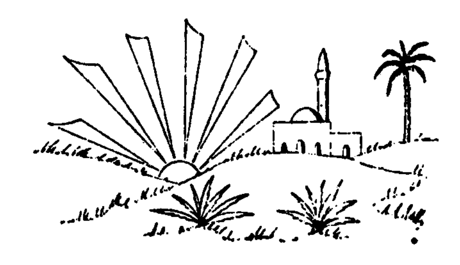
---

(1) الذهب المسبوك ص ١٦٢ - ١٦٣

رجل من العجم يعظ ملكه

قال رجل من العجم لملك من ملوكهم كان في دهره :

أوصيك بأربع خلال ترضي بهنّ ربك وتصلح بهنّ رعيتك : لايغرّنك ارتقاء السبل إذا كان المنحدر وعراً ، ولاتعدن عدة ليس في يديك وفاؤها ، واعلم أن لله تعالى نقمات، فكن على حذر ، واعلم أن للأعمال جزاء فاتّقِ العواقب[1] .



---

(1) الذهب المسبوك ص ١٥١

عدي بن زيد[1] يعظ النعمان بن المنذر[2]

نزل النعمان بن المنذر ومعه عدي بن زيد الشاعر في ظل شجرة عظيمة ليلهو ، فقال له عدي بن زيد :

أتدري ما تقول هذه الشجرة ؟

قال : لا . قال : تقول :

رب قـوم قد أنـاخوا عنـدنـا يشربـون الخمر بـالمـاء الـزلال
ثم أضحـوا لعب الدهـر بهم وكذاك الدهر حالاً بعد حال

(1) عدي بن زيد بن حمّاد بن زيد العبادي التميمي : شاعر من دهاة الجاهليين . كان قروياً من أهل الحيرة فصيحاً ، يحسن العربية والفارسية والرمي بالنشاب ويلعب لعب العجم بالصوالجة على الخيل . وهو أول من كتب العربية في ديوان كسرى ، اتخذه في خاصته وجعله ترجماناً بينه وبين العرب . فسكن المدائن . ولما مات كسرى وولي ابنه هرمز أقرّ عدياً ورفع منزلته ووجهه رسولاً إلى ملك الروم فزار بلاد الشام وعاد إلى المدائن بهدية قيصر . ثم تزوج هنداً بنت النعمان بن المنذر ووشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة . الأعلام .

(2) النعمان (الثالث) ابن المنذر (الرابع) ابن المنذر بن امرىء القيس اللخمي ، أبو قابوس ؛ من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية ، كان داهية مقداماً . وهو ممدوح النابغة الذبياني وحسان بن ثابت ، وحاتم الطائي وهو صاحب إيفاد العرب على كسرى وباني مدينة (النعمانية) على ضفاف دجلة اليمنى ، وصاحب يومي البؤس والنعيم ، كان أبرش أحمر الشعر قصيراً ، ملك الحيرة إرثاً عن أبيه ، نحو سنة ٥٩٢ م وكانت تابعة للفرس فأقره عليها كسرى فاستمر إلى أن نقم عليه كسرى (أبرويز) أمراً فعزله ونفاه إلى خانقين فسجن فيها إلى أن مات . الأعلام .

نصيحة علي بن أبي طالب لعمر بن الخطاب

أوصى علي بن أبي طالب عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال :
(إن أردت أن تلحق صاحبيك ، فَأَقْصِر الأمل ، وكُلْ دون الشِّبع وانكِس الإزار واخصِف النَّعْل) .

وصية أبي عبيدة[1] ومعاذ[2] إلى عمر

أخرج أبو نعيم في الحلية ـ جـ ١ ص ٢٣٨ ـ عن محمد بن سُوقة قال : أتيت نُعيم بن أبي هند فأخرج إلي صحيفة فإذا فيها :

(من أبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب : سلام عليك ، أما بعد ! فإنا عهدناك وأمر نفسك لك مهم[3] فأصبحت قد وُلِّيت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها ، يجلس بين يديك الشريف والوضيع ، والعدو والصديق ، ولكل حصته من العدل ، فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر ! فإنا

---

(١) أبو عبيدة : هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي الفهري . أمين الأمة وأحد العشرة ، أدركت أمه الإسلام فأسلمت وأسلم هو قديماً ، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . وقَتَلَ أباه يوم بدر كافراً . آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ . ودعا أبو بكر يوم توفي رسول الله ﷺ في سقيفة بني ساعدة إلى البيعة لعمر أو لأبي عبيدة ، وولاه عمر الشام ، وفتح الله عليه اليرموك والجابية ، وكان طويلاً نحيفاً . مات في طاعون عمواس سنة ١٨ للهجرة وهو ابن ٥٨ سنة ١٠ هـ تهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٧٣

(٢) معاذ : هو ابن جبل بن عمر بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمر بن ادى بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تريد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن المدني . أسلم وهو ابن ١٨ سنة وشهد بدراً والعقبة والمشاهد ، وورد في الحديث « اقرؤوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأُبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل» . وعن أنس مرفوعاً« وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل » . قال عنه عمر : عجزت النساء أن تلدن مثل معاذ ، لولا معاذ هلك عمر مات سنة ١٧ للهجرة . وهو ابن ٣٤ سنة . المرجع الأول نفسه .

(٣) أي إنك تهتم بإصلاح نفسك وتقويمها .

نحذرك يوماً تعنا فيه الوجوه[1] وتَجفُّ فيه القلوب ، وتنقطع فيه الحجج لحجة ملك قهرهم بجبروته ، فالخلق داخرون له[2] يرجون رحمته ، ويخافون عقابه . وإنا كنا نحدّث أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر أزمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية ، أعداء السريرة[3] وإنا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا إليك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا فإنما كتبنا به نصيحة لك[4] ، والسلام عليك) .

فكتب إليهما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه :

(من عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة ، ومعاذ ، سلام عليكما ! أما بعد ! أتاني كتابكما ، تَذْكران أنكما عهدتماني وأمر نفسي لي مهم ، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها ، يجلس بين يدي الشريف والوضيع ، والعدو والصديق ، ولكل حصته من العدل ، كتبتما : فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر ! وإنّه لا حول ولا قوة لعمر عند ذلك إلا بالله عز وجل . وكتبتما تحذّراني ما حذِّرت منه الأمم قبلنا ، وقديماً كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس يقرِّبان كل بعيد ، ويبليان كل جديد ، ويأتيان بكل موعود حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة والنار. كتبتما تحذراني : أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السريرة ، ولستم بأولئك ، وليس هذا بزمان ذاك ، وذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرهبة تكون رغبة الناس بعضهم إلى بعض لصلاح دنياهم . كتبتما تعوذاني بالله أن أنزل كتابكما سوى المنزل الذي نزل من قلوبكما ،

---

(١) أي تخضع وتذل فيه الوجوه .

(٢) داخرون : أذلاء .

(٣) أي ينصح بعضهم بعضاً لا يخشون من النصح علانية ولا يتركون النصح في سرائرهم .

(٤) أي إنا نرجو أن تنزل نصيحتنا منك منزل القبول لأنها خرجت من قلوبنا وهي لك ناصحة صادقة في نصحها .

وأنكما كتبتما به نصيحة لي وقد صدقْتما ، فلا تدعا الكتاب إليّ فإنه لا غنى بي عنكما[1] والسلام عليكما)[2] .



---

(1) يريد : أن يكتبا له دائماً في النصح والإرشاد .

(2) حياة الصحابة جـ ٢/٢٨٨ . وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة وهنّاد بمثله في الكنز /٨/٢٠٩/ . والطبراني كما في المجمع /٥/٢١٤/ وقال : ورجاله ثقات إلى هذه الصحيفة .

موعظة خولة بنت حكيم[1] لعمر بن الخطاب

خرجَ عمرُ يوماً إلى السوق ومعه الجارود[2] فإذا امرأة عجوز : فسلم عليها عمر فردت . وقالت : هيه يا عمر . عهدتك وأنت تسمّى عميراً في سوق عكاظ ، تصارع الصبيان ، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمراً ثم سميت أمير المؤمنين . فاتق الله في الرعية . واعلم أن من خاف الموت خشي الفوت . فبكى عمر . فقال الجارود : لقد اجترأت على أمير المؤمنين وأبكيته فأشار عمر أن دعها . فلما فرغ قال : أما تعرف هذه ؟ قال : لا . قال : هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها . فعمر أحرى أن يسمع كلامها . أشار إلى قوله تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾[3] وهي خولة هذه[4] .

* * *

(١) خولة بنت حكيم زوج أوس بن الصامت وقد نزلت فيها آية المجادلة عندما قال لها زوجها : أنت علي كظهر أمي . وقيل : إن اسمها خولة بنت ثعلبة ويرجح ذلك ابن عبد البر . الاستيعاب جـ ٤ ص ١٨٣٠ .

(٢) الجارود بشر بن العلي وقيل بشر بن عمر بن خنش أبو المنذر العبدي الملقب بالجارود صحابي جليل مات سنة ٢١ هـ . الاستيعاب جـ ١ ص ٢٦٢

(٣) المجادلة الآية الأولى .

(٤) الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء لابن الجوزي ص ٩٧

وصية سعيد بن عامر[1] لأمير المؤمنين عمر

أخرج ابن سعد ، وابن عساكر عن مكحول أنّ سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي من أصحاب النبي ﷺ قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : إني أريد أن أوصيك يا عمر ! قال : أجل فأوصني ! قال :

(أوصيك أن تخشى الله في الناس ، ولا تخشَ الناس في الله[2] ، ولايختلف قولك وفعلك ، فإن خير القول ما صدّقه الفعل[3] ، ولا تقض في أمر واحد بقضاءين فيختلف عليك أمرك وتزيغ عن الحق[4] ، وخذ بالأمر ذي الحجة تأخذ بالفَلْج[5] ويعينك الله ويصلح رعيتك على يديك ، وأقم وجهك وقضاءك لمن ولاك الله أمره من بعيد المسلمين وقريبهم[6] وأحب لهم ماتحب لنفسك وأهل بيتك ، واكره لهم ماتكره لنفسك وأهل بيتك[7] وخض الغمرات إلى الحق ، ولا تخف في الله لومة لائم)[8] .

---

(١) هو سعيد بن عامر بن حذيم بن سلامان بن ربيعة بن سعد بن جمح القرشي الجمحي . وأمه أروى بنت أبي معيط . أسلم قبل خيبر وهاجر فشهدها وما بعدها وولاه عمر إمرة حمص ، وكان مشهوراً بالزهد . قال ابن سعد : مات سنة ٢٠ في خلافة عمر .

(٢) راقب الله وأنت تحكم بين الناس ولاتخف الناس حينما تحكم بينهم بما أنزل الله .

(٣) حتى لا يدخل تحت قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ .

(٤) بحيث تميز بين واحد وآخر ؛ بل اجعل حكمك في الجميع سواء لا تمييز بين قريب أو بعيد .

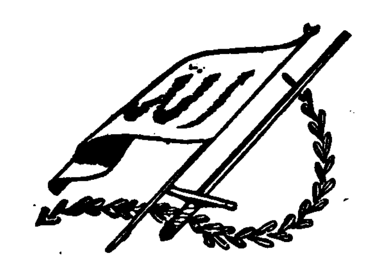
(٥) الفَلْج : الظفر والفوز . وفي المصباح : فلج من باب قعد ، ظفر بما طلب .

(٦) أي لتكن ولايتك وحكمك على جميع المسلمين فأنت ولي أمرهم جميعاً قريبهم وبعيدهم .

(٧) لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

(٨) الغمرات واحدها غمرة الشدة . أي اتبع الحق ولو خضت في الشدائد .

فقال عمر : من يستطيع ذلك ؟ فقال سعيد : مثلك ، من ولاه الله أمر أمة محمد ﷺ ثم لم يحل بينه وبين الله أحد . كذا في منتخب الكنز (جـ ٤ ص ٣٩٠)[1] .



(١) حياة الصحابة /٢/٢٨٣ - ٢٨٤

وصية ربيع بن زياد[1]
إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

أخرج ابن راهويه ، والحارث ، ومسدد ، وأبو يعلى - وصح - عن عبد الله بن بريدة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمع الناس لقدوم الوفد فقال لأزنة بن أرقم[2] :

انظر أصحاب محمد ﷺ فأذن لهم أول الناس ، ثم القَرَن[3] الذين يلونهم . فدخلوا فصُفّوا قدامه فنظر فإذا رجل ضخم[4] عليه مقطّعة برود ، فأومأ إليه عمر رضي الله عنه فأتاه . فقال عمر : إيهِ[5] ثلاث مرات . فقال الرجل : إيهِ - ثلاث

(١) الربيع بن زياد بن أنس بن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث الحارثي . قال أبو عمر : له صحبة ولاأعرف له رواية . وقال أبو أحمد العسكري : أدرك الأيام النبوية ولم يقدم المدينة إلا في أيام عمر وذكره البخاري وابن أبي حاتم وابن حبان في التابعين . وقال ابن حبان : ولاه عبد الله بن عامر سجستان سنة ٢٩ ففتحت على يديه . وقال المبرد : كان عاملاً لأبي موسى على البحرين ووفد على عمر فسأله عن سنه فقال : ٤٥ وقص قصة في آخرها أنه كتب إلى أبي موسى أن يقرّه على عمله واستخلفه أبو موسى على حرب مبادر سنة ١٩ فافتتحها عنوة وقُتل بها أخوه المهاجر بن زياد اهـ . الإصابة في تمييز الصحابة .

(٢) في منتخب الكنز لأذنة بن أرقم وأغلب الظن أن الصحيح لزيد بن أرقم وقد دخله التصحيف اهـ . حاشية حياة الصحابة دار القلم دمشق /٢/٢٨٤

(٣) القَرَن : الجماعة .

(٤) الضخم : الذي عظم جسمه .

(٥) اسم فعل للاستزادة من حديث أو فعل . ويريد سيدنا عمر بكلمته هذه أن يقول له : تحدث بين يدي وقل لي كلاماً أنتفع به .

مرات . فقال عمر : أفّ ، قُمْ ! فقام فنظر فإذا الأشعري - رجل أبيض خفيف الجسم ، قصير ثَبْط[1] فأومأ إليه فأتاه . فقال عمر : إيهِ . فقال الأشعري : إيهِ ! قال عمر : إيهِ ! فقال : يا أمير المؤمنين ! افتح حديثاً فنحدثك . فقال عمر : أفّ ، قم فإنه لن ينفعك راعي ضأن[2] ، فنظر فإذا رجل أبيض ، خفيف الجسم ، فأومأ إليه فأتاه ، فقال عمر : إيه ! فوثب فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ بالله ثم قال :

(إنك وليت أمر هذه الأمة ، فاتق الله فيما وَليت من أمر هذه الأمة وأهل رعيتك في نفسك خاصة ، فإنك محاسب ومسؤول ، وإنما أنت أمين ، وعليك أن تؤدي ماعليك من الأمانة فتعطى أجرك على قدر عملك) .

فقال : ما صدقني رجل منذ استُخلفت غيرك . من أنت ؟ قال : أنا ربيع بن زياد . فقال : أخو المهاجر ابن زياد ؟ قال : نعم . فجهز عمر جيشاً واستعمل عليه الأشعري ثم قال : انظر ربيع بن زياد ! فإن يك صادقاً فيما قال ، فإن عنده عوناً على هذا الأمر فاستعمله ثم لا يأتين عليكم عَشَرة[3] إلا تعاهدت منه عمله وكتبت إليّ بسيرته في عمله حتى كأني أنا الذي استعملته ، ثم قال عمر : عهد إلينا نبينا ﷺ فقال : « إن أخوف ما أخشى عليكم بعدي منافق عليم اللسان »[4]. كذا في كنز العمال جـ ٧ ص ٣٦ .

* * *

(١) ثبط : أي ثقيل بطيء .

(٢) في منتخب الكنز (رأي ضأن) وعمر يخاطب نفسه بذلك . وقد كان يريد أن يسمع كلاماً من غيره .

(٣) أي عشرة أيام .

(٤) حياة الصحابة /٢/٢٨٦/ .

موعظة أبو مسلم الخولاني[1] لمعاوية[2]

دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية . فقال : السلام عليك أيها الأجير . اعلم أنه ليس من أجير استُرعي رعية إلا وهو مسؤول عنها . فإن داوى مرضاها ، وهَنَأَ جرباها ووضعها في أنف الكلأ وصفو من الماء وفّاه أجره .

* * *

---

(١) هو عبد الله بن ثوب يعتبر رأس مدرسة القرآن في الشام من كبار المجاهدين وكانت له مواقف في واقعة صفين ، فقد أراد مع مجموعة من القراء إنهاء الحرب بين علي ومعاوية ، وقربه معاوية إليه وطرح الأسود العنسي المتنبي أبا مسلم الخولاني في النار فلم تضره . وأسند عن معاذ وعبادة بن الصامت . وتوفي في خلافة يزيد بن معاوية سنة ٦٢ هـ . صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٠٨

(٢) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي ، مؤسس الدولة الأموية في الشام ، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار ، كان فصيحاً حليماً وقوراً ، ولد بمكة ، وأسلم يوم فتحها سنة ٨ هـ وتعلم الكتابة والحساب فجعله رسول الله ﷺ في كتّابه ولما ولي أبو بكر ولاه قيادة جيش تحت إمرته أخيه يزيد بن أبي سفيان ولما ولي عمر جعله والياً على الأردن ثم دمشق ، ودامت لمعاوية الخلافة إلى أن بلغ سن الشيخوخة فعهد بها إلى يزيد ومات في دمشق ، له ١٣٠ حديثاً . الأعلام للزركلي .

عامر بن عبد القيس[1] يعظ معاوية

قال معاوية بن أبي سفيان لعامر بن عبد القيس ـ وكان من كبار الزهاد وقد وعظه وأسرف ـ :

رضيت لنفسك نزراً أرق من القليل .

قال : بل أنت رضيت لنفسك بالقليل الفاني عن الكثير الباقي .

فقال له معاوية : أما لي حق عليك ؟ .

قال : حقك أن أنهاك عن الخطأ وآمرك بالصواب[2].

* * *

(١) عامر بن عبد الله ، المعروف بابن عبد القيس العنبري : تابعيٌّ ، من بني العنبر . قال أبو نعيم : هو أول من عرف بالنسك من عبّاد التابعين بالبصرة . هاجر إليها وتلقّن القرآن من أبي موسى الأشعري ، حين قدم البصرة وعلّم أهلها القرآن ، فتخرج عليه في النسك والتعبد . وهو من أقران أويس القرني ، مات ببيت المقدس في خلافة معاوية نحو سنة ٥٥ هـ . الأعلام .

(٢) الذهب المسبوك ص ١٦٣

بين رجل من أصحاب المختار[1] ومصعب بن الزبير[2]

أخذ مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار ، فأمر بضرب عنقه ، فقال : أصلح الله الأمير ، ما أقبح من أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ، ووجهك هذا الحسن ، الذي يُستضاء به فأتعلق بأطرافك ، فأقولُ أي ربِّ سل مصعباً فيم قتلني ، فقال : أطلقوه ، قال : أيها الأمير اجعل ما وهبت لي من عُمْري في خفضٍ ، قال : قد أمرت لك بمائة ألف درهم . قال : فإني أشهد الله تعالى وأشهد الأمير ، أن لابن قيس الرقيات[3] نصفها . قال : ولم ، قال : لقوله :

---

(١) المختار هو : ابن أبي عبيد أسلم أبوه في حياة النبي ﷺ ونشأ المختار في ثقيف وكان من ذوي الشجاعة والدهاء وقلة الدين ، متلوناً كذاباً ، كان يدعو لمحمد بن الحنفية وادعى آخر الأمر أن جبريل يأتيه بالوحي من السماء فلما تحقق عبد الله بن الزبير منه ذلك أرسل إليه أخاه مصعب فقتله سنة ٦٧ . شذرات الذهب جـ ١ ص ٧٤

(٢) هو أبو عيسى وقيل أبو عبد الله بن الزبير بن العوام ، كان من أحسن الناس وجهاً ، وأشجعهم قلباً ، ولي إمرة العراقين لأخيه عبد الله حتى قتله عبد الملك بن مروان ، على نهر دجيل عند دير الجثاليق ، وكان من أجود الناس وأكثرهم عطاء ، لا يستكثر ما يعطي ، وهو من الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة توفي سنة ٧٢ هـ . النجوم الزاهرة جـ ١ ص ١٨٧

(٣) هو عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك ، من أشهر شعراء العصر الأموي ، لقب بابن قيس الرقيات لأنه كان يشبب بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رقية ، وكان صاحب مصعب بن الزبير وخرج معه على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل مصعب سكن الكوفة ، =

إنما مصعب شهاب من الله تجلّتْ عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء
يتقي الله في الأمور وقد أفلح من كان همه الإتقاء

فضحك مصعب ، وقال : أرى فيك موضعاً للضيعة ، فأحسن جائزته [1] .



= واستأمن عند عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وأقام بالشام حتى توفي بنحو من سنة ٨٥ هـ . الشعر والشعراء ص ٢١٢

(١) تهذيب الرياسة ص ٢٧٤ - ٢٧٥

عطاء بن أبي رباح[1]
يعظ عبد الملك بن مروان[2]

دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان ـ وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته ، فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال : يا أبا محمد : ما حاجتك ؟ .

قال : يا أمير المؤمنين : اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس . واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن للمسلمين ، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم .

---

(١) هو عطاء بن أسلم بن صفوان : تابعي ، من أجلاء الفقهاء . كان عبداً أسود . ولد في جند (باليمن) ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم ، وتوفي فيها ، ولد سنة ٢٧ وتوفي سنة ١١٤ هـ .

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، أبو الوليد : من أعاظم الخلفاء ودهاتهم . نشأ في المدينة فقيهاً واسع العلم متعبداً ناسكاً وشهد يوم الدار مع أبيه واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥ هـ ، ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية وهو أول من صك الدنانير في الإسلام وأول من نقش بالعربية على الدراهم . كان أبيض طويلاً أعين رقيق الوجه أفوه مفتوح الفم مشبك الأسنان بالذهب مقرون الحاجبين . مشرف الأنف ليس بالنحيل ولاالبدين . أبيض الرأس واللحية ونقش خاتمه (آمنت بالله مخلصاً) ولد سنة ٢٦ هـ وتوفي بدمشق سنة ٨٦ هـ .

واتق الله في من على بابك فلا تغفل ولا تغلق بابك دونهم .

فقال له : أفعل .

ثم نهض وقام . فقبض عليه عبد الملك فقال له :

يا أبا محمد : إنما سألتنا حوائج غيرك ، وقد قضيناها فما حاجتك ؟

فقال : مالي إلى مخلوق حاجة .

ثم خرج ، فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف ، هذا وأبيك السؤدد[1] .



(١) مسامرة الأخيار ١ - ١٧٠ ، الذهب المسبوك ١٦٤ ، سير أعلام النبلاء ٥/٨٤

شيخ رث الهيئة
يعظ عبد الملك بن مروان

قال الهيثم بن عدي : أذن عبد الملك للناس في الدخول عليه إذناً خاصاً ، فدخل شيخ رث الهيئة لم يأبه له الحرس ، فألقى بين يدي عبد الملك صحيفة وخرج فلم يدر أين ذهب . وإذا فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، يا أيها الإنسان إن الله جعلك بينه وبين عباده فاحكم بينهم ﴿ بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾[1] ، ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾[2] ، ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ﴾[3] ، ﴿ ومانؤخره إلا لأجل معدود ﴾[4] .

إن اليوم الذي أنت فيه لو بقي لغيرك ما وصل إليك ، ﴿ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ﴾[5] ، وإني أحذرك يوم ينادي المنادي ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾[6] ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾[7] قال : فتغير وجه عبد الملك فدخل دار حرمه ولم تزل الكآبة في وجهه بعد ذلك أياماً[8] .

---

(1) الآية ٢٦ من سورة ص .
(2) الآيات ٤ ـ ٦ من سورة المطففين .
(3) الآية ١٠٣ من سورة هود .
(4) الآية ١٠٤ من سورة هود .
(5) الآية ٥٢ من سورة النمل .
(6) الآية ٢٢ من سورة الصافات .
(7) الآية ١٨ من سورة هود .
(8) البداية والنهاية /٩/٦٦ .

زرّ بن حبيش[1] يعظ عبد الملك بن مروان

كتب زر بن حبيش إلى عبد الملك كتاباً وفي آخره : ولايطمعك ياأمير المؤمنين في طول البقاء مايظهر لك في صحتك ، فأنت أعلم بنفسك واذكر ماتكلم به الأولون :

إذا الرجال ولدت أولادها   وبليت من كبر أجسادها
وجعلت أسقامها تعتادها   تلك زروع قد دنا حصادها

فلما قرأه عبد الملك بكى حتى بل طرف ثوبه ، ثم قال : صدق زر ، ولو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق[2] .

* * *

---

(١) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الأسدي : تابعي من جلتهم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، ولم ير النبي ﷺ . كان عالماً بالقرآن ، فاضلاً ، وكان ابن مسعود يسأله عن العربية . سكن الكوفة وعاش مئة وعشرين سنة ، ومات بوقعة بدير الجماجم . اهـ - الأعلام للزركلي .

(٢) البداية والنهاية /٩/٦٦ .

موعظة طاووس[1] لسليمان بن عبد الملك[2]

دخل طاووس على سليمان بن عبد الملك ، فقال : أيها الأمير إن صخرة كانت على شفير جب جهنم هوت في سبعين خريفاً حتى استقرت ، أتدري لمن أعدها الله ؟ قال : لا . قال : لمن أشركه في حكمه فجار[3] .

عن الزهري : أن سليمان رأى رجلاً يطوف بالبيت له جمال وكمال ، فقال : من هذا يازهري ؟ فقلت : هذا طاووس ، وقد أدرك عدة من الصحابة فأرسل إليه سليمان فأتاه فقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدثني أبو موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهون الخلق على الله عز وجل من ولي من أمور المسلمين شيئاً فلم يعدل فيهم » ، فتغير وجه سليمان فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه فقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ ، قال ابن شهاب : ـ ظننته أراد علياً ـ قال : دعاني رسول الله ﷺ إلى طعام في مجلس من مجالس

---

(١) طاووس بن كيسان الهمذاني ، ويكنى أبا عبد الرحمن ، من أصل فارسي ، ولد عام ٢٣ هجرية ، ونشأ في اليمن ، وكان من كبار التابعين راوياً للحديث متفقهاً في الدين ، وكان يأبى القرب من الملوك والأمراء ، توفي حاجاً بالمزدلفة أو منى عام ١٠٦ هـ . صفوة الصفوة لابن الجوزي جـ ٢ ص ٢٨٤ ـ ٢٩٠ ، الحلية جـ ٤ ص ٤ ، وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٩٤

(٢) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان ويكنى أبا أيوب ، ولد عام أربع وخمسين بعد الهجرة بدمشق ، وولي الخلافة الأموية سنة ٩٦ هـ ويتميز بالعقل والفصاحة ، وكانت عاصمته دمشق ، وتوفي في دابق عام ٩٩ هـ . مروج الذهب للمسعودي جـ ٢ ص ١٢٧

(٣) الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء . سير أعلام النبلاء ٤٢/٥ ، البداية والنهاية ٢٣٧/٩

قريش ، ثم قال : « إن لكم على قريش حقاً ، ولهم على الناس حق ، ما إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا ائتمنوا أدوا ، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » قال : فتغير وجه سليمان وأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه وقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله : ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون ﴾[1] .



---

(١) البداية والنهاية ٢٣٨/٩

أبو حازم[1] يعظ سليمان بن عبد الملك

دخل سليمان بن عبد الملك المدينة فأقام بها ثلاثاً فقال :
ما هاهنا أحد ممن أدرك أصحاب محمد ﷺ يحدثنا ؟ .
فقيل له : بلى هاهنا رجل يقال له أبو حازم .
فبعث إليه فجاءه .
فقال له سليمان : ياأبا حازم ماهذا الجفاء ؟ .
قال له أبو حازم : وأي جفاء رأيت مني ؟ .
فقال له سليمان : أتاني وجوه أهل المدينة كلهم ولم تأتني .
فقال له : أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن ، ما جرى بيني وبينك معرفة آتيك عليها .
فقال سليمان : صدق الشيخ .
قال سليمان : ياأبا حازم : مالنا نكره الموت ؟ .
قال : لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فأنتم تكرهون أن تنقلوا من العمران إلى الخراب .

---

(1) أبو حازم : هو سلمة بن دينار أبو حازم الأعرج الأفزر التمار المدني القاص مولى الأسود بن سفيان المخزومي . أصله فارسي وكان أشقر أحول أفزر . قال ابن سعد : كان يقضي في مسجد المدينة . ومات في خلافة أبي جعفر بعد سنة ١٤٠ وكان ثقة كثير الحديث . ذكره ابن حبان في الثقات وقال : كان قاضي أهل المدينة ومن عبادهم وزهادهم . بعث إليه سليمان بن عبد الملك بالزهري في أن يأتيه فقال للزهري : إن كان له حاجة فليأت ، وأما أنا فمالي إليه حاجة .

قال : صدقت ياأبا حازم ، فكيف القدوم ؟ .

قال : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه ! .

قال : فبكى سليمان ، وقال : ليت شعري مالنا عند الله يا أبا حازم ؟ .

فقال أبو حازم : اعرض نفسك على كتاب الله عز وجل تعلم مالك عند الله .

فقال : يا أبا حازم : أين نصيب تلك المعرفة من كتاب الله ؟ .

فقال أبو حازم : عند قوله عز وجل :

﴿ إن الأبرار لفي نعيم . وإن الفجار لفي جحيم ﴾[1] .

فقال سليمان : يا أبا حازم : فأين رحمة الله ؟ .

قال : ﴿ قريب من المحسنين ﴾ .

قال : يا أبا حازم : من أعقل الناس ؟ .

قال أبو حازم : من تعلم الحكمة وعلمها الناس .

فقال سليمان : فمن أحمق الناس ؟ .

قال أبو حازم : من خطا في هوى رجل هو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره .

فقال سليمان : يا أبا حازم : ما أسمع الدعاء ؟ .

قال : دعاء المخبتين إليه .

قال سليمان : يا أبا حازم : فما أزكى الصدقة ؟ .

فقال أبو حازم : جهد المقل[2] .

فقال سليمان : ما تقول فيما نحن فيه ؟ .

فقال أبو حازم : أعفنا من هذا .

قال سليمان : نصيحة بلغتها .

قال أبو حازم : إن ناساً أخذوا هذا الأمر من غير مشاورة من المؤمنين

---

(١) الانفطار آية ١٣ ـ ١٤

(٢) أي بقدر الاستطاعة ولو كان قليلاً .

ولا إجماع من رأيهم فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا ثم ارتحلوا عنها فليت شعري ما قالوا وما قيل لهم ؟ .

فقال بعض جلسائه : بئس ما قلت يا شيخ .

فقال أبو حازم : كذبت إن الله تعالى أخذ على العلماء ليبيننه للناس ولايكتمونه .

فقال سليمان : ياأبا حازم : كيف لنا أن نصلح ؟ .

قال أبو حازم : تدعوا التكلف وتتمسكوا بالمروءة .

فقال سليمان : ياأبا حازم : كيف المأخذ لذلك ؟ .

قال أبو حازم : تأخذه من حقه وتضعه في أهله .

فقال سليمان : اصحبنا ياأبا حازم تصيب منا ونصيب منك .

قال أبو حازم : أعوذ بالله من ذلك .

قال سليمان : ولم ؟

قال : أخاف أن أركن إليك شيئاً قليلاًفيذيقني الله ضعف الحياة وضعف المهات .

فقال سليمان : فأشر علي يا أبا حازم ؟ .

فقال أبو حازم : اتق الله أن يراك حيث نهاك وأن يفقدك من حيث أمرك .

قال سليمان : يا أبا حازم : ادع لنا بخير .

فقال أبو حازم : اللهم إن كان سليمان وليك فبشره بخير الدنيا والآخرة وإن كان عدوك فخذ إلى الخير بناصيته .

قال له سليمان : عظني .

قال : قد أوجبت إن كنت وليه وإن كنت عدوه فما ينفعك أن أرمي بقوس بغير وتر[1] .

فقال : يا غلام : ائت بمئة دينار .

ثم قال : خذ يا أبا حازم .

---

(1) المراد لا تنفع الموعظة بدون عمل .

فقال أبو حازم : لا حاجة لي فيها إني أخاف أن يكون أجراً لما سمعت من كلامي . إن موسى عليه السلام لما هرب من فرعون وورد ماء مدين وجد عليه جاريتين تذودان .

فقال : ما لكما عون ؟ .

قالتا : لا .

ثم تولى إلى الظل فقال :

﴿ رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ﴾ .

ولم يسأل الله أجراً على دينه .

فلما أعجل بالجاريتين الانصراف أنكر ذلك أبوهما فقال :

ما أعجلكما اليوم ؟!

قالتا : وجدنا رجلاً صالحاً فسقى لنا .

قال : فما سمعتماه يقول ؟ .

قالتا : سمعناه يقول :

﴿ رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ﴾ .

قال : ينبغي أن يكون هذا جائعاً .

تنطلق إليه إحداكما فتقول : إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا .

قال : فجزع موسى عليه السلام من ذلك وكان طريداً في فيافي الصحراء .

فأقبل والجارية أمامه فهبت الريح فوصفتها له وكانت ذات خلق ، فقال لها :

كوني خلفي وأريني السمت .

فلما بلغ الباب ودخل إذا الطعام موضوع .

فقال له شعيب عليه السلام :

صب يافتى في هذا الطعام ؟ .

قال موسى عليه السلام : أعوذ بالله .

قال شعيب : ولم ؟ .

قال موسى : لأننا من أهل بيت لانبيع ديننا بملء الأرض ذهباً .

قال شعيب : لا والله ولكنها عادتي وعادة آبائي نطعم الطعام ونقري الضيف . فجلس موسى فأكل .

فإن كانت هذه الدنانير عوضاً لما سمعت من كلامي فالآن أرى أكل الميتة في حال الضرورة أحب إلي من أخذها .

فكأن سليمان أعجب بأبي حازم ، فقال بعض جلسائه :

ياأمير المؤمنين : أبشرك أن الناس كلهم مثله .

قال الزهري :

إنه لجاري منذ ثلاثين سنة ماكلمته بكلمة قط .

فقال له أبو حازم :

صدقت إنك نيست الله فنسيتني ولو أحببت الله لأحببتني .

قال الزهري : أتشتمني ؟ .

فقال : بل أنت شتمت نفسك :

أما علمت أن للجار على جاره حقاً .

فقال أبو حازم :

إن بني إسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء فكانت العلماء تفر بدينها من الأمراء فاستغنت الأمراء عن العلماء واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وانتكسوا .

ولو كان علماؤنا هؤلاء يصونون علمهم لم تزل الأمراء تهابهم .

قال الزهري :

كأنك إياي تريد وبي تعرض ؟ .

قال : هو ما تسمع .

وقدم سليمان المدينة مرة أخرى ، فأرسل إلى أبي حازم فقال له : ياأبا حازم : عظني وأوجز .

قال أبو حازم : اتق الله وازهد في الدنيا فإن حلالها حساب وحرامها عقاب .

قال : لقد أوجزت يا أبا حازم .

فقال له : يا أبا حازم ارفع حوائجك إلى أمير المؤمنين .

قال أبو حازم : هيهات قد رفعت حوائجي إلى من لا تختزل[1] الحوائج دونه فما أعطاني منها قنعت . وما منعني منها رضيت .

وقد نظرت في هذا الأمر فإذا هو علي قسمين : أحدهما لي ، والآخر لغيري .

فأما ما كان لي فلو احتلت فيه بكل حيلة ما وصلت إليه قبل أوانه الذي قدر لي فيه ، وأما الذي لغيري فذلك الذي لا أطمع نفسي فيه فيما مضى ، ولن أطمعها فيما بقي .

وكما منع غيري رزقي كذلك منعت رزق غيري ، فعلام أقتل نفسي[2] .

وفي رواية أخرى أن سليمان بن عبد الملك لما قدم المدينة للزيارة بعث إلى أبي حازم الأعرج وعنده ابن شهاب . فلما دخل عليه قال : تكلم يا أبا حازم ؟ .

قال : فيم أتكلم يا أمير المؤمنين ؟ .

قال : في المخرج من هذا الأمر ؟ .

قال : يسير إن أنت عقلته ! .

قال : وما ذاك ؟

قال : لا تأخذ الأموال إلا بحلها ، ولا تضعها إلا في أهلها .

قال : ومن يقوى على ذلك ؟

قال : من قلده الله من أمر الرعية ما قلدك .

فقال : عظني يا أبا حازم ؟

قال : إن هذا الأمر لم يصل إليك إلا بموت من كان قبلك وهو خارج عن يدك مثل ما صار إليك .

قال : يا أبا حازم : أشر علي ؟

---

(١) أي لا تنقطع .

(٢) المسامرة ١/٣٠١ ـ ٣٠٥ وانظر سراج الملوك ص ٢٦

قال : إنما أنت سوق فما نفق عندك حمل إليك من خير أو شر ، فاختر لنفسك أيهما شئت .

قال : فما لك لا تأتينا يا أبا حازم ؟

قال : وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين ؟

إن أدنيتني فتنتني وإن أقصيتني أحزنتني ، وليس عندي ما أخافك عليه ، ولا عندك ما أرجوك له ؟!

قال : فارفع حوائجك إلينا ؟

قال : قد رفعتها إلى من هو أقدر عليها منك ، فما أعطاني منها قبلت وما منعني منها رضيت[1] .



[1] الذهب المسبوك ص ١٧٢ - ١٧٣

أعرابي يعظ سليمان بن عبد الملك

دخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال له : يا أمير المؤمنين : إني مكلمك بكلام فاحتمله إن كرهته ، فإن من ورائه ما تحب وإن كرهت أوله .

فقال سليمان : إنا لنجود بسعة الاحتمال على من لانرجو نصيحته ، ولا نأمن غشه ، وأنت الناصح جيباً ، والمأمون غيباً .

قال : يا أمير المؤمنين : أما إذ أمنت بادرة غضبك فإني أقول تأدية لحق الله وحق رعيتك :

يا أمير المؤمنين : إنه قد تكنفك رجال أساؤوا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك في الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب الآخرة سلم الدنيا ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فإنهم لا يألون الأمانة تضييعاً والأمة عسفاً ، وأنت مسؤول عما اجترحوا وليسوا المسؤولين عما اجترحت ، ولا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس جرماً من باع آخرته بدنيا غيره .

فقال سليمان : يا أعرابي : أما أنت فقد سللت لسانك فهو أقطع من سيفك !

فقال : أجل يأمير المؤمنين : لك لاعليك[1] !

---

(1) الذهب المسبوك ص ١٧٤

وفي رواية :

دخل عليه أعرابي فقال : إنك قد اكتفيت رجالاً ، ابتاعوا دنياك بدينهم ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فإنك مسؤول عما اجترحوا ، فلاتصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فقال له سليمان : لقد سللت لسانك . فقال : لك لا عليك[1] .



---

[1] الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء

طاووس اليماني[1] وهشام بن عبد الملك[2]

قدم هشام بن عبد الملك حاجاً إلى مكة فلما دخلها ، قال : ائتوني برجل من الصحابة ، فقيل : يا أمير المؤمنين قد تفانوا ، فقال : من التابعين . فأتي بطاووس اليماني ـ فلما دخل عليه ، خلع نعليه بحاشية بساطه ، ولم يسلّم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال : السلام عليك ياهشام ، ولم يكنه ، وجلس بإزائه ، وقال : كيف أنت ياهشام .

فغضب هشام غضباً شديداً ، حتى همَّ بقتله . فقيل له : أنت في حرم الله وحرم رسوله ، ولا يمكن ذلك .

---

(١) هو طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري الجندي . قال ابن حبان : كان من عبّاد أهل اليمن ومن سادات التابعين . وكان قد حج أربعين حجة . وكان مستجاب الدعوة . مات سنة ١٠١ وقيل ١٠٦ . قال عمرو بن دينار : مارأيت أحداً أعف عما في أيدي الناس من طاووس . وقال ابن عيينة : مُتجنبو السلطان ثلاثة : أبو ذر في زمانه ، وطاووس في زمانه ، والثوري في زمانه . تهذيب التهذيب .

(٢) هشام بن عبد الملك بن مروان من ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولد في دمشق وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥ هـ وخرج عليه زيد بن علي بن الحسين سنة ١٢٠ بأربعة عشر ألفاً من أهل الكوفة ، فوجه إليه من قتله وفل جمعه . ونشبت في أيامه حرب هائلة مع خاقان الترك في ماوراء النهر ، انتهت بمقتل خاقان واستيلاء العرب على بعض بلاده . واجتمع في خزائنه من المال مالم يجتمع في خزانة أحد من ملوك بني أمية في الشام . وبنى الرصافة على أربعة فراسخ من الرقة غرباً وهي غير رصافتي بغداد والبصرة . وكان يسكنها في الصيف . وتوفي فيها . وكان حسن السياسة يقظاً في أمره ، يباشر الأعمال بنفسه . من كلامه : « مابقي عليّ من لذات الدنيا إلا أخ أرفع مؤنة التحفظ بيني وبينه » . الأعلام للزركلي .

فقال : يا طاووس . ما الذي حملك على ما صنعت ؟!
قال : وما الذي صنعت ؟ فازداد غضباً وغيظاً .

قال هشام : خلعت نعليك بحاشية بساطي ، ولم تقبل يدي ، ولم تسلّم بإمرة المؤمنين ، ولم تكنني ، وجلست بإزائي بغير إذني ، وقلت : كيف أنت ياهشام .

فقال : أما مافعلتُ من خلع نَعْلَيَّ بحاشيةِ بساطك ، فإني أخلعهما بين يدي رب العزّة كل يوم خمس مرات ولايعاقبني ، ولايغضب عليَّ .

وأما قولك لم تقبّل يدي . فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : لا يحل لرجل أن يقبّل يد أحد إلا امرأته من شهوة ، أو ولده من رحمة .

وأما قولك لم تسلّم بإمرة المؤمنين ، فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب .

وأما قولك لم تكنني فإن الله سمى أنبياءه وأولياءه فقال : ياداود ، يايحيى ، ياعيسى ، وكنى أعداءه فقال : تبت يدا أبي لهب .

وأما قولك جلست بإزائي ، فإني سمعت أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه يقول : إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحولَه قوم قيام .

فقال هشام : عظني .

قال : سمعت من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، يقول : إن في جهنم حيات كالقلال[1] وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته . ثم قام وهرب .



---

(1) القلال : كبيرة كأنها رؤوس الجبال .

خالد بن صفوان بن الأهتم[1] يعظ هشام بن عبد الملك

قال خالد بن صفوان بن الأهتم : أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك في وفد العراق فقدمت عليه وقد خرج مبتدياً بقرابته وأهله وحاشيته وغاشيته من جلسائه فنزل في أرض قاع صحصح متنايف أفيح في عام قد بكر وسميه وتتابع وليه وأخذت الأرض فيه زينتها من اختلاف ألوان نبتها من نور ربيع مونق فهو في أحسن منظر وأحسن مختبر مستمطر بصعيد كأن ترابه قطع الكافور حتى لو أن قطعة لحم ألقيت فيه لم تترب .

وكان قد ضرب له سرادق من حبرة كان صنعه له يوسف بن عمر باليمن فيه أربعة أفرشة خز أحمر مثلها مرافقها وعليه دراعة من خز أحمر مثلها عمامتها وقد أخذ الناس مجالسهم فأخرجت رأسي من ناحية السماط فنظر إلي المستنطق لي ، فقلت له :

أتم الله تعالى عليك يا أمير المؤمنين نعمه وسوغكها بشكره وجعل ما قلدك من هذا الأمر رشداً وعاقبة ماتؤول إليه حمداً وخلصه لك بالتقى وكثره لك بالنماء لا كدر الله تعالى عليك منه ما صفى ولا خالط سروره الردى فقد أصبحت للمسلمين ثقة ومستراحاً إليك يفزعون في مظالمهم وإليك يلجؤون في أمورهم .

---

(١) خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري ، من فصحاء العرب المشهورين ، كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، ولد ونشأ بالبصرة ، وكان أيسر أهلها مالاً ، ولم يتزوج . عاش إلى أن أدرك خلافة السفاح وحظي عنده ، وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشيء وذمه ، وكان يرمى بالبخل وكف بصره ، توفي نحو سنة ١٢٣ هـ . الأعلام .

وما أجد شيئاً يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك هو أبلغ في قضاء حقك وتوفير مجلسك مع ما منَّ الله تعالى علي به مجالستك والنظر إلى وجهك من أن أذكر نعمة الله تعالى عندك وأنبهك على شكرها وما أجد في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديث من تقدم قبلك من الملوك فإن أذن لي أمير المؤمنين أخبرته .

وكان متكئاً فاستوى جالساً ، فقال :

هات يا ابن الأهتم ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين : إن ملكاً من الملوك خرج قبلك في عام مثل عامنا هذا إلى الخورنق والسدير في عام قد بكر وسميه وتتابع وليه وأخذت الأرض فيه زينتها من اختلاف ألوان نبتها من نور ربيع مونق ، فهو في أحسن منظر وأحسن مخبر وأحسن مستمطر بصعيد كأن ترابه قطع الكافور حتى لو أن بضعة لحم ألقيت فيه لم تترب .

وكان قد أعطى منى النفس مع الكثرة والغلبة والنهاء .

ونظر فأبعد النظر فقال :

لمن هذا الذي أنا فيه ؟

هل رأيتم مثل ما أنا فيه ؟

هل أعطي أحد مثل ما أعطيت ؟

وعنده رجل من بقايا جملة الحجبة والمصر على أدب الحق ومنهاجه فقال له :

أيها الملك : إنك قد سألت عن أمر أفتأذن في الجواب ؟

فقال : نعم .

قال : أرأيتك هذا الذي أعجبت به :

أهو شيء لم تزل فيه ، أم هو شيء صار إليك ميراثاً عن غيرك وهو زائل عنك وصائر إلى غيرك كما صار إليك ؟

قال : كذلك هو .

قال : أفلا أراك إنما أعجبت بشيء يسير تكون فيه قليلاً وتغيب عنه طويلاً وتكون غداً بحسابه مرتهناً .

قال : ويحك ! فأين المهرب وأين المطلب ؟

قال : إما أن تقيم مع ملكك فتعمل فيه بطاعة الله ربك على ماساءك وسرك ومضك وأرمضك ، وإما أن تضع تاجك وتضع أطمارك وتلبس أمساحك وتعبد ربك في هذا الجبل حتى يأتيك أجلك .

قال : فإذا كان السحر فاقرع علي بابي فإن اخترت ماأشرت به كنت وزيراً لايعصى وإن اخترت فلوات الأرض وقفر البلاد كنت رفيقاً لا تخالف ، فلما كان السحر قرع عليه بابه فإذا هو قد وضع تاجه وخلع أطماره ولبس أمساحه وتهيأ للسياحة فلزما والله الجبل حتى أتتهما آجالهما .

وذلك حيث يقول أخو بني تميم عدي بن زيد العبادي المرادي[1] :

أيها الشامت المعير الدهر	أأنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من	الأيام بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم من	ذا عليه من أن يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك أبو	ساسان أم أين قبله سابور[2]
وبنو الأصفر الكرام ملوك	الروم لم يبق منهمو مذكور
وأخو الحصن إذ بناه وإذا	دجلة تجبى إليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا	فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد	الملك عنه فبابه مهجور
وتأمل رب الخورنق إذ	أشرف يوماً وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة مايملك	والبحر معرض والسدير
فارعوى قلبه فقال وما	غبطة حي في الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والأمة	وارتهم هناك القبور
ثم أضحوا كأنهم ورق جف	فألوت به الصبا والدبور

---

(١) عدي تميمي ، ويقال السروي : نسبة للسراة .

(٢) المشهور : كسرى الملوك أنوشروان .

قال فبكى هشام حتى اخضلت لحيته وبل عمامته وأمر بنزع أبنيته وبنقلان قرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه ولزوم قصره .

قال : فاجتمعت الموالي والحشم على خالد بن صفوان فقالوا :

ماأردت إلى أمير المؤمنين نغصت عليه لذته وأفسدت عليه مأدبته ؟

فقال لهم : إليكم عني فإني عاهدت الله عهداً أن لا أخلو بملك إلا ذكرته الله عز وجل [1] .



---

[1] الذهب المسبوك ص ١٨٣ - ١٨٦

رجل يعظ هشام بن عبد الملك

صعد رجل إلى هشام بن عبد الملك في خضراء معاوية فمثل بين يديه لا يتكلم فقال له هشام :

مالك لاتتكلم ؟

قال : هيبة الملك وبهر الدرج . فلما رجعت نفسه إليه قال له هشام : تكلم وإياك ومدحنا .

فقال : لست أمدحك إنما أحمد الله فيك ، ثم قال :

إن الدنيا ذمت بأعمال العباد إذا أساؤوا ولم تحمد بأفعالهم فيها إذا أحسنوا فإن الدنيا لم تكتتم بما فيها فتذم ولكن إنما جهرت به فأخذها من أخذها بذلك وهي عليه وتركها من تركها لذلك وهي له .

وإن الدنيا بادأت أهلها بأنها للموكة من أخذها ومفارقة من صحبها ونحن بها عمران من عمرها فمن زرع فيها سروراً حصد حزناً ومن آثر فيها هوى اجتنى ندامة .

وإنما هي لمن زهد فيها اليوم وأعرض عنها وآثر الحق عليها وأخذها من أخذها بعد البيان منها والإخبار عن نفسها فغر نفسه وسماها غرارة وكذب نفسه وسماها كذابة ، وزهد فيها آخرون فصدقوا مقالها ورأوا آثارها في رد أفعالها وأخذوا منها قليلاً وقدموا فيها كثيراً وسلموا من الباطل وصارت لهم عوناً على الحق في غيرها ، فلم تحمد بإحسان من أحسن فيها وهي له ، وذمت بإساءة من أساء فيها وهي عليه ، وأنت أحق بإساءتك فيها إذا كان الإحسان لك دونها .

فأطرق هشام يفكر في كلامه واختلس الرجل فلم ير[1]

---

(1) الذهب المسبوك ص ١٨٧ ـ ١٨٨

رجل آخر يوصي هشام بن عبد الملك

خرج الزهري من عند هشام بن عبد الملك فقال :

لقد تكلم اليوم رجل عند أمير المؤمنين كلاماً ماسمعت كلاماً أحسن منه .

قال له : ياأمير المؤمنين : اسمع مني أربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك .

قال : ما هن ؟

قال : لا تعدن أحداً عدة وأنت لا تريد إنجازها ، ولا يغرنك مرتقى سهل إذا كان المنحدر وعراً ، واعلم أن للأعمال جزاء فاحذر العواقب ، وأن للدهر ثارات فكن على حذر[1] .



---

(1) الذهب المسبوك ص ١٥٠

بين هشام بن عبد الملك وصبي يرعى غنماً

يروى أن هشام بن عبد الملك خرج ذات يوم إلى الصيد ، فنظر إلى ظبي فتبعه فاجتالته الكلاب إلى أن وصل به إلى صبّي يَرعى غنماً ، فقال له : ياصبيّ دونك الظبي ائتني به ، فقال له الصبي : فقدت الحياء لقد نظرت إليّ باستصغار ، وعاشرتني باحتقار ، فكلامُك كلام جَبار وفِعلك فعل حمار ، قال ياغلام أَولم تعرفْني ؟ قال : بلى ، قد عرَّفني بك سوء أدبك إذ بدأتني بكلامك قبل سلامك . فقال له : أنا هشام بن عبد الملك ، فقال : لاقرب الله دارك ولا حَيَّا مزارك ، قال : فوالله ماستَتم كلامه حتى أحدقت به الخيول والجيوش من كل جانب ، فكان كل يقول : السلام عليك ياأمير المؤمنين السلام عليك ياأمير المؤمنين ، فقال : أقصروا من السلام واحتفظوا بالغلام ، وألحقوني به . قال : ثم ركب مغضباً إلى داره فلما وصل إلى داره وركب على سرير ملكه أقبلت إليه الحرفاء والوزراء والأمراء والكتاب ، كل يقول : السلام عليك ياأمير المؤمنين السلام عليك ياأمير المؤمنين ، وذلك الصبي ساكت قد أرسل ذقنه على صدره وقرن عينيه وسكت عن الكلام وامتنع عن السلام ، فقال له بعض الوزراء : ياكلب العَرب مامَنَعك أن تسلّم على أمير المؤمنين ، قال : يابرذعة[1] الحمار منعني من ذلك طول الطَّريق وبهر الدرجة ، فقال له بعض الحرفاء : ياجحش العرب بلغ من فضولك أن تخاطب أمير المؤمنين كلمة بكلمة ، فقال : رمتك الجندل[2] ولأمك الهَبَل[3] ،

---

(١) البرذعة : الحلس الذي يلقى تحت الرحل وخص به بعضهم الحمار . والجمع براذع . لسان العرب .

(٢) الجندل : الحجارة .

(٣) الهَبَلُ : الثُّكل ؛ يدعو عليه بأن تفقده أمه .

أوما سمعت قول الله عزَّ وجل في كتابه المنْزل على نبيّه المرسل : ﴿ يوم تأْتي كل نَفْس تجادل عن نَفْسها ﴾[1] فإذا كان الله يجادل جدالاً ، فمن هشام حتى لايخاطب خطاباً ؟! فعند ذلك اغتاظ الملك من خطابه . وقال : عليّ برأس الغلام فقد أكثر الكلام ، فوضع ذلك الصبي في نِطع[2] الدم وجرّد سيف النَّقمة ليضرب عنقه . فقال له الضرّاب : ياسيدي عبدك المذل بنفسه المنقلب إلى رمسه[3] أضرب عنقه . وأنا بريء من دمه ، قال : اضرب عنقه . فاستأذنه ثانية فأذن له ، فأستأذنه ثالثة فأذن له ، فضحك ذلك الصبي وهو في نطع الدم ، فقال : أقيموه ، ثم قال : ياغلام أنت في الممات وأنت تحاول في الحياة استهزاءً بنا أم بنفسك ، قال : ياأمير المؤمنين اسمع مني كلمتين وافعل مابدالك قال : قل ، فوالله إن هذا أول أوقاتك من الآخرة وآخر أوقاتك من الدنيا ، قال : والله لئن كان في المدة تقصير وفي الأَجل تأخير ، لا يَضرني من كلامك هذا لا قليل ولا كَثير ، ولكن يا أمير المؤمنين أبيات من الشعر حضرتني قال : قل . فقال :

نُبِّئْتُ أنَّ البـاز علّق مـرّةً ... عُصفـور بَـرّ سـاقَـه المقـدورُ
فتكلّم العصفـور في أظفـاره ... والبـازُ منهمكٌ عليـه يَـطير
مـافيَّ مـايُغني لمثلك شبعـةً ... ولئـن أَكـلتَ فـإنّـني لَحقـيرُ
فتعجَّب البـازُ المُدلّ بنفسـه ... عَجَباً وأفلت ذلـك العصفـورُ

قال : فخر هشام بن عبد الملك ضاحكاً على وجهه . وقال : والله لو تلفظ بهذا الكلام في وقت من أول أوقاته ، وطَلَب مادون الخلافة لأعطيته إياها ، يا غلام احشُ فاه دُرّاً وجوهراً ، قال فحشى فاه دراً وجوهراً ، وأعطاه الجائزة والكسوة وراح إلى أهله مسروراً[4] .

---

(١) سورة النحل ، الآية ١١١

(٢) النطع : الجلد .

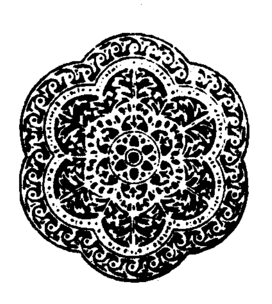
(٣) الرمس : الستر والتغطية ، أي أنه سيوضع تحت التراب ويستر عليه ويموت .

(٤) مرآة الجنان جـ ١ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨

وصية الحسن البصري[1] لعمر بن عبد العزيز

كتب الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز : احتمال المؤنة المتقطعة التي تعقب الراحة الطويلة . خير من تعجل راحة منقطعة ، تعقب مؤنة باقية ، وندامة طويلة .

واعلم : أن الهول الأعظم أمامك ومن وراء ذلك داران : إن أخطأتك هذه صرت إلى هذه ، فكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل .



---

(١) هو الحسن بن أبي الحسن ، ويكنى أبا سعيد ، من علماء التابعين ، جمع بين العلم والعمل والعبادة ، وكان أحد كبار أئمة عصره ، وإمام البصرة ، وتتلمذ عليه كبار الفقهاء والمتكلمين المسلمين ، توفي سنة ١١٠ هـ . الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٧ ص ١٥٦ - ١٥٧

وصية أخرى من الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز

اعلم يا أمير المؤمنين ؛ أن الله جعل الإمام العادل قِوَام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونَصَفَةَ كل مظلومٍ ، ومفزع كلّ ملهوف .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين ؛ كالراعي الشفيق على إبله ، الرفيق بها ، الذي يرتاد لها أطيب المراعي ، ويذودها عن مراتع الهَلَكة ، ويحميها من السِّباع ، ويكنُّهَا[1] من أَذى الحرِّ والقُرِّ .

والإمام العادل يا أَمير المؤمنين ؛ كالأَب الحاني على ولده ، يسعى لهم صغاراً ، ويعلِّمهم كباراً ، يكسب لهم في حياته ، ويَدَّخِر لهم بعد مماته .

والإمام العادل يا أَمير المؤمنين ؛ كالأُم الشفيقة البرَّة الرَّفيقة بولدها ، حملته كرهاً ، ووضعته كرهاً ، ورَبَّته طفلاً تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة ، وتفطمُه أُخرى ، وتفرح بعافيته ، وتَغْتَمُّ بشكايته .

والإمام العدل ياأَمير المؤمنين وَصيُّ اليَتَامَى ، وخازن المساكين ، يُرَبِّي صَغِيرَهُم ، ويَمُون كبيرهم .

والإمام العدل ياأَمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح ، تَصْلُحُ الجوارح بصلاحه ، وتفسد بفساده .

---

(١) أي يسترها .

والإمام العدل يا أَمير المؤمنين ؛ هو القائم بين الله وبين عباده ، يَسْمع كلام الله ويُسْمِعهم ، وينظر إلى الله ويريهم ، وينقاد إلى الله ويَقُودهم فلا تكن ياأَمير المؤمنين فيما مَلَّكَكَ الله عز وجل كعَبْد ائتمنه سيِّده ، واستحفظه ماله وعياله ، فَبَدَّد المال ، وشَرد العِيَال ، فَأَفْقَر أهله ، وفرَّق ماله .

واعلم يا أَمير المؤمنين أَن الله أَنزل الحدود ليزْجُر بها الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أَتاها من يَليها ! وأَنَّ الله أنزل القِصاص حياةً لعباده ، فكيف إذا قَتَلَهُم مَنْ يَقْتَصُّ لهم ! واذكر يا أَمير المؤمنين الموت ومابعده ، وقلة أَشياعك عنده ، وأَنصارك عليه ، فتَزوَّد له ولما بعده من الفزع الأَكبر .

واعلم ياأَمير المؤمنين أَن لك مَنْزِلاً غير منزلك الذي أَنت فيه ، يطول فيه ثواؤُك ، ويفارقك أَحباؤُك ، يُسْلِمُونك في قعره فريداًوحيداً ، فتزود له مايصحبك : ﴿ يَومَ يَفرُّ المَرْءُ من أَخيه . وأُمه وأَبيه . وصاحِبته وبَنِيه ﴾[1] .

واذكر ياأَمير المؤمنين : ﴿ إذا بُعثر مافي القبور . وحصل مافي الصدور ﴾[2] فالأَسرار ظاهرة ، والكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة ولا صغيرة ولا كبيرة إلا أَحصاها فالآن يا أَمير المؤمنين وأَنت في مَهَل قبل حلول الأَجل ، وانقطاع الأَمل .

لا تحكم يا أَمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ولا تسْلُك بهم سبيل الظالمين ، ولا تُسلِّط المستكبرين على المستضعفين ؛ فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمَّة ، فَتَبُوءَ بأَوزارك ، وأَوزار مع أَوزارك ، وتحمل أَثقالك وأَثقالاً مع أَثقالك . ولا يَغُرَّنَّك الذين يتنعَّمون بما فيه بؤسك ، ويأكلون الطَّيِّبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك . ولاتنظر إلى قُدْرتك اليوم ، ولكن انظر إلى قدرتك غداً وأَنت مأسور في حبائل الموت ، وموقوف بين يدي الله في مَجْمَع من الملائكة والنَّبِيِّين والمرسلين ، وقد عَنَتِ الوُجوه للحي القيُّوم .

---

(١) سورة عبس : ٣٤ ـ ٣٦

(٢) سورة العاديات الآية ١٠

إني يا أَمير المؤمنين ، وإن لم أَبْلُغ بِعِظَتِي ما بَلَغَهُ أُولو النُّهَى من قَبْلِي ، فلم آلُكَ شفقة ونُصْحاً . فأَنزل كتابي إليك كَمُدَاوي حَبِيبه ؛ يسقيه الأَدوية الكَريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة .

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته[1] .

(١) الوصايا الخالدة : عبد البديع صقر .

ثلاثة من العلماء يعظون عمر بن عبد العزيز

رجاء بن حيوة[1] ـ ومحمد بن كعب القرظي[2] ـ وسالم بن عبد الله[3]

لما ولي عمر بن عبد العزيز فزع إلى ثلاثة : رجاء بن حيوة ، وإلى محمد بن كعب ، وإلى سالم بن عبد الله بن عمر ، فقال : ياإخوتي : هذا يوم حاجتي إليكم فعظوني ؟

فقال محمد بن كعب : يا عمر إن فيك جرأة وجبنا وإن فيك غفلة وكيسا فداو ما فيك بعضه ببعض ، وعليك بذي الدين والعقل يعنك على نفسك ويكفك

(١) رجاء بن حيوة بن جرول الكندي ، أبو المقدام : شيخ أهل الشام في عصره ، من الوعاظ الفصحاء العلماء ، كان ملازماً لعمر بن عبد العزيز ، في عهدي الإمارة والخلافة ، واستكتبه سليمان بن عبد الملك ، وهو الذي أشار على سليمان باستخلاف عمر وله معه أخبار . الأعلام للزركلي ١٧/٣

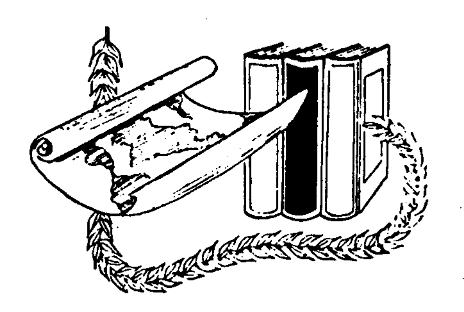
(٢) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي . أبو حمزة . سكن الكوفة ثم المدينة . قال ابن سعد : كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً . كان عالماً بتأويل القرآن ، وكان يقص في المسجد فسقط عليه وعلى أصحابه سقف فمات هو وجماعة معه تحت الهدم سنة ثماني عشرة وهو ابن ثمان وسبعين سنة . تهذيب التهذيب ٤٢١/٩ ـ ٤٢٢

(٣) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عمر ويقال أبو عبد الله المدني الفقيه . قال ابن المسيب : كان عبد الله أشبه ولد عمر به وكان سالم أشبه ولد عبد الله به ، وقال مالك : لم يكن أحد في زمان سالم بن عبد الله أشبه من مضى من الصالحين في الزهد والفضل والعيش منه . وقال أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه : أصح الأسانيد الزهري عن سالم عن أبيه . وكان من فقهاء المدينة السبعة .
قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث عالياً من الرجال ، مات سنة ست ومائة في ذي القعدة أو ذي الحجة اهـ . مختصراً من تهذيب التهذيب /٤٣٦/٣/

نفسه ، وإياك ومن مودته على قدر حاجته إليك ، فإنه إذا ذهبت حاجته انقطعت مودته ، وإذا اصطنعت صنيعة فأحسن رعايتها وهب الدنيا يوماً صمته كان إفطارك فيه الآخرة .

وقال سالم بن عبد الله : يا أمير المؤمنين : ارض للناس ما ترضى لنفسك واكره لهم ما تكره لها تسلم منهم ويسلموا منك .

وقال رجاء بن حيوة : اترك كبير الناس أباً ، وصغيرهم ولداً ، وكهلهم أخاً ، يصلحوا لك ، وتصلح لهم .



إبراهيم بن أدهم[1] يعظ عمر بن عبد العزيز

دخل إبراهيم بن أدهم على عمر بن عبد العزيز ، فقال له :
أطريك ؟
فقال : لا .
قال : أفأعظك ؟
قال : نعم .
قال : فافتح الباب ، وأدخل الناس .
فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
إن الله تبارك وتعالى خلق الخلائق غنياً عنهم وعن طاعتهم ، آمناً لمعصيتهم أن تنقصه .

قال : فالناس يومئذ في الحالات والمنازل مختلفون فالعرب منهم من باشر تلك الحال أهل الوبر والشعر وأهل الحجر لا يتلون كتاباً ولايصلون جماعة ميتهم في النار وحيهم أعمى بشر حال مع الذي لايحصى من عيشهم المزهود فيه والمرغوب عنه .

فلما أراد الله أن ينشر فيهم حكمته بعث فيهم رسولاً من أنفسهم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم .

(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي أبو إسحاق : زاهد مشهور كان أبوه من أهل الغنى في بلخ ، فتفقه ورحل إلى بغداد ، وجال في العراق والشام والحجاز وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة . جاءه عبد لأبيه يحمل إليه عشرة آلاف درهم ويخبره أن أباه قد مات في بلخ وخلف له مالاً عظيماً ، فأعتق العبد ووهبه الدراهم ولم يعبأ بمال أبيه . أخباره كثيرة . توفي في حصن من بلاد الروم .

فبلغ محمد رسالة ربه ونصح لأمته وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين .

ثم ولي أبو بكر من بعده فارتدت العرب أو من ارتد منها فحرصوا أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة ، فأبى أبو بكر أن يقبل منهم إلا ما كان رسول الله ﷺ قابلاً منهم لو كان حياً فلم يزل يخرق أوصالهم ويسقي الأرض من دمائهم حتى أدخلهم من الباب الذي خرجوا منه ، وقررهم على الأمر الذي نفروا عنه وأوقد في الحرب شعلها وحمل أهل الحق على رقاب أهل الباطل ثم حضرته الوفاة وقد أصاب من فيء المسلمين شاة لقوحاً كانت ترضع ابنا له فلم يزل ذلك غصة في حلقه وثقلاً على كاهله حتى خرج منه إلى أن ولي الأمر من بعده عمر رضي الله عنه .

ثم ولي عمر فحسر عن ذراعيه ، وشمر عن ساقيه ، وأعد للأمور أقرانها فراضها فأذل صعابها ولم يزل الأمر فيها إلى يسر ثم حضرته الوفاة وقد كان أصاب من فيء المسلمين شيئاً فلم يرض في ذلك بكفالة من أحد من ولده حتى يلقى في ذلك ربه وضم ذلك إلى بيت مال المسلمين .

وايم الله ما اجتمعنا من بعدهما إلا على ضلع .

قال : ثم أقبل على عمر بن عبد العزيز فقال :

وأنت يا عمر : بني الدنيا غذتك بأطيبها وألقمتك ثديها تطلبها مظانها تعادي فيها وترضى لها حتى إذا أفضت إليك بأركانها من غير طلب منك لها ولامشير حاباك بها رفضتها ورميت بها حيث رمى الله بها ، فامض ـ رحمك الله ـ ولا تلتفت فالحمد لله الذي فرج بك كربنا ، ونفس بك غمنا ، فإنه لا يذل مع الحق حقير ، ولايكثر مع الباطل عزيز .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم[1] .

* * *

---

(1) الذهب المسبوك ص ١٧٧

عباد بن كثير[1] يعظ أبا جعفر المنصور

قال عباد بن كثير لسفيان الثوري :

قلت لأبي جعفر المنصور : أتؤمن بالله ؟

قال : نعم . قلت : حدثني عن الأموال التي اصطفيتموها من أموال بني أمية ؟ فوالله لئن كانت صارت إليهم ظلماً غصباً لما رددتموها إلى أهلها الذين ظلموا فيها وغصبوها . ولئن كانت الأموال لهم ، لقد أخذتم ما لا يحل ولا يطيب . إذا دعيت بنو أمية يوم القيامة جاؤوا بعمر بن عبد العزيز .

وإذا دعيتم أنتم بالعدل ـ وأنتم أمس رحماً من رسول الله ﷺ ولم تجيئوا بأحد فكن أنت ذلك الأحد فقد مضت من خلافتك مبلغ ست عشرة سنة . وما رأينا خليفة قبلك بلغ اثنين وعشرين سنة فهبك تبلغها فما ست سنين تعدل .

فقال لي : يا أبا عبد الله : ما أجد على هذا الأمر أعواناً .

قلت : علي بأعوانك .

أنت تعلم أن أبا أيوب المرزباني يريد منك في كل سنة بيت مال .

وأنا أجبك بمن يعمل بغير رزق ويتصدق على المسلمين .

وأنا آتيك بالأوزاعي فقلده كذا وبسفيان الثوري فقلده كذا وأكون أنا بينك وبين الناس على مظالم أبلغهم عنك وأبلغك عنهم بلا دينار ولا درهم .

فقال : حتى أستكمل بناء مدينة السلام وأخرج إلى البصرة وأوجه إليك .

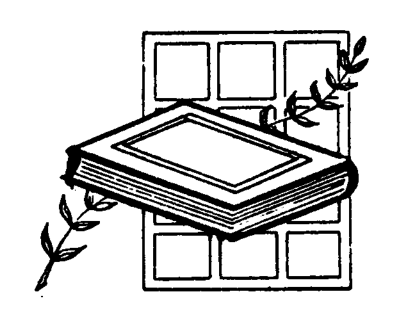
---

(1) الذهب المسبوك ص ١٨٨ ـ ١٨٩

فقال سفيان الثوري : ولم ذكرتني له ؟

فقال عباد : والله ما أردت إلا النصيحة للمسلمين .

ثم قال لسفيان : يا أبا عبد الله : ويل لمن دخل عليهم إذا لم يكن كثير العقل كثير الفهم كيف يكون فتنة عليهم وعلى أمة محمد ﷺ ؟![1] .



---

(١) الذهب المسبوك ١٨٨ - ١٨٩

سالم بن عبد الله يوصي عمر بن عبد العزيز

كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله :

سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو : أما بعد فإن الله عز وجل ابتلاني بما ابتلاني به من أمر هذه الأمة من غير مشورة مني فيها ولا طلب مني لها إلا قدر من الرحمن تعالى قدره علي .

فأسأل الذي ابتلاني بما ابتلاني به أن يعينني على ما ولاني من أمر عباده وبلاده وأن يرزقني فيهم العمل بطاعته وأن يرزقهم مني الرأفة والرحمة وأن يرزقني منهم السمع والطاعة وحسن المؤازرة .

فإذا جاءك كتابي هذا فابعث إلي بكتب عمر رضي الله عنه وسيرته وقضائه في أهل القبلة وأهل الذمة ، فإني سائر بسيرته ومتبع أثره إن الله أعانني على ذلك إن شاء الله والسلام .

قال فكتب إليه سالم بن عبد الله :

من سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز :

سلام عليك ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو :

أما بعد : فإن الله عز وجل وتقدست أسماؤه لايقدر أحد قدره سبحانه وتعالى عما يشركون خلق الدنيا كما أراد فجعل لها مدة قصيرة كأن مابين أولها وآخرها

---

(١) الأمالي ٢/٢٩

ساعة من نهار ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء فقال : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾ .

ولايقدر أهلها منها على شيء حتى تفارقهم ويفارقوها .

أنزل بذلك كتاباً وبعث به نبيه ﷺ وقدم في ذلك بالوعيد ، ووصل فيه القول ، وضرب فيه الأمثال ، وشرع دينه فيه وأحل فيه الحلال ، وحرم فيه الحرام ، وقص فأحسن فيه القصص ، وجعل دينه في الأولين والآخرين ديناً واحداً ولم يبدل قوله ولم يغير قضاؤه ولم يختلف رسله ولم يسبق أحد من أمره بشيء سعد به أحد ولم يسعد أحد من أمره بشيء شقي به أحد .

ثم إنك ياعمر بن عبد العزيز ليس تعدو أن تكون رجلاً من بني آدم يكفيك من الطعام والشراب مايكفي رجلاً منهم .

اجعل فضل ذلك فيما بينك وبين الرب عز وجل الذي ترجوه شكر النعمة ، ثم إنك قد وليت اليوم أمراً عظيماً ليس يليه غيرك دون الله عز وجل أحد فإن استطعت أن تغبن من كان قبلك ولاتخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل ولاقوة إلا بالله فإنه قد كان قبلك فيما مضى رجال عملوا ماعملوا وأماتوا ماأماتوا وأحيوا ماأحيوا حتى ولد في ذلك رجال ونشؤوا وظنوا أنها هي السنة فلم يسدوا على العباد باب رخاء إلا فتح الله باب بلاء ، فإن استطعت أن تفتح عليهم أبواب الرخاء فافعل فإنك لن تفتح منها باباً إلا سد به عنك باب بلاء ولايمنعك من نزع عامل أن تقول لا أجد من يكفيني عمله فإنك إن كنت تعمل لله وتفزع لله أتاح الله لك أعواناً وأتى بهم .

وإنما قدر العون بقدر النية فمن تمت نيته تم عون الله إياه ومن قصر من النية قصر من العون بقدر ذلك فإن استطعت أن تجيء يوم القيامة لا يتبعك أحد بمظلمة ويجيء من قبلك وهم غابطون لك بقلة أتباعك فافعل ولا قوة إلا بالله ، فإنهم قد لقوا الله وعالجوا نزع الموت وعاينوا هول المطلع وانفقأت أعينهم التي كانت لا تنقضي لذتها وانشقت بطونهم التي كانوا لايشبعون فيها واندقت رقابهم غير

متوسدة بعد ماتعلم من تظاهر الفرش والمرافق والسرر والخدم ، وصاروا جيفاً في بطون الأرض تحت آكامها لو كانوا إلى جنب مساكين تأذوا من ريحهم بعد إنفاق ما لا يحصى من الطيب كان ذلك إسرافاً وبداراً عن حق الله فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ما أعظم الذي ابتليت به يا عمر فاقطع الذي سيق إليك من أمر هذه الأمة بالعدل ، ومن بعثت من عمالك فازجره زجراً شديداً شبيهاً بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء إلا بحقها .

المال المال يا عمر .

الدم الدم يا عمر ، فإنه لا عدة لك من هول جهنم من عامل بلغك ظلمه ولم تغيره .

واحذر من بعثت من عمالك : أن يأخذوا في ظنة ، أو يعملوا بعصبية ، أو يتخذوا في عملهم خبنة [1] أو يحدثوا على المسلمين تبعة ، أو يسبقوا بدم فالله الله يا عمر .

واعلم أنك إن اجترأت على ذلك أوشكت أن يؤتى بك صغيراً ذليلاً وإن أنت اجتنبت ذلك وجدت راحته في قلبك وسمعك وظهرك .

كتبت تسألني أن أبعث إليك بكتب عمر وسيرته وقضائه في أهل القبلة والذمة ، وإن عمر رضي الله عنه عمل به في غير زمانك وعمل بغير رجالك ووليت في زمن من تعلم بعد ماعمل وأظهر ماتعلم .

وأنا أرجو إن عملت على النحو الذي عمل به عمر بعد الذي رأيت وبلوت من الظلم أن تكون أفضل عند الله منزلة من عمر .

---

(١) خبنة هي مايحمله الإنسان في حضنه . يقال : أخبن أي خبأ في خبنة سراويله . وهذه العبارة كناية عن توبيخ العامل وغلوله .

وقل كما قال العبد الصالح : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه .. ﴾ إلى قوله : ﴿ وإليه أنيب ﴾[1] .



---

(1) الذهب المسبوك ص ١٧٩ - ١٨٢

وفي الوصايا الخالدة لعبد البديع صقر وصية أخرى مع اختلاف في الترتيب والصيغ

من سالم بن عبد الله ، إلى عمر بن عبد العزيز
سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .
أما بعد :

فإن الله تعالى خلق الدنيا لما أراد[1] فجعل لها مدة قصيرة[2] ثم قضى عليها وعلى أهلها بالفناء[3] .

ثم إنك يا عمر قد وُلِّيت أمراً عظيماً ، فإن استطعت أن لا تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل[4] .

فإنه كان فيما مضى قبلك رجال أماتوا ما أماتوا من الحق ، وأحيوا ما أحيوا من الباطل حتى وُلِد في ذلك رجال ونساء ، وظنّوا أنها السنة[5] .

---

(١) خلقت الدنيا بأمر الله تعالى وإرادته وسيفنيها بأمره وإرادته .

(٢) عمر الدنيا بالنسبة للآخرة قصير ، أو بما أن ماسيفنى تعتبر مدته قصيرة أو بالنسبة لأعمار الناس .

(٣) يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات فتفنى الأرض ولايبقى لها وجود .

(٤) تكون الخسارة بسبب عدم العدل بين الرعية ، وإشاعة الظلم ، وعدم الحكم بما أنزل الله فيكون ذلك سبباً لهلاكه وهلاك أهله في الدنيا عاجلاً ويوم القيامة آجلاً .

(٥) لا تكن كمن مضى من قبلك من الذين غفلوا عن الحق والدين فلم يقوموا فيه بأمر الله وأشاعوا بين الناس أمر الباطل حتى ولد الناس على إماتة الحق وإحياء الباطل وفي ذلك الإثم الكبير إذ فهموا أن الباطل هو الحق والحق هو الباطل .

فلا يمنعك من نزع عامل أن تقول لا أجد من يكفيني عمله[١] . فإنك إن كنت تعمل لله أتاح الله لك أعواناً وإنما قُدِّر العون بقدر النية[٢] وإن استطعت أن تجيء يوم القيامة لايتبعنّك أحد بمظلمة ، ويجيء من قبلك وهم غابطون لك فافعل[٣] فإنهم قد عالجوا نزع الموت[٤] وعاينوا أهوال المطّلع[٥] وانفقأت أعينهم التي كانت لا تنقضي لذتها[٦] وانشقت بطونهم التي كانوا لا يشبعون فيها[٧] .

واندقّتْ رقابهم[٨] غير متوسِّدين بعد تظاهر الفُرُش والمرافق والسُّرُر والخدم[٩] وصاروا جيفاً في بطون الأرض تحت آكامها[١٠] وقد كانوا إلى جنب مساكين تأذّوا من ريحهم بعد إنفاق ما لا يحصى من الطيب[١١] فإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(١) بعض العمال الذين يعينون أمراء من قبل الوالي قد يظلمون ولا يعدلون وقد يكونون أعواناً للوالي على الباطل فعليه المسارعة بعزل هذا العامل ولا يحتج بالقول بأنه لا يجد غيره للقيام محله .

(٢) أي إذا كان عزلك لهذا العامل من أجل الله وخوفاً من الله فالله يعوِّض لك غيره أعواناً متعددين ، ويعينك الله بقدر نيتك .

(٣) أي فاجتهد في إقامة الحق والعدل بين الناس حتى لايجيء أحد يتبعك بحق سلب منه ولم ترده إليه ويتمنى زوال الخير والنعمة منك كما كنت سبباً في إزالة هذا الحق الذي سلب منه .

(٤) أي زاولوا قلع النفوس من أجسادها .

(٥) أي شاهدوا ذلك الموقف الرهيب وفزعوا فزعاً شديداً .

(٦) انتهى أملهم من الحياة التي كانوا يتطلعون فيها إلى الدنيا وملذاتها وشهواتها وسكرت أعينهم. التي كانوا بها ينظرون إلى متاع الحياة الدنيا .

(٧) بما أن البطون تأكل الحلال والحرام ، وتحوي الخير والشر شقت تلك البطون التي كانت مطمحاً لهم .

(٨) ماتوا وانتهت حياتهم .

(٩) فقدوا في الآخرة كل ماكانوا يجدونه في الدنيا من فرش وثيرة وسُرر ينامون عليها وخدم وحشم يقومون بشؤونهم .

(١٠) أصبحوا تحت الأرض جيفاً نتنة تغيرت رائحتهم واختلفت أحوالهم .

(١١) كانوا في الدنيا يتأذى بعضهم ويتضايق من وجود بعض الناس البسطاء إلى جنبه يتأذى من رائحته ويضع أموالاً طائلة لشراء بعض الطيب حتى يتخلص من تلك الرائحة التي تنبعث منه . أما الآن فأصبح جيفة نتنة مستقذرة مستكرهة منبوذة .

ما أعظم ما ابتُليت به يا عمر[1] فمن بعثت من عمالك فازجره زجراً شديداً شبيهاً بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء إلا بحقها[2] المال المال يا عمر . . . الدم الدم يا عمر[3] كتبتَ إلي أن أبعث إليك بكتب عمر وسيرته ، وإن عمر عمل في غير زمانك وبغير رجالك[4] ووليت في زمن تعلم بعدما عمل وأنا أرجو إن عملت على النحو الذي عمل به عمر بعدما بلوت من الظلم أن تكون أفضل من عمر عند الله[5] .

وقل كما قال العبد الصالح[6] : ﴿ وماأريد أن أخالفكم إلى ماأنهاكم عنه[7] ،

---

(١) من أمور الإمارة وواجباتها وحقوقها .

(٢) أوص عمالك وأمراء البلاد وصية شديدة ، وخوفهم تخويفاً عظيماً عن أخذ الأموال بغير حقها وحقها هو الزكاة والصدقات ، حذرهم من التسلط على حقوق الناس وأموالهم . وعن أخذ الرشاوى والأتاوات .

(٣) أي احذر التسلط على أموال الناس واحذر التسلط على رقابهم .

(٤) كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم أن يكتب له عن سيدنا عمر بن الخطاب فقال : « فإذا جاءك كتابي هذا فابعث إليَّ بكتب عمر وسيرته وقضائه في أهل القبلة وأهل الذمة ، فإني سائر بسيرته ، ومتبع أثره إن الله أعانني على ذلك إن شاء الله » .

(٥) أي زمانك غير زمان عمر ورجالك غير رجاله فزمانك مشحون بالظلم والاستبداد فزمن عمر زمن خير من زمانك ، ورجاله خير من رجالك ، وإن عملت كما عمل عمر رغم تأخر زمانك وتغير رجالك عن رجاله أن تكون أفضل في هذا المضمار عند الله من عمر لصبرك وشدة عزيمتك .

(٦) المقصود بالعبد الصالح سيدنا شعيب عليه السلام ، وقد أرسل إلى قوم مدين ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾ وكانوا في بلاد الحجاز ـ مما يلي الشام .

(٧) في الكشاف . وما أريد أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم . وفي الخازن : وما أريد أن أخالفكم بمنعي لكم عما تقدم وأذهب . أي فليس مرادي أن أمنعكم عنه وأفعله أنا . يعني : لا أريد أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم . وقال الزجاج : إني لست أنهاكم عن شيء وأدخل فيه إنما أختار لكم ما أختار لنفسي .

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت[١] ، وماتوفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ﴾[٢] .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى محمد بن كعب القرظي يسأله أن يبيعه غلامه سالماً ـ وكان عابداً خيراً زاهداً ـ فكتب إليه : إني قد دبرته ، قال : فازدد فيه ، فأتاه سالم فقال له عمر : إني قد ابتليت بما ترى ، وأنا أخاف والله أن لا أنجو ، فقال له سالم : إن كنت كما تقول فهذا نجاته ، وإلا فهو الأمر الذي يخاف .

قال : يا سالم عظني .

قال : آدم عليه السلام أخطأ خطيئة واحدة خرج بها من الجنة ، وأنتم مع عمل الخطايا ترجون دخول الجنة ، ثم سكت . قلت : (القائل ابن كثير) كما قيل في بعض كتب الله : تزرعون السيئات وترجون الحسنات ، لا يجتنى من الشوك العنب .

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي ... درج الجنان وطيب عيش العابد
ونسيت أن الله أخـرج آدماً ... منها إلى الدنيا بذنب واحد[٣]

* * * *

---

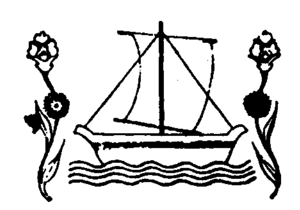
(١) وهو الإبلاغ والإنذار فقط أما إجباركم على الطاعة فلا أستطيعه ـ الخازن ـ والمقصود من هذه الآية أن يطبق الإنسان ما يقوله حتى يطابق قوله فعله حتى لا يدخل تحت الآية الكريمة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ .

(٢) هود ٨٨

(٣) البداية والنهاية ٢٥٨/٩

محمد بن كعب القرظي[1] يعظ عمر بن عبد العزيز

لا تتخذن وزيراً إلا عالماً ولا أميناً إلا بالجميل معروفاً وبالمعروف موصوفاً ، فإنهم شركاؤك في أمانتك ، وأعوانك على أمورك فإن صلحوا أصلحوا وإن فسدوا أفسدوا[2] .



---

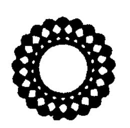
(١) محمد بن كعب بن سليم . وقال ابن سعد : محمد بن كعب بن حيان بن سليم الإمام العلامة الصادق أبو حمزة . وقيل أبو عبد الله القرظي المدني من حلفاء الأوس وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة . سكن الكوفة ثم المدينة . قيل : ولد محمد بن كعب في حياة النبي ﷺ ، ولم يصح ذلك . مات سنة ١١٧ وهو ابن ثمان وسبعين سنة . وكان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً . سير أعلام النبلاء ٥/٦٥

(٢) الذهب المسبوك ص ١٧٩ ، الأمالي ٢/٢٩

موعظة طاووس[1] إلى عمر بن عبد العزيز

عن أبي رياح بن عبيدة قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى طاووس كتاباً يسأله عن بعض ماهو فيه ، فأجابه بعشر كلمات لم يزده حرفاً ، قال : فما رأيت قط كتاباً أعجب إليه منه ، كتب إليه :

(سلام عليك ياأمير المؤمنين ، فإن الله عز وجل أنزل كتاباً ، وأحل فيه حلالاً ، وحرم فيه حراماً ، وضرب فيه أمثالاً ، وجعل بعضه محكماً ، وبعضه متشابهاً ، فأحِلَّ حلالَ الله ، وحرِّم حرام الله ، وتفكّر في أمثال الله ، واعمل بمحكمه ، وآمن بمتشابهه . والسلام عليك) .



(1) ترجمته في موعظة طاووس لسليمان بن عبد الملك ص ٤٢

سابق البربري[1] الشاعر يعظ عمر بن عبد العزيز

فكم من صحيح بات للموت آمناً	أتته المنايا بغتة بعدما هجع
فلم يستطع إذ جاءه الموت بغتة	فـراراً ولا منه بحيلتـه امتنـع
فـأصبـح تبكيـه النسـاء مقنعـاً	ولايسمع الداعي ولاصوته رفع
وقـرب من لحد فصـار مقيله	وفارق ماقد كان بالأمس قد جمع
فـلايـترك المـوت الغني لمـالــه	ولامعدماً في المال ذا حاجة يدع

فلم يزل عمر يبكي ويضطرب حتى غشي عليه .

قال ميمون بن مهران[2] حاضر الموعظة : فقمنا فانصرفنا عنه[3] .

---

(١) سابق بن عبد الله البربري ، أبو سعيد : شاعر ، من الزهاد ، له كلام في الحكمة والرقائق ، وهو من موالي بني أمية . والبربري لقب له ، ولم يكن من البربر . سكن الرقة ، وكان يفد على عمر بن عبد العزيز ، فيستنشده عمر ، فينشده من مواعظه ا هـ . الأعلام للزركلي .

(٢) ميمون بن مهران الرقي ، أبو أيوب : فقيه من القضاة ، كان مولى لامرأة بالكوفة ، وأعتقته ، فنشأ فيها ، ثم استوطن الرقة من بلاد الجزيرة الفراتية فكان عالم الجزيرة وسيدها . واستعمله عمر بن عبد العزيز على خراجها وقضائها وكان على مقدمة الجند الشامي مع معاوية بن هشام بن عبد الملك ، لما عبر البحر غازياً إلى قبرس سنة ١٠٨ هـ ، وكان ثقة في الحديث ، كثير العبادة . الأعلام للزركلي جـ ٧ ص ٣٤٢

(٣) الذهب المسبوك ص ١٧٨

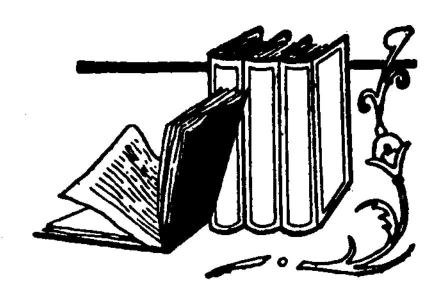
وصية غلام هاشمي لعمر بن عبد العزيز

حينما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، وفدت الوفود من كل بلد ، لبيان حاجتها وللتهنئة . فوفد عليه الحجازيون ، فتقدم غلام هاشمي للكلام وكان حديث السن ، فقال عمر : لينطلق من هو أسنّ منك ، فقال الغلام : أصلح الله أمير المؤمنين . إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه . فإذا منح الله عبداً لساناً لافظاً وقلباً حافظاً فقد استحق الكلام وعَرَفَ فَضله من سَمعَ خطابَه . ولو أن الأمر ياأمير المؤمنين بالسن لكان في الأمة من هو أَحق بمجلسك هذا منك ، فقال عمر : صدقت ، قل مابدا لك ، فقال الغلام : أصلح الله أمير المؤمنين : نحن وفد تهنئة لا وفد مرزئة . وقد أتيناك لمنِّ الله الذي مَنَّ علينا بك ، ولم يُقْدِمْنا إليك رغبةٌ ولارهبة ، أما الرغبة فقد أتيناك من بلادنا ، وأما الرهبة فقد أمنا جورك بعدلك .

فقال عمر : عظني ياغلام ، فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، إن ناساً من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول أملهم ، وكثرة ثناء الناس عليهم ، فزلّت بهم الأقدام فهووا في النار .

فلايغرّنك حلم الله عنك ، وطول أملك وكثرة ثناء الناس عليك ، فتزل قدمك فتلتحق بالقوم ، فلا جعلك الله منهم ، وألحقك بصالحي هذه الأمة ثم سكت . فقال عمر : كم عمر الغلام ، فقيل هو ابن إحدى عشرة سنة ، ثم سأل عنه فإذا هو من ولد سيدنا الحسين رضي الله عنهم ، فأثنى عليه خيراً ودعا له . وتمثل قائلاً :

تعلم فليس المرء يولـد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهلُ
فـإن كبير القـوم لاعلم عنده صغير إذا التفّت حولَه المحافلُ



عمرو بن عبيد المعتزلي[1] يعظ المنصور[2]

دخل عمرو بن عبيد يوماً على الخليفة أبي جعفر المنصور وصار صديقاً له قبل الخلافة وقربه وقال : عظْني ، فقال : إن هذا الأمر الذي في يدك لو بقي في يد أحد ممن كان قبلك لم يصل إليك ، فاحذر من ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده ، وغير ذلك من المواعظ ، فلما أراد النهوض قال : قد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم ، قال : لا حاجة لي فيها . قال : والله تأخذها ، قال : والله لا آخذها . وكان المهدي حاضراً ، فقال : يحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ، فالتفت عمرو إلى المنصور فقال : من هذا الفتى ؟ فقال : هذا المهدي وَلَدي وولي عهدي ، فقال : أما لقد ألبسته لباساً ما هو من لباس الأبرار ، وسميته باسم ما استحقه ، ومهّدت له أمراً أمنع ما يكون به أشغل ما يكون عنه ، ثم التفت إلى المهدي وقال : نعم .

(١) عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء أبو عثمان البصري : شيخ المعتزلة في عصره ، ومفتيها وأحد الزهاد المشهورين ، اشتهر بعلمه وزهده ، له رسائل وخطب وكتب منها (التفسير) و (الرد على القدرية) . توفي (بمران) بقرب مكة ورثاه المنصور ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه . كان جده من سبي فارس وأبوه نساجاً ثم شرطياً للحجاج في البصرة . ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٤٤ هـ . الأعلام للزركلي .

(٢) هو عبد الله بن محمد المنصور بويع له بالخلافة يوم وفاة أخيه أبي العباس السفاح بعهد منه وكان السفاح قد ولاه أمر الحج فأتته الخلافة بمكان يعرف بالصافية فقال : صفا أمرنا إن شاء الله تعالى ، وكانت وفاته في سنة ١٥٨ ببئر ميمونة على أميال من مكة وهو محرم بالحج وهو ابن ٧٣ ، وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وأربعة عشر يوماً ، وأمه بربرية . وكان طويلاً أسمر نحيفاً خفيف اللحية رحِب الجبهة ا هـ . حياة الحيوان للدميري جـ ١ ص ٩٣

يا ابن أخي إذا حلف أبوك أحنثه[1] لأن أباك أقوى على الكفّارات من عمك ، فقال له المنصور : هل من حاجة ؟ قال : لا تبعث إليّ حتى آتيك ، فقال المنصور : إذاً لا نلتقي ، فقال عمرو : هي حاجتي ، فأتبعه المنصور بصرةٍ وقال :

كـلكـم يمشي رُوَيْـد كـلكـم يـطلب صـيـد
غير عمرو بن عبيد[2]

ويقال : إن عمرو بن عبيد أنشد المنصور قصيدة في موعظته إياه وهي قوله :

يا أيها الذي قد غره الأمل ودون ما يأمل التنغيص والأجل
ألا ترى أنما الدنيا وزينتها كمنزل الركب حلوا ثمت ارتحلوا
حتوفها رصد وعيشها نكد وصفوها كدر وملكها دول
تظل تقرع بالروعات ساكنها فما يسوغ له لين ولاجذل
كأنه للمنايا والردى غرض تظل فيه بنات الدهر تنتقل
تديره ماتدور به دوائرها منها المصيب ومنها المخطىء الزلل
والنفس هاربة والموت يطلبها وكل عسرة رجل عندها جلل
والمرء يسعى بما يسعى لوارثه والقبر وارث ما يسعى به الرجل[3]

* *

* * * *

---

(١) الحنث : الخلف في اليمين. يقال : أَحْنَثْتُ الرجل في يمينه فحنث إذا لم يبرّ فيها .

(٢) مرآة الجنان الجزء الأول ص ٣١٧ ـ ٣١٨ ، الذهب المسبوك ص ١٩٠ ـ ١٩٣ مع اختلاف يسير ، البداية والنهاية ١٠/١٢٤

(٣) البداية والنهاية ١٠/١٢٤

موعظة عمرو بن عبيد للمنصور مرة أخرى

روي عن الهذلي أنه قال : طلبت الإذن على المنصور ، فوعد بيوم أدخل عليه فيه فوافيت ذلك اليوم فوجدت أبا حنيفة وعمرو بن عبيد قد سبقاني ، فقعدا قليلاً ثم خرج الإذن لنا فدخلنا ، وقد كنت هيأت كلاماً ألقى به المنصور ، وهيأ أبو حنيفة مثل ذلك ، فلما رأيناه أُرْتج[1] علينا ، وكان جهدنا أن أقمنا التسليم فسلمنا ، فأومأ برأسه إلينا فجلست أنا وأبو حنيفة في شق وجلس عمرو بن عبيد في شق ، فأقبل أبو جعفر المنصور ينكت في الأرض وقد طأطأ رأسه ، وأقبلت ألاحظ أبا حنيفة أعجبه مما نالني وناله من الدهش فرفع عمرو رأسه فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ والفجر وليال عشر ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد ﴾[2] . يا أمير المؤمنين لِمَنْ عَمِلَ مثلَ عملهم أَنْ ينزلَ بهم مثلَ ما نزل بهم ، فاتق الله يا أمير المؤمنين ، فإن وراءك نيراناً تأجج من الجور[3] . ما تعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ . فقال : يا أبا عثمان إنا لنكتب إليهم في الطوامير[4] نأمرهم بالعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، فإن لم يفعلوا فما عسى أن نصنع ؟ فقال : يا أمير المؤمنين تكتب إليهم في حاجة نفسك فينفذونها ، وتكتب إليهم في حاجة الله فلا تُنفذ ، إنك والله لو لم ترض من عمالك إلا بالعدل ، إذا لتقرب إليك من لانية له فيه ـ ثم ذكر أي الهذلي سليمان بن مجالد

---

(١) أي أغلق علينا فلم نستطع الكلام .

(٢) سورة الفجر الآيتان ١٣ و ١٤

(٣) الجور : الظلم . والأجيج : تلهب النار وصوتها .

(٤) الطوامير : جمع ، والطامور والطومار : الصحيفة .

ومعارضته لعمرو فقال له عمرو : يا ابن مُجالد خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين ، ثم أردت أن تحول بينه وبين من أراد نصحه ـ يا أمير المؤمنين : إن هؤلاء اتخذوك سلّماً لشهواتهم ، فأنت كالآخذ بالقرنَيْن[1] وغيرك يحلب فاتق الله ياأمير المؤمنين ، فإنك ميتٌ وحدك ، ومبعوثٌ وحدك ، ومحاسبٌ وحدك ، لن يغني عنك هؤلاء من الله شيئاً . قال : فأطرق أبو جعفر يفكر في كلامه ثم دعا خادماً على رأسه فسارّه بشيء فأتاه الخادم بمنديل فيه دنانير ، فقال : يا أبا عثمان بلغني ما الناس فيه من الشدة فاصرف هذه حيث شئت ، قال : ما كنت لآخذها ، قال : لتأخذنّها والله ، قال : لاآخذها . قال : والله لتأخذنها ، قال : والله لا آخذها ، فقال له المهدي ـ وكان حاضراً ـ : يحلف أمير المؤمنين لتأخذه وتحلف أنت لا تأخذه ! قال عمرو : يا ابن أخي ، أمير المؤمنين أقدر على الكفّارة مني ، فقال أبو جعفر للمهدي : اسكت فإن عمّك بنا واثق . قال : فسكت وقعد قليلاً ثم قمنا ، فقلت لأبي حنيفة عند خروجنا : إنا نسينا ما أردنا من الكلام . فكيف ذهب عنا أنّا نجيء بما جاء به عمرو من كتاب الله .[2]

وفي المحاسن والمساوىء :

دخل عمرو بن عبيد على المنصور ، وقال :

يا أمير المؤمنين ، إن الله عز وجل يقفك ويسائلك عن مثقال ذرة من الخير والشر ، وإن الأمة خصماؤك يوم القيامة ، وإن الله عز وجل لا يرضى منك إلا بما ترضاه لنفسك ، ألا وإنك لا ترضى نفسك إلا بأن يعدل عليك ـ وإن الله عز وجل لا يرضى منه إلا بأن تعدل في رعيتك ، وإن وراء بابك نيراناً تأجج من الجور .

فقال سليمان بن مجالد[3] وهو واقف على رأس المنصور : ياعمرو قد شققت على أمير المؤمنين ، فقال عمرو : ياأمير المؤمنين ، من هذا ؟ قال : أخوك

---

(١) أي أنت ممسك بقرني البقرة وغيرك يحلبها . والمعنى : أنك تتعب وتكد وغيرك يجني ذلك .

(٢) مرآة الجنان الجزء الأول ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥

سليمان بن مجالد ، قال عمرو : ويلك يا سليمان . إن أمير المؤمنين يموت وإن كل ما تراه يفقد ، وإنك جيفة غداً بالفناء ، ولا ينفعك إلا عمل صالح قدمته ، ولقُرب هذا الجوار أنفع لأمير المؤمنين من قربك ، وإن كنت تطوي عنه النصيحة ، وتنهى من ينصحه .

يا أمير المؤمنين : إن هؤلاء اتخذوك سلّماً إلى شهواتهم .

قال المنصور : فأصنع ماذا ؟ ادع لي أصحابك أوليهم ، قال : ادعهم أنت بعمل صالح تُحْدِثه ، ومُرْ بهذا الخِناق فليرفع عن أعناق الناس ، واستعمل في اليوم الواحد عمالاً ، كلما رابك منهم ريب ، أو أنكرت على رجل عزلته ووليت غيره .

فوالله لئن لم تقبل منهم إلا العدل ، ليتقربن به إليك من لانية له فيه[1] .

وفي تهذيب الرياسة :

قام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور فقال : إن الله عز وجل أعطاك الدنيا بأسرها فاشْترِ نفسك ببعضها . واذكر ليلة تَمَخَّضُ[1] عن يوم لاليلة فيه . فوجَم[2] أبو جعفر في قوله ، فقال الربيع[3] له : ياعمرو غممت[4] أمير المؤمنين ، فقال عمرو : إن هذا قد صحبك عشرين سنة لم ير عليه أن ينصحك يوماً واحداً .

---

(١) المحاسن والمساوىء جـ ٢ /٢٨

(٢) في لسان العرب : تمخضت الليلة عن يوم سوء : إذا كان صباحها صباح سوء ، وهو مثل بذلك .

(٣) الوجوم : السكوت على غيظ .

(٤) هو أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد ، حاجب المنصور ووزيره ، فقد وزر له بعد أبي أيوب المورياني ، وكان المنصور كثير الميل إليه ، حسن الاعتماد عليه . وقيل : إن المنصور كان إذا أراد بإنسان خيراً أمر بتسليمه إلى الربيع . توفي أول سنة ١٧٠ هـ . وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٩٤

(٥) الغمُّ والغُمَّةُ : الكرب .

وما عمل وراء بابك بشيء من كتاب الله عز وجل ولا سنّة نبيه صلى الله عليه وعلى آله . فقال أبو جعفر : فما أصنع قد قلت لك ، خاتمي بيدك ، فتعال أنت وأصحابك فاكفوني هذا الأمر . فقال عمرو : ادعنا بعد ذلك تسمح نفوسنا بعونك ، ببابك ألف مظلمة ، اردد منها شيئاً نعلم أنك صادق[1] .



---

(١) تهذيب الرياسة ص ٣١٧

أحد العارفين يوصي المنصور في حجه

كان من عادة الخليفة أبي جعفر المنصور إذا قدم حاجاً أن يخرج إلى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به أحد . فإذا طلع الفجر وأقيمت الصلاة صلى بالناس . فخرج ذات ليلة وبينما هو يطوف . إذ سمع رجلاً عند الملتزم يدعو يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع . فأسرع المنصور في مشيته حتى ملأ مسامعه من قوله ، ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إلى الرجل فدعاه وقال له : ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم ، فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلقني ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي أنبأتك بالأمور من أصولها ، وإلا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل . فقال : أنت آمن على نفسك . قال : يا أمير المؤمنين ! الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الأرض أنت . فقال المنصور : ويحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في يدي والحلو والحامض في قبضتي[1] ؟ . قال : وهل دخل أحداً من الطمع ما دخلك ؟ .

يا أمير المؤمنين إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم ، واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص

---

(١) كناية عن الذهب والفضة أي أني أملكهما وتحت تصرفي فكيف يأتي الطمع إلي ، وكناية عن الفواكه والحلويات والمأكولات جميعها .

والآجر وأبواباً من الحديد ، وحجبة معهم السلاح ، ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عمالك في جمع الأموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعواناً ظلمة ، إن نسيت لم يذكروك ، وإن ذكرت لم يعينوك ، وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع[1] والسلاح وأمرت بألا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان ، نفر سميتهم ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولاالملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضعيف ولا الفقير ، ولا أحد إلا وله في هذا المال حق . فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثرتهم على رعيتك ، وأمرت ألا يحجبوا عنك تجبي الأموال ولا تقسمها قالوا : ـ وهذا قد خان الله فمالنا لا نخونه وقد سُخِّر لنا ـ فأتمروا على أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس إلا ما أرادوا ، وألّا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمراً إلا أقصوه[2] حتى تسقط منزلته ، ويصغر قدره ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم ، وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقووا بها على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدوة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية ، فامتلأت بلاد الله بالطمع بغياً وفساداً وصار هؤلاء القوم شركاء في سلطانك وأنت غافل .

فإن جاء حيل بينه وبين الدخول إليك ، وإن أراد رفع صوته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم . فإن جاءك ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته ، وإن كانت للمتكلم به حرمة وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفاً منهم[3] فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتلُّ عليه فإذا جهد وصرخ بين يديك فيضرب ضرباً مبرّحاً ليكون نكالاً لغيره وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير[4] .

---

(١) الكراع : كناية عن الخيل والأنعام .

(٢) أقصوه : أي أبعدوه .

(٣) أي إذا كان لمن تُكلِّم فيه حرمة وحظوة لايمكنه صاحب المظالم من التحدث عن مظلمته ومايريد خوفاً من البطانة .

(٤) أي إذا اجتهد وتعب في الوصول إليك وصرخ ليوصل لك مظلمته ضرب ضرباً شديداً ليكون عبرة لغيره .

فما بقاء الإسلام وأهله على هذا ؟ ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهي إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته إليهم فينصف ولقد كان الرجل يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فيبتدرونه (مالك ، مالك) فيرفعون مظلمته فينصف [1] .

ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر أرض الصين وبها ملك ، فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه : ما يبكيك لا بكت عيناك ؟ فقال : أما إني لست أبكي على المصيبة التي نزلت بي ، ولكني أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته . ثم قال : أما إن كان قد ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب ، نادوا في الناس ، ألا يلبس ثوباً أحمر إلا مظلوم . فكان يركب الفيل ويطوف طرفي النهار يرى أمن مظلوم فينصفه .

هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه ، وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله ، لا تغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك حتى تعظم رغبة الناس إليك .

يا أمير المؤمنين . إنك لا تجمع المال إلا لواحد من ثلاثة : إن قلت أجمعه لولدي فقد أراك الله عبراً في الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال ، ومامن مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه [2] فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ، ولست الذي تعطي بل الله يعطي من يشاء .

وإن قلت أجمع المال لأشيّد سلطاني فقد أراك الله عبراً فيمن كان قبلك ، ماأغنى عنهم ماجمعوا من الذهب والفضة وماأعدوا من الرجال والسلاح والكراع ، وماضرك وولدك وأباك ماكنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ماأراد .

وإن قلت أجمع المال بطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها فوالله

---

(١) يؤخذ له حقه .

(٢) أي كل الناس يبخل بإعطاء المال إليه .

ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح . يا أمير المؤمنين . هل تعاقب من عصاك من رعيتك بأشد من القتل ؟ قال : لا ، قال : فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما أنت عليه من ملك الدنيا وهو تعالى لايعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الأليم . وهو الذي يرى منك ماعقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك . فماذا تقول إذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك إلى الحساب . هل يغني عنك عنده شيء مما كنت فيه ومما شححت عليه من ملك الدنيا ؟ فبكى المنصور بكاء شديداً حتى نحب وارتفع[1] ثم قال : ليتني لم أخلق ولم أك شيئاً ثم قال لواعظه : كيف احتيالي فيما خولت فيه ولم أر من الناس إلا خائناً ؟. قال : يا أمير المؤمنين . عليك بالأئمة الأعلام المرشدين . قال : ومن هم ؟ قال : العلماء بعلمهم . قال : فرّوا مني . قال : هربوا منك مخافة أن تحملهم على ماظهر من طريقتك من قبل عمالك . ولكن افتح الباب ، وسهل الحجاب ، وانتصر للمظلوم من الظالم ، وخذ الشيء مما حلّ وطاب ، واقسم بالحق . وأنا ضامن على أن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك . فقال المنصور : اللهم وفقني أن أعمل بما قال هذا الرجل . وجاء المؤذنون فسلموا على الخليفة ، وأقيمت الصلاة . فخرج فصلى بالناس . وطلب بعد ذلك واعظه فلم يقفوا له على أثر[2] .

لعل هذا الواعظ كان ملكاً من السماء أرسل إليه ليوقفه على جلية الأمر . ليوضح له الطريق المستقيم الذي غفل عنه بملكه وألهاه الجاه والمال عن النظر بشؤون الناس وأمورهم ومصالحهم فخافه وهابه وأثرت به تلك الموعظة الصادقة بعد أن كان الناس يهابونه ويخافونه ويحسبون للوقوف أمامه ألف حساب[3].

---

(١) أي حتى بكى وارتفع صوته بالبكاء .

(٢) تهذيب الرياسة ص ٣٢٠

(٣) تأملات في دروب الحق والباطل . عبد الله خياط .

وصية الإمام جعفر الصادق[1] إلى أبي جعفر المنصور

استدعى أبو جعفر المنصور ، الإمام جعفر الصادق في إحدى المرات فأوصاه قائلاً :

لا تقبل في ذي رحمك وأهل الرعاية من أهل بيتك ، قول من حرّم الله عليه الجنة ، وجعل مأواه النار ، فإنّ النمّام شاهد زور ، وشريك إبليس في الإغراء بين الناس ، فقد قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾[2]

ونحن لك أنصار وأعوان ، لملكك دعائم وأركان ، ماأمرت بالمعروف والإحسان ، وأمضيت في الرعية أحكام القرآن ، وأرغمت بطاعتك الله أنف الشيطان ، وإن كان يجب عليك في سعة وكثرة علمك ، ومعرفتك بآداب الله أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، فإن المكافي ليس

---

(١) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ، الهاشمي القرشي ، أبو عبد الله ، الملقب بالصادق : سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية . كان من أجلاء التابعين . وله منزلة رفيعة في العلم . أخذ عنه جماعة ، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك . ولقب بالصادق ، لأنه لم يعرف عنه الكذب قط . له أخبار مع الخلفاء من بني العباس وكان جريئاً عليهم صداعاً بالحق . له رسائل مجموعة في كتاب ، وورد ذكرها في كشف الظنون يقال : إن جابر بن حيان قام بجمعها . ولد سنة ٨٠ ، توفي سنة ١٤٨ هـ ، مولده ووفاته بالمدينة ا هـ . الأعلام للزركلي .

(٢) سوة الحجرات آية ٦

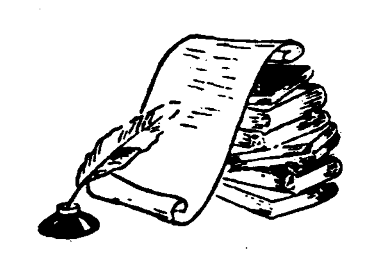
بالواصل وإنما الواصل من إذا قطعته رحمه وصلها ، فصل رحمك يزد الله في عمرك [1] ويخفف عنك الحساب يوم حشرك .

قال المنصور : قد صفحت عنك لقدرك ، وتجاوزت عنك لصدقك ، فحدثني عن نفسك بحديث أتعظ به ويكون لي زاجر صدق عن الموبقات .

قال الصادق : عليك بالحلم فإنه ركن العلم ، واملك نفسك عند أسباب القدرة ، فإنك إن تفعل ما تقدر عليه ، كنت كمن شفى غيظاً أو تدواى حقداً ، أو يحب أن يذكر بالصولة .

واعلم أنك إن عاقبت مستحقاً ، لم تكن غاية ما توصف به إلا العدل ، والحال التي توجب الشكر أفضل من الحال التي توجب الصبر ، قال المنصور :

وعظت فأحسنت ، وقلت فأوجزت .



---

(١) عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سرّه أن يبسط عليه رزقه أو ينسأ في أثره فليصل رحمه » أي يوسع عليه في الرزق ويؤخر في أجله . مسلم /١٩٨٢/٤

وصية الأوزاعي[1] لأبي جعفر المنصور

قال الأوزاعي : بعث إليّ أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته ، فلما وصلت إليه ، سلمت عليه بالخلافة ، فرد عليّ واستجلسني . ثم قال : أبطأ بك عنا يا أوزاعي ؟ قلت : وما الذي تريد يا أمير المؤمنين ؟ قال : أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم ، قلت : فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئاً مما أقول . قال : وكيف أجهله وأنا أسألك عنه ، وفيه وجهت إليك ، وأقدمتك له ، قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به . قال الأوزاعي : فصاح بي الربيع وأهوى بيده إلى السيف . فانتهره المنصور ، وقال : هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة ، فطابت نفسي وانبسطت في الكلام ، فقلت : يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال . قال رسول الله ﷺ : « أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكر ، وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثماً ويزداد الله بها سخطاً عليه » .

يا أمير المؤمنين : من كره الحق فقد كره الله إن الله هو الحق المبين

---

(١) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد الأوزاعي ، من قبيلة الأوزاع ، أبو عمرو : إمام الديار الشامية في الفقه والزهد ، وأحد الكتاب المترسلين ، ولد في بعلبك ونشأ في البقاع ، وسكن بيروت وتوفي فيها . وعرض عليه القضاء فامتنع . قال صالح بن يحيى في تاريخ بيروت : كان الأوزاعي عظيم الشأن بالشام وكان أمره فيهم أعز من السلطان وقد جعلت له كتاباً يتضمن ترجمته . له كتاب السنن في الفقه والمسائل . ويقدر ماسئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عليها كلها . وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأيه إلى زمن الحكم بن هشام . ولد سنة ٨٨ هـ وتوفي سنة ١٥٧ هـ . الأعلام .

إن الذي لينَ قلوب أمتكم لكم حين ولّاكم أمورهم ، لقرابتكم من نبيكم ﷺ فقد كان بهم رؤوفاً رحيماً ، مواسياً لهم بنفسه من ذات يده ، محموداً عند الله وعند الناس ، فحقيق بك أن تقوم له بالحق ، وأن تكون بالقسط له فيهم قائماً ، ولعوراتهم ساتراً ، لا تغلق عليك دونهم الأبواب ، ولا تقيم دونهم الحُجّاب ، تبتهج بالنعمة عندهم ، وتبتئس بما أصابهم من سوء .

يا أمير المؤمنين : قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس . بالدين أصبحت تملك أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك إذا اتبعك منهم فئام وراء فئام ليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه !

يا أمير المؤمنين . حدثني مكحول[1] عن عروة بن رويم . قال :

كانت بيد رسول الله ﷺ جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فأتاه جبريل فقال يا محمد ما هذه الجريدة التي كنت قد كسرت بها أمتك وملأت قلوبهم بها رعباً فكيف بمن ضرب أبشارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم ونهب أموالهم .

يا أمير المؤمنين : حدثني مكحول عن زياد بن حارثة عن حبيب بن مسلمة أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابياً لم يتعمده ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن الله لم يبعثك جباراً ولا متكبراً ، فدعا النبي ﷺ الأعرابي ، فقال : اقتص مني ، فقال الأعرابي : قد أجللتك بأبي وامي وما كنت لأفعل ذلك أبداً ولو أتت على نفسي ، فدعا له بخير .

يا أمير المؤمنين : رض نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك وارغب في جنة

---

(1) هو مكحول الشامي ـ مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل . أبو عبد الله الهذلي بالولاء ، من حفاظ الحديث ، أصله من فارس ومولده بكابل ، وطاف كثيراً من البلدان واستقر في دمشق وتوفي بها . قال الزهري : لم يكن في زمانه أبصر منه بالفتيا .

عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله ﷺ : لقيد قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها .

يا أمير المؤمنين : إن الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك وكذلك لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك .

يا أمير المؤمنين : تدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك : ﴿ ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ ؟ قال : الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن .!!

يا أمير المؤمنين : بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :

لو ماتت سخلة[1] على شاطىء الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك !! ؟[2]

يا أمير المؤمنين : تدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك :

﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ ؟. قال : يا داود إذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك في أحدهما هوى فلا تتمنين في نفسك أن يكون الحق له فيفلج على صاحبه فأمحوك من نبوتي ثم لا تكون خليفتي ، ولا كرامة يا داود إنما جعلت رسلي إلي عبادي رعاء كرعاء الإبل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ، ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلأ والماء .

---

(١) السَّخْلَة : ولد الغنم من الضأن والمعْز ساعة وضعه ذكراً كان أو أنثى وجمعه سَخْل بوزن فَلْس . وسِخال بالكسر .

(٢) هذا يدل على عظم المسؤولية التي تحملها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد كان حريصاً على الرعية حرصاً جعله يهتم بالحيوانات وبما تلد . يدون للناس الدواوين ويسهر على راحتهم ويجلب لهم تموينهم وطعامهم ومايحتاجونه . يقول له إذا كان عمر بهذه المثابة يعتبر نفسه مسؤولاً عن ضياع سخلة بعيدة عنه ليست تحت نظره إذْ هي بالعراق وهو بالمدينة . فكيف أنت بمن هو حولك وبين يديك يحرم عدلك ولايأتيه منك إلا الظلم .

يا أمير المؤمنين : إنك قد بليت بأمر لو عرض على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه .

يا أمير المؤمنين : حدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري أن عمر بن الخطاب استعمل رجلاً من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيماً فقال له : ما منعك من الخروج إلى عملك ؟

أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله ؟ قال : لا . قال : فكيف ذلك ؟ قال : لأنه بلغني أن رسول الله ﷺ قال : ما من وال يلي شيئاً من أمور الناس إلا أتي به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه ، يوقف على جسر النار ، ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ، ثم يعاد فيحاسب فإن كان محسناً بإحسانه وإن كان مسيئاً انخرق به ذلك الجسر فهوى به في النار سبعين خريفاً . فقال له عمر : ممن سمعت هذا ؟ قال : من أبي ذر ومن سلمان . فأرسل إليهما عمر فسألهما فقالا نعم سمعنا من رسول الله ﷺ .

فقال عمر : واعمراه من يتولاها بما فيها !! فقال أبو ذر : من سلت الله أنفه وألصق خده بالأرض .

فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني . ثم قال : يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبي ﷺ إمارته على مكة أو الطائف أو اليمن ، فقال له النبي ﷺ : « يا عباس يا عم النبي : نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها » . . نصحية منه لعمه وشفقة عليه وأخبره أنه لا يغني عنه من الله شيئاً إذ أوحى إليه : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ فقال : يا عباس ويا صفية عمي الرسول ويا فاطمة بنت محمد : إني لست أغني عنكم من الله شيئاً ، لي عملي ولكم عملكم .

وقد قال عمر بن الخطاب لا يقيم أمن الناس إلا حصيف العقل أريب[1]

---

[1] حصيف العقل : جيد الرأي محكم العقل صاحب فطنة .

العقدة لا يطلع منه على عورة ولا يحنق منه على جريرة[1] لا تأخذه في الله لومة لائم .

وقال : السلطان أربعة أمراء :

فأمير قوي يظلف[2] نفسه وعماله فذاك كالمجاهد في سبيل الله يد الله عليه باسطة بالرحمة .

وأمير فيه ضعف يظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك إلا أن يرحم .

وأمير يظلف عماله وأرتع نفسه فهو الحطمة الذي قال رسول الله ﷺ : شر الرعاء الحطمة . فهو هالك وحده .

وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعاً .

بلغني يا أمير المؤمنين أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة فقال له يا جبريل : صف لي النار فقال : إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها . والذي بعثك بالحق لو أن ثوباً من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعاً ، ولو أن ذَنوباً[3] من شرابها صب في مياه أهل الأرض جميعاً لقتل من ذاقه ، ولو أن ذراعاً من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعاً لذابت وما استقلت .

لو أن رجلاً أدخل النار ثم خرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه ، فبكى النبي لله وبكى جبريل لبكائه فقال أتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال : أفلا أكون عبداً شكورا . قال فلم

(١) الحنق : شدة الغيظ . والجريرة : الذنب . والمعنى : لاأحد يغتاظ منه على ذنب فعله .
(٢) أي يأخذ نفسه بالشدة .
(٣) الذَنوب : الدلو .

بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه ؟ قال : أخاف أن أبتلي بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منعني عن اتكالي على منزلتي عند ربي فأكون قد أمنت مكره .

فلم يزالا يبكيان حتى نودي من السماء يا جبريل يا محمد إن الله قد أمنكما أن تعصيا فيعذبكما . وفضل محمد على سائر الأنبياء كفضل جبريل على ملائكة السماء .

وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : اللهم إن كنت تعلم أني أبالي إذا قعد الخصمان بين يدي على من قال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين .

يا أمير المؤمنين : إن أشد الشدة القيام لله بحقه ، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى وإنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه بها .

نصيحتي والسلام عليك . ثم نهضت فقال لي إلى أين ؟ فقلت إلى الولد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله .

قال : فقد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل ، فلا تخلني من مطالعتك إياي بمثلها فإنك المقبول القول غير متهم في النصحية . قلت أفعل إن شاء الله .

قال محمد بن مصعب : فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا في غنى عنه ما كنت لأبيع ديني بعرض الدنيا كلها . وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك[1] .

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة /٦/٣٣٨ ـ ٣٤١ ، العقد الفريد /٣/١٦٢ ـ ١٦٣ ، الذهب المسبوك ص ٢٠١ ـ ٢٠٨ . مع اختلاف في المصادر الثلاثة من حيث الزيادة والترتيب .

رجل يخيف المنصور بمظلمته

ذكر بعض الهاشميين قال كنت جالساً عند المنصور بأرمينية في مجلس المظالم وهو أميرها لأخيه أبي العباس فدخل عليه رجل فقال إن لي مظلمة وأنا أسالك أن تسمع مني مثلاً أضربه قبل أن أذكر مظلمتي قال قل لي ، قال : إني وجدت الله تبارك وتعالى خلق الخلق على طبقات فالصبي إذا خرج إلى الدنيا لا يعرف إلا أمه ولا يطلب غيرها فإن فزع من شيء لجأ إليها ثم يرتفع من ذلك فيعلم أن أباه أعز من أمه فإن أفزعه شيء لجأ إليه ، ثم يبلغ ويستحكم فإن أفزعه شيء لجأ إلى سلطانه ، فإن ظلمه ظالم انتصر به ، فإذا ظلمه السلطان التجأ إلى ربه واستنصره ، وإني كنت في هذه الطبقات ، وقد ظلمني ابن نهيك في ضيعة لي في ولايته فإن نصرتني عليه وأخذت لي مظلمتي ، وإلا استنصرت الله . فانظر لنفسك أيها الأمير ، فتضاءل أبو جعفر فقال : أعد علي الكلام ، فأعاده فقال :

أما أول شيء فقد عزلت ابن نهيك عن عمله ، وأمر برد ضيعته . [1]

*　　*

*　*　*　*

---

(1) الذهب المسبوك ص ٢٠٨

محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب[1] يوصي ويعظ المنصور

قال أبو نعيم حججت سنة حج أبو جعفر وأنا ابن إحدى وعشرين سنة ومعه ابن أبي ذئب ، ومالك بن أنس ، فدعا ابن أبي ذئب فأقعده معه على دار الندوة عند غروب الشمس . فقال له : ماتقول في الحسن بن زيد بن الحسن بن فاطمة ؟ قال : فقال : إنه ليتحرى العدل . فقال له : ماتقول فيَّ مرتين أو ثلاثاً ؟ فقال : ورب هذه البنية إنك لجائر . قال : فأخذ الربيع بلحيته ، فقال له أبو جعفر : كف ياابن اللخناء . وأمر له بثلاثمائة دينار .

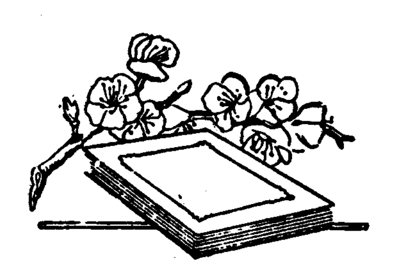
وحدّث محمد بن القاسم بن خلّاد فقال : قال ابن أبي ذئب للمنصور : ياأمير المؤمنين ، قد هلك الناس ، فلو أعنتهم بما في يديك من الفيء ؟ قال : ويلك لولا ماسددت من الثغور وبعثت من الجيوش لكنت تؤتى في منزلك وتذبح ، فقال ابن أبي ذئب : فقد سد الثغور وجيش الجيوش وفتح الفتوح وأعطى الناس أعطياتهم من هو خير منك . قال : ومن هو ويلك ؟ قال : عمر بن الخطاب . فنكس المنصور رأسه ، والسيف بيد المسيب ، والعمود بيد مالك بن الهيثم ، فلم يعرض له ، والتفت إلى محمد بن إبراهيم الإمام فقال : هذا الشيخ خير أهل الحجاز .

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ، أبو الحارث القرشي المدني ، أحد بني عامر بن لؤي بن غالب . وهو أخو المغيرة بن عبد الرحمن بن أبي ذئب . كان فقيهاً صالحاً ورعاً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . أقدمه المهدي أمير المؤمنين بغداد وحدث بها ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة . ولد سنة ٨٠ . كان يصلي الليل أجمع يجتهد في العبادة ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً . توفي سنة ١٥٩ وهو ابن ٧٩ سنة .

وحدّث حسن بن زيد قال : كان وُلّي عبد الصمد على المدينة . قال : فعاقب بعض القرشيين وحبسه حبساً ضيقاً ، قال : وكتب بعض قرابته إلى أبي جعفر فشكى ذلك إليه وأخبره ، فكتب أبو جعفر إلى المدينة وأرسل رسولاً ، وقال : اذهب فانظر قوماً من العلماء فأدخلهم عليه حتى يروا حاله وتكتبوا إليّ بها ، فأدخلوا عليه في حبسه مالك بن أنس ، وابن أبي ذئب ، وابن أبي سبرة وغيرهم من العلماء ، فقال : اكتبوا بما ترون إلى أمير المؤمنين ، قال : وكان عبد الصمد لما بلغه الخبر حل عنه الوثاق وألبسه ثياباً . وكنس البيت الذي كان فيه ورشّه ثم أدخلهم عليه فقال لهم الرسول : اكتبوا بما رأيتم . فأخذوا يكتبون : يشهد فلان ، وفلان . فقال ابن أبي ذئب : لا تكتب شهادتي أنا أكتب شهادتي بيدي ، إذا فرغت ، فارم إليّ بالقرطاس . فكتبوا محبساً ليناً ، ورأينا هيئة حسنة ، وذكروا مايشبه هذا الكلام . قال : ثم دفع القرطاس إلى ابن أبي ذئب ، فلما نظر في الكتاب فرأى هذا الموضع ، قال : يا مالك داهنت وفعلت وفعلت وملت إلى الهوى ، لكن اكتب : رأيت محبساً ضيقاً وأمراً شديداً ، قال : فجعل يذكر شدة الحبس . قال : وبُعِث بالكتاب إلى أبي جعفر ، قال : فقدم أبو جعفر حاجاً فمر بالمدينة فدعاهم ، فلما دخلوا عليه ، جعلوا يذكرون ، وجعل ابن ذئب يذكر شدة الحبس وضيقه ، وشدة عبد الصمد ومايلقون منه ، قال : وجعل أبو جعفر يتغير لونه وينظر إلى عبد الصمد غضبان ، قال الحسن بن زيد : فلما رأيت ذلك أن ألينه ، وخشيت على عبد الصمد من أبي جعفر أن يعجل عليه فقلت : يا أمير المؤمنين ويرضى هذا أحداً ؟ قال ابن أبي ذئب : أما والله إن سألني عنك لأخبرنه . فقال أبو جعفر : وإني أسألك فقال : يا أمير المؤمنين ، وليَ علينا ففعل بنا وفعل وأطنب فيّ ، فلما ملأني غيظاً قلت : أفيرضي هذا أحداً يا أمير المؤمنين ؟ سله عن نفسك ، فقال له أبو جعفر : فإني أسألك عن نفسي ، قال : لا تسألني ، فقال : أنشدك بالله كيف تراني ؟ قال : اللهم لا أعلمك إلا ظالماً جائراً . قال : فقام إليه وفي يده عمود ، فجلس قربه . قال الحسن بن زيد : فجمعت إليّ ثوبي مخافة أن يصيبني من دمه ، فقلت : ألا تضرب العمود ؟ فجعل يقول له : يامجوسي أتقول

هذا لخليفة الله في أرضه ؟ وجعل يرددها عليه ، وابن أبي ذئب يقول : نشدتني بالله يا عبد الله إنك نشدتني بالله . قال : ولم ينله بسوء . قال : وتفرقوا على ذلك . فلما كان الغد دعي به ليدخل على أبي جعفر ، وكان لأبي جعفر خادم كريم عليه ، فجعل الخادم يمس على صدر ابن أبي ذئب ويقول : مرحباً برجل لاتأخذه في الله لومة لائم[1] .



---

(1) تاريخ بغداد ٢/٢٩٨ ـ ٣٠٠ .

أبو العباس أحمد بابا التنبكتي[1] يعظ السلطان أبي العباس أحمد المنصور

لما دخل على السلطان أبي العباس أحمد المنصور داره المسماة بالبديع ، وجده قد اتخذ حجاباً بينه وبين الناس ، وهو من وراء الستارة يتكلم . فقال الشيخ : قال الله تعالى : ﴿ وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ﴾[2] . وأنت تشبّهت برب الأرباب ، وإن كان لك حاجة في الكلام معنا ، فانزل لنا وارفع الحجاب عنا ، فنزل السلطان ، فقال له الشيخ : أي حاجة في نهب متاعي وتصفيدي من تنبكتو إلى هنا[3] حتى سقطت من على ظهر الجمل ، وانكسرت رجلي . فقال له السلطان : أردنا كي تجتمع الكلمة ، فقال له الشيخ : هلاّ جمعتها بترك تلمساني ، فقال له السلطان : قال النبي ﷺ : « اتركوا الترك

---

(١) أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد بن أقيت بن عمر بن علي بن يحيى يعرف ببابا صاحب كتاب (نيل الابتهاج ذيل الديباج) وتكملته (كفاية المحتاج) ولد سنة ٩٦٣ ونشأ في طلب العلم وحفظ بعض الأمهات وألف عدة كتب تزيد على أربعين تأليفاً توفي سنة ١٠٣٦

(٢) سورة الشورى الآية ٥١

(٣) حيث حمل مع أهله مصفدين في الحديد ، ونهبت خزائن كتبهم ، وسقط هو عن الجمل الذي كان يحمله فانكسرت رجله ، وبقوا في مراكش مسجونين عامين ، ثم سرّحوا .

ما تركوكم »[1] . فقال له الشيخ : ذلك زمان وبعد هذا زمان . قال ابن عباس : لا تتركوا الترك وإن تركوكم . فسكت السلطان .

*

* * *

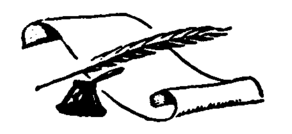
* * * * *

---

(1) أخرجه أبو داود (٤٣٠٢) ورواه النسائي ٦/٤٣ في الجهاد مطولاً . قال السخاوي في المقاصد الحسنة . وبعضها يشهد لبعض (أي رواياته) ولا يسوغ معها الحكم عليه بالوضع .

بعض الزهاد يعظ المنصور

دخل بعض الزهاد على المنصور فقال : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها ، واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده . قال : فأفحم المنصور قولُه وأمر له بمال . فقال : لو احتجت إلى مالك لما وعظتك[1] .

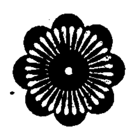


---

(1) البداية والنهاية ١٠/١٢٤ ـ ١٢٥/.

فرج بن فضالة التنوخي[1] يعظ المنصور

دخل المنصور إلى قصر الذهب فقام الناس إلا فرج بن فضالة فقال له وقد غضب عليه : لِمَ لَمْ تقمْ ؟ قال : خفت أن يسألني الله عن ذلك ويسألك لم رضيت بذلك ، وقد كره رسول الله ﷺ القيام للناس . فبكى المنصور وقرّبه وقضى حوائجه[2] .



(١) فرج بن فضالة التنوخي الحمصي ، كان على بيت المال ببغداد في خلافة الرشيد ، ولد سنة ٨٨ ومات سنة ١٧٦ وله ٨٨ سنة .

(٢) البداية والنهاية ١٠/١٧١

وصية أبي يوسف[1] لهارون الرشيد

يا أمير المؤمنين :

إن الله ـ وله الحمد ـ قد قلّدك أمراً عظيماً [2] ثوابه أعظم الثواب [3] وعقابه أشد العقاب [4]

قلّدك أمر هذه الأمة ، فأصبحت وأمسيت وأنت تبني لخلق كثير ، قد استرعاكهم الله [5] وائتمنك عليهم ، وابتلاك بهم [6] وولاك أمرهم [7] ، وليس

---

(١) أبو يوسف : هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن جتة أحد أصحاب رسول الله ﷺ . ولد أبو يوسف في الكوفة سنة ١١٣ هـ ولزم أبا حنيفة وتفقه عليه . قيل عنه : يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب . وهو أول من وضع كتب أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة واشتهر بالقضاء وتتلمذ عليه محمد بن الحسن الشيباني والإمام أحمد بن حنبل وله مصنفات منها : الآثار ـ الرد على سير الأوزاعي ـ اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى الخراج . توفي يوم الخميس أول وقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة ١٨٢ هـ ببغداد عن نحو سبعين عاماً .

(٢) هو الخلافة .

(٣) إن نصح للأمة وسار فيهم بالعدل .

(٤) إن لم ينصح للرعية وظلم وجار .

(٥) استرعاك لهم جعلك راعياً عليهم .

(٦) اختبرك بالإمارة عليهم فالولاية تكليف لاتشريف .

تلي أمورهم أي تقوم بما يصلحها .

يثبت البنيان إذا أسس على غير التقوى[1] فإن القوة في العمل بإذن الله .

لاتؤخر عمل اليوم إلى غد ، فإنك إذا فعلت ذلك أضعتَ[2] ، وإن الأجل دون الأمل[3] ، فبادر الأجل بالعمل[4] ، فإنه لا عمل بعد الأجل[5] ، وإنّ الرُّعاة مؤدون إلى ربِّهم مايؤدِّي الراعي إلى ربه[6] ، فأقم الحق فيما ولاك الله وقلّدك ولو ساعة من نهار[7] ، فإن أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت به رعيته[8] ، ولا تزغ فتزيغ رعيتك[9] ، وإياك والأمر بالهوى[10] والأخذ بالغضب[11] .

شبه الإمارة والأمير والرعية بالبناء الذي يرتكز على أساس وأعمدة وجدران فالكل يكمل بعضه بعضاً ، فأساس الولاية التقوى والخوف من الله تعالى .

(٢) إذ خير البر عاجله فخير العمل ماأنجز في وقته .

(٣) إذا أخرت العمل عن وقته ضاع العمل وفقدت مزيته وفائدته .

(٤) أي إذا أخرت عملاً عن وقته إلى أجل ما فربما يكون أجلك هذا أقصر مما تؤمل فالآجال والأعمار بيد الله وماتدري نفس ماذا تكسب غداً .

(٥) إذا دعتك نفسك إلى تأجيل عمل ما فلاتلب لها هذا المطلب بل اعمله فوراً . إذ ينسى العمل بسبب الأجل فيفقد .

(٦) كل من استرعاه الله رعية من والد مع أولاده وزوج مع زوجته وسيد مع عبده وصاحب مال مع ماله وصاحب غنم مع أغنامه وأمير مع شعبه سيمثلون أمام الله ليؤدي كل منهم ما أوجب الله عليه تجاه ما استرعاه .

(٧) أقم أمر الله فيما استرعاك ولو كان هذا الأمر مدته قصيرة .

(٨) أسعد الرعاة يوم القيامة من أدخل السرور على قلب رعيته بأن أقام الحق فيما بينهم وأدخل السرور على قلوبهم بأن يحسن إلى محسنهم ويعظ مسيئهم ويعطي المحتاج ويقف على مصالحهم وحوائجهم .

(٩) الزيغ : هو الميل . ولاتمل عن الحق والصراط المستقيم فيميلون مثلك

إذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

(١٠) أي احذر الأمر بما تهواه وتطلبه نفسك فإن النفس لأمارة بالسوء والسوء يهوي بالإنسان إلى المدارك .

(١١) أي لايكن أخذك وحكمك للأمر بالغضب ، فإن الغضب من الشيطان والشيطان خلق من نار .

وإذا نظرت إلى أمرين أحدهما للآخرة والآخر للدنيا ، فاختر أمر الآخرة على أمر الدنيا ، فإن الآخرة تبقى والدنيا تفنى [1] ، وكن من خشية الله على حذر [2] .

واجعل الناس في أمر الله عندك سواء ، القريب والبعيد [3] ولا تخف في الله لومة لائم [4] .

واحذر فإن الحذر بالقلب وليس باللسان [5] .
واتق الله فإن التقوى بالتوقّي [6] .

ومن يتقِ الله يقهِ الله [7] ، واعمل لأجل مقبوض [8] ، وسبيل مسلوك [9] ، وطريق مأخوذ [10] ، وعمل محفوظ [11] ، ومنهل مورود [12]، فإن ذلك الموردُ

---

(1) قال تعالى : ﴿ والآخرة خير وأبقى ﴾ .

(2) فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

(3) لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى . والرسول ﷺ قال : « وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

(4) نفذ أمر الله ولا تخشى بعد تنفيذه أن يلومك أو يعاتبك أحد فإرضاء لله مقدم على كل رضى . كما أن إرضاء الناس غاية لا تدرك .

(5) المقصود من هذا أظهر الخوف من نفسك إلى الله والخوف إنما يكون بالقلب لا باللسان أي يكون الخوف من الله تعالى بالعمل لا بالقول فقط فالقول لا يكفي إن لم يصدقه العمل .

(6) التقوى هي الخوف من الله ، ولا يكون الخوف إلا بالحذر من الوقوع فيما يغضب الله .

(7) الذي يخاف الله ويراقبه يحفظه الله تعالى من الوقوع في المهالك .

(8) هو يوم القيامة الذي سيقبض فيه كل إنسان جزاءه على ماعمل .

(9) طريق كتب على كل واحد أن يسلكه ويسير فيه أو القصد منه أن يسير في الطريق الحق الذي يستطيع السير فيه وينتهي به إلى آخره .

(10) القصد منه أن يعمل بعمل يستطيع غيره الاستفادة منه ويأخذ بهديه .

(11) بمعنى أن كل ما يفعله فهو مكتوب ومحفوظ ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ .

(12) المنهل : النبع أو الماء الذي يأتي إليه الناس ويردونه ويشربون منه بمعنى : أن يعمل لهذا اليوم الذي سوف يرده جميع الناس لا مهرب لهم منه .

الحق[١] ، والموقف الأعظم[٢] ، الذي تطير فيه القلوب[٣] ، وتنقطع فيه الحجج[٤] ، لعزة ملك قهرهم جبروته[٥] ، والخلق له داخرون بين يديه[٦] ، ينتظرون قضاءه ، ويخافون عقوبتَه . وكأن ذلك قد كان ، فكفى بالحسرة والندامة يومئذ في ذلك الموقف العظيم[٧] لمن عَلِم ولم يعمل ليوم تزِل فيه الأقدام[٨] ، وتتغير فيه الألوان[٩] ، ويطول فيه القيام ، ويشتد فيه الحساب . يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾[١٠] . وقال تعالى : ﴿ هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين ﴾[١١] . وقال عز وجل : ﴿ إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ﴾[١٢] . وقال عز وجل : ﴿ كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ﴾[١٣] . وقال : ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾[١٤] .

---

(١) إن هذا اليوم يوم القيامة هو اليوم الحق .

(٢) إذ هو أعظم وأهول موقف يقفه الناس .

(٣) من شدة الهول والفزع والخوف .

(٤) في ذلك الموقف العظيم لايستطيع أحد أن يدلي بحجته فإن كانت معه حجة تذهب حجته .

(٥) تذهب الحجج إجلالاً وخوفاً من العزيز الذي لايغلب الملك القاهر الذي أجبرهم على الوقوف في هذا الموقف العظيم .

(٦) داخرون : صاغرون .

(٧) أي كأني بالله تعالى قد أوقف الجميع في ذلك الموقف العظيم وقد قهر الخلق بكبريائه إذ أوقفهم أمامه عز وعلا وانقطعت حججهم فهو يصور ذلك الموقف أنه قد حصل .

(٨) أي تكفي الإنسان في هذا الموقف الندامة والحسرة ذلاً وصغاراً لأنه علم بأنه سوف يقف هذا الموقف الذي ستزل به قدمه ولم يعمل له .

(٩) فمن طبيعة الخائف أن يتغير له لونه .

(١) سورة الحج آية ٤٧

(١١) سورة المرسلات آية ٣٨ . ويوم الفصل هو يوم القيامة ويسمى بذلك لأنه يفصل بين الحق والباطل أو أنه يوم القضاء جمع فيه الأولون والآخرون .

(١٢) سورة الدخان آية ٤٠

(١٣) سورة الأحقاف آية ٣٥

(١٤) سورة النازعات آية ٤٦

فياها من عثرة لاتقال[١] ، ويالها من ندامة لا تنفع[٢] ، إنما هو اختلاف الليل والنهار ، يُبليان كل جديد[٣] ، ويقربان كل بعيد[٤] ، ويأتيان بكل موعود[٥] ، ويجزي الله كل نفْس بماكسبت ، إن الله سريع الحساب[٦] .

فاللهَ الله ! [٧] فإن البقاء قليل والخطر عظيم[٨] ، والدنيا هالكة وهالك من فيها ، والآخرة هي دار القرار[٩] ، فلا تلقين الله ـ عز وجل ـ غداً وأنت سالك سبيل المعتدين[١٠] ، فإن ديان يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ، ولا يدينهم بمنازلهم[١١] ، وقد حذرك الله فاحذر[١٢] ، فإنك لم تخلق عبثاً[١٣] .

---

(١) في يوم القيامة يتعثر الإنسان ويقع ولايستطيع أن يقيله أو أن ينتشله أحد .

(٢) وحينما يرى الإنسان ذلك الموقف العظيم وأنه سوف يحاسب بما عمل فيندم ولات ساعة مندم ، حيث لا تنفع الندامة ، ولا ينفع التحسر .

(٣) ذلك الموقف الشديد الذي يندم فيه الإنسان على ماقصر من عمل إنما هو بسبب اختلاف الليل والنهار وتقلبهما . فكلما جدّ شيء بلِيَ وانتهى وصار عتيقاً قديماً .

(٤) تبدل الليل والنهار يجعل البعيد قريباً فيطيل الإنسان أمله ويركن إلى الدنيا وشهواتها بسبب مايزين له الشيطان وتحببه له النفس .

(٥) اختلاف الليل والنهار وتغير أطوارهما يأتيان بكل مامنت به النفس ووعدت فيركن الإنسان لذلك .

(٦) ويوم القيامة يرتهن الإنسان بما قدم إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

(٧) احذر الله أو خف من الله أو اجعله نصب عينك بأن تراقبه .

(٨) البقاء في هذه الدنيا بالنسبة لعمر الإنسان قصير والحساب يوم القيامة يصبح عمل الإنسان فيه خطيراً إن لم يكن خالصاً لوجه الله أو إن لم يعمل الإنسان مطلقاً عمل خير .

(٩) الدنيا سوف تفنى ويفنى من عليها ، حيث يرجع الجميع إلى الآخرة لأنها هي المستقر والمستودع .

(١٠) أي لا يكن عملك كعمل الذي اعتدوا فيكون طريقك إلى طريق المعتدين .

(١١) فإن الله تعالى الذي يدين له الجميع بالربوبية إنما يحاسب الناس بأعمالهم لا بما كانوا عليه من مناصب في الدنيا .

(١٢) قد خوفك الله من مغبة عصيانه ومخالفة أمره فابتعد عن مخالفته وعصيانه .

(١٣) فالإنسان لم يخلق إلا ليعبد ربه وخالقه ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾ .

ولن تترك سدى[1] وإن الله سائلك عما أنت فيه[2] ، فانظر ما الجواب ؟[3] .

واعلم أنه لن تزولَ غداً قدمُ عبدٍ بين يدي الله ـ عز وجل ـ إلا من بعد المسألة[4] . فقد قال رسول الله ﷺ : « لا تزولُ قدم عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : عن علمه ، ما عمل فيه[5] ، وعن عمرُه فيم أفناه ؟[6] ، وعن ماله ، من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه[7] ، وعن جسده فيم أبلاه[8] »[9] .

فأعدَّ يا أمير المؤمنين للمسألة جوابها[10] فإن ماعملت وأتيت فهو عليك غداً يقرأُ[11]، فاذكر كشف قناعك فيما بينك وبين الله في مجمع الأشهاد[12] .

وإني أوصيك ـ يا أمير المؤمنين ـ بحفظ ما استحفظك الله[13] ورعاية

---

(١) ولن تترك مهملاً بدون حساب أو سؤال وجواب .

(٢) أي من الملك والمال والجاه .

(٣) أي لتكن مستعداً ومؤهلاً لما تجيب به عما أنت فيه من ملك ومال وجاه .

(٤) أي لاتتحرك قدماه من الموقف يوم القيامة بحيث لايؤمر به إلى جنّة أو نار حتى يسأله الله تعالى .

(٥) هل تعلمه لله أم ليقال إنه عالم ، هل قام بأمر التعليم الذي كلفه الله به لغيره أم لا ، هل عمل بماعلم وطبقه أم لا .

(٦) هل أفنى عمره وقضاه في أعمال الخير والبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أم قضاه في اللهو واللعب وأمور الدنيا ومخالفة أوامر الدين .

(٧) هل اكتسب ماله من طريق مشروع لم يكن من ربا أو سرقة أو نهب أو قطع طريق أو غير ذلك أم اكتسبه من كد يمينه وعرق جبينه وعمل يده أم لا وهل أنفق هذا المال في وجوه الخير وأمور حياته المعيشية أم لا .

(٨) هل أبلى جسده في طاعة ربه وشكر نعمه أم بغير هذا .

(٩) الترمذي تحفة الأحوذي ١٠١/٧/ وقال حسن صحيح .

(١٠) المسألة : السؤال .

(١١) يقول الله تعالى : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ .

(١٢) تذكر السؤال يوم القيامة حينما يظهر الله تعالى كل ماعملته في الدنيا أمام الخلق أجمعين ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ .

(١٣) من حواس ومال .

ماastرعاك[١] ، وأن لا تنظر في ذلك إلا إليه وله[٢] ، فإنك إنْ لا تفعل تتوعر عليك سهولة الهدى[٣] ، وتتعمّى في عينيك رسومه[٤] ، وتضيق عليك رحابه[٥] ، وتُنكِر منه ماتعرف ، وتعرف منه ماتنكر[٦] .

فخاصم نفسك خصومة من يريد الفلح لها لاعليها[٧] فإن الراعي المضيِّع يضمن ما هلك على يديه مما لو شاءَ ردّه عن أماكن الهلكة بإذن الله وأورده أماكن الحياة والنجاة[٨] فإذا ترك ذلك أضاعه وإن تشاغل بغيره كانت الهلكة عليه أسرع ، وبه أضرّ[٩] وإذا أصلح كان أسعد من هنالك بذلك[١٠] ووفّاه الله أضعاف ماوفّى له[١١] ، فاحذر أن تضيع رعيتها فيستوفي ربُّها حقها منك[١٢] ، ويضيعك بما

---

(١) من الخلق والناس .

(٢) حينما تحافظ على حواسك ومالك والرعية لاتنظر في هذا إلا لله تعالى .

(٣) إن لم تنظر إلى الله تعالى في المحافظة على الحواس والمال والرعية يصعب عليك ماتراه من سهولة الطريق الذي تسلكه .

(٤) تكون ملامح الطريق ومسالكه واضحة ولكن لاتبصرها ولاتميزها .

(٥) رغم سعة الطريق يضيق عليك .

(٦) أي تضيع عليك الأمور فترى الخطأ صواباً والصواب خطأ وتستبعد الحق وتأمل الباطل .

(٧) خاصم نفسك الأمارة بالسوء خصام من يتمنى لها الفلاح والفوز وهذا الخصام يكون خصام من يريد لها الخير بحيث لايكون سبباً لنفورها وضياعها .

(٨) أي أن الراعي الذي يرعى الحيوانات ويقصر في عمله يطلب منه التعويض فيما لو أهمل إرجاع الحيوانات التي تأتي إلى الأماكن الممنوعة التي يسبب ورودها عليه ضياعها وموتها وكذلك الإنسان الذي يترك لنفسه الحبل على الغارب ولايتعهدها بالنصح والإرشاد سيحاسب على هذا الإهمال والتقصير .

(٩) فإذا لم يتعهد نفسه بإصلاحها وتقويمها وأشغله حب الدنيا وشهواتها أضرّ بنفسه وقضى عليها بسرعة الهلاك .

(١٠) فإذا أصلح نفسه وتعهدها بالنصح والإرشاد كان يوم القيامة من أسعد الخلق بهذا التعاهد .

(١١) يعطيه الله جزاء ما عمل أضعافاً مضاعفة .

(١٢) إن أهملت في حق رعيتك فلم تقم فيها كما يقوم الراعي يكن الأمر خسارة لك بأن يأخذ حقوقها منك وأنت لا تستطيعه .

أضَعْتَ أجرك[١] ، وإنما يُدْعم البنيان قبل أن ينهدم[٢] ، وإنما لك من عملك ماعملت فيمن ولّاك الله أمره ، وعليك ماضيَّعْت منه[٣] ، فلاتنس القيام بأمر من ولاك الله أمر فلست تُنسى[٤] ، ولاتَغْفُل عنهم وعما يصلحهم فليس يُغْفَل عنك[٥] .

ولا تضيَعنّ حظك من هذه الدنيا في هذه الأيام والليالي[٦] ، وعليك بكثرة تحريك لسانك في نفسك بذكر الله تسبيحاً وتهليلاً وتحميداً ، والصلاة على رسول الله ﷺ نبي الرحمة وإمام الهدى ﷺ .

فإن الله بمنه ورحمته وعفوه جعل ولاة الأمر خلفاء في أرضه ، وجعل لهم نوراً يُضيء للرعية ماأظلم عليهم من الأمور فيما بينهم ويبين ما اشتبه من الحقوق عليهم ، وإضاءة نور ولاة الأمر إقامة الحدود ، ورد الحقوق إلى أهلها بالتثبت والأمر البيّن ، وإحياء السنن التي سنّها الصالحون أعظم موقعاً ، فإن إحياء السنن من الخير الذي يحيا ولا يموت . وجور الراعي هلاك للرعية . واستعانته بغير أهل الثقة هلاك للعامة .

فاستتم ما آتاك الله يا أمير المؤمنين من النعم بحسن مجاورتها[٧] والتمس الزيادة فيها بالشكر فإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم

---

(١) تضيع يوم القيامة ويهملك ربك بسبب إهمالك لرعيتك وتفقد أجرك على عملك الذي كنت تظن أنك ستقبضه .

(٢) أي حافظ على رعيتك وادعم هذا البنيان وتعهده وحافظ على بنائه قبل أن ينهدم الأجر الذي نمّيته .

(٣) أي لك أجر ماعملت من خير في رعيتك وعليك وزر ماقصّرت في حقهم .

(٤) أي لا تضيع أمر الله ولا تنساه في حق رعيتك فإذا ضيعته فإن الله ينظر إليك ولا يهملك ولا ينساك . أو إذا قمت بحق رعيتك فإن الله يضاعف لك أجرك ولا ينساك .

(٥) أي أن الله لا يغفل عنك إن غفلت عن رعيتك وقصرت في حقهم .

(٦) أي لاتنس نصيبك من الدنيا فتضيع حقك فيها أو تظلم نفسك فيها بل تزود من الدنيا في أيامك ولياليك .

(٧) أي حافظ على تمام النعمة بحسن التصرف بها .

ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾[1] . وليس شيء أحب إلى الله من الإصلاح ، ولا أبغض إليه من الفساد والعمل بالمعاصي كفر النعم . وقلّ من كفر من قوم قطّ النعمة ثم لم يفزعوا إلى التوبة إلا سُلبوا عزّهم وسلّط الله عليهم عدوهم[2] . وإني أسأل الله يا أمير المؤمنين الذي منّ عليك بمعرفته فيما ولاك أن لايكلك في شيء من أمرك إلى نفسك ، وأن يتولى منك ماتولّى من أوليائه وأحبائه ، فإنه ولي ذلك والمرغوب إليه فيه[3] .



---

(١) سورة إبراهيم آية ٧

(٢) أي من كفر بالنعمة ثم لم يتب ويسرع التوبة والندم إلا أصبح ذليلاً بعد أن كان عزيزاً .

(٣) الذي من عليك بمعرفته فيما ولاك أي جعلك خبيراً بشؤون الرعية أن لايكلك في شيء من أمرك إلى نفسك إذ النفس أمارة بالسوء .

رسالة الإمام مالك[1] لهارون الرشيد

كتب الإمام مالك بن أنس - رضي الله عنه - بهذه الرسالة إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ووزيره يحيى بن خالد البرمكي[2] .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري ، أبو عبد الله : إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه تنسب المالكية ، مولده ووفاته بالمدينة . كان صلباً في دينه ، بعيداً عن الأمراء والملوك ، وشيَ به إلى جعفر عم المنصور العباسي ، فضربه سياطاً انخلعت لها كتفه . ووجه إليه الرشيد العباسي ليأتيه فيحدثه ، فقال : العلم يؤتى ، فقصد الرشيد منزله واستند إلى الجدار ، فقال مالك : يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم ، فجلس بين يديه فحدثه ، وسأله المنصور أن يضع كتاباً للناس يحملهم على العمل به ، فصنف (الموطأ) وله رسالة في (الوعظ) وكتاب في (المسائل) ورسالة (في الرد على القدرية) وكتاب (في النجوم) و (تفسير القرآن) وأخباره كثيره . الأعلام للزركلي .

(٢) يحيى بن خالد بن برمك أبو الفضل ، الوزير السريّ الجواد ، سيد بني برمك وأفضلهم ، وهو مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه ، رضع الرشيد من زوجة يحيى مع ابنها الفضل ، فكان يدعوه يا أبي ! وأمره المهدي (سنة ١٦٣) وقد بلغ الرشيد الرابعة عشرة من عمره ، فكان يلازمه ، وكان كاتباً له ، وأكرمه بمائة ألف درهم ، وقال : هي معونة لك على السفر مع هارون ، ولما ولي هارون الخلافة دفع خاتمه إلى يحيى ، وقلده أمره . واستمر إلى أن نكب الرشيد البرامكة فقبض عليه وسجنه في (الرقة) إلى أن مات . الأعلام للزركلي .

أما بعد ، فإني كتبت إِلَيْكَ بِكِتَابٍ لَمْ آلُكَ فِيهِ رشداً ، ولَمْ أَدَّخرك فيه نُصْحاً ، تحميداً لله ، وأَدباً عن رسول الله ﷺ فتدبَّره بعقلك ، وردِّد فيه بصرك ، وارعه سمعَك ، ثم اعقله بقلبك ، واحضِره فهمك ، ولا تُغيِّبَنَّ عنه ذِهنَك ، فإنِ ، فيه الفضل في الدنيا ، وحسن ثواب الله تعالى في الآخرة ، اذكر نفسك في غمرات الموت وكربه ، وما هو نازل بك منه ، وما أنت موقوف عليه بعد الموت من العرض على الله سبحانه ، ثم الحساب ، ثم الخلود بعد الحساب ، وأَعِدَّ لله عز وجل ما يُسَهِّلُ به عليك أَهوال تلك المشاهد وكُرَبها ، فإنك لو رأَيت أَهل سخط الله تعالى ، وما صاروا إليه من ألوان العذاب ، وشدة نقمته عليهم ، وسمعت زفيرهم في النار وشهيقهم مع كلوح وجوههم ، وطول غمهم ، وتقلبهم في دركاتها على وجوههم ، لا يسمعون ولا يبصرون ، ويدعون بالويل والثبور ، وأعظم من ذلك حسرَةً إعراض الله تعالىَ عنهم ، وانقطاع رجائهم ، وإجابته إياهم بعد طول الغم بقوله : ﴿ اخْسَؤوا فيها ولا تُكَلِّمونِ ﴾[1] .

لم يتعاظمك شيءٌ من الدنيا إن أَردت النجاة من ذلك ، ولأَمَّنك من هوله ، ولو قدمت في طلب النجاة منه جميع ماملك أَهل الدنيا ـ كان في معاينتك ذلك صغيراً ، ولو رأَيت أَهل طاعة الله تعالى ، وماصاروا إليه من كرم الله عز وجل ، ومنزلتهم مع قربهم من الله عز وجل ، ونضرة وجوههم ، ونور أَلوانهم ، وسرورهم بالنعيم المقيم ، والنظر إليه والمكانة منه ـ لتقلَّلَ في عينك عظيم ما طلبت به صغير ما عند الله ، ولصغر في عينك جسيم ما طلبت به صغير ذلك من الدنيا ، فاحذر على نفسك حذراً غير تغرير ، وبادر بنفسك قبل أن تسبق إليها ، وما تخاف الحسرة منه عند نزول الموت ، وخاصم نفسك على مهل ، وأَنت تقدر بإذن الله على جر المنفعة إليها ، وصرف الحجة عنها ، قبل أَن يتولى الله حسابها ، ثم لا تقدر على صرف المكروه عنها ، واجعل من نفسك لنفسك نصيباً بالليل والنهار .

---

(١) سورة المؤمنون آية ١٠٨

ما ينبغي صلاته بالنهار :

وصَلِّ من النهار اثنتي عشرة ركعة ، واقرأ فيهن ماأَحببت ، إن شئت صلِّهن جميعاً ، وإن شئت متفرقات ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أَنه قال : « مَنْ صَلى مِنَ النَّهَارِ اثْنَتَى عشرة رَكْعَةً بَنَى الله لَهُ بَيْتاً في الجَنَّةِ » .

ما ينبغي صلاته بالليل :

وصَلِّ مِنَ الليل ثمان ركعات بجزءٍ من القرآن ، وأعط كل ركعة حقها ، والذي ينبغي فيها من تمام الركوع والسجود ، وصلِّهن مثنى مثنى ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أَنه كان يصلي من الليل ثمان ركعات ، والوتر ثلاث ركعات سوى ذلك يُسلم من كل اثنتين .

ماينبغي صيامه في الشهر :

وَصُم ثلاثة أَيام من كل شهر : الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « ذلِكَ صِيامُ الدهر » .

من يستحق الصدقة وأقسامهم :

وأعْط زَكاة مالك طيبة بها نفسك حين يحول عليه الحول ، ولاتؤخرها بعد حلها ، وضعها فيمن أَمر الله تعالى ، ولا تضعها إلا في أَهل ملتك من المسلمين ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أَنه قال : « إنَّ الله تَعَالى لَمْ يَرْضَ مِنَ الصَّدَقَةِ بِحُكْم نَبِيٍّ ولا غَيْرِه حتّى حَدَّها هُوَ على ثَمَانِيَةِ أَجْزَاءٍ » . قال عز وجَلَّ : ﴿ إنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلفُقَرَاءِ وَالمسَاكِينِ والعَامِلِينَ عَلَيهَا والمُؤلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفي الرِّقَابِ والغَارِمينَ وَفي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَبِيلِ ﴾[1] .

---

(١) سورة التوبة آية ٦٠

الحج مغفرة للذنوب :

واحْجُجْ حجة الإسلام من أَطيب مالك . وأَزكاه عندك ، فإن الله تعالى لا يقبل إلا طيباً . وبلغني أن قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ تعَجَّل في يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيهِ ومَنْ تَأَخَّر فَلا إِثْمَ عَلَيه ﴾[1] غُفْرٌ لَهُ .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

مُرْ بِطَاعة الله وأَحْبِب عليها ، وانْهَ عَنْ معاصي الله تعالى ، وأبغِض عليها ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « مُرُوا بالمعْرُوفِ ، وانهُوا عَنِ المُنْكَرِ ، فإِنَّمَا هَلك مَنْ كانَ قَبْلَكُم بِتَرْكِهِم نَهْيَهُهم عَن المَعَاصي ، ولَم يَنْهَهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ والأَحْبَارُ » . فَمُرُوا بالمعروف ، وانهو عن المنكر من قبل أن ينزل بكم الذي نزل بهم ، فإن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر لايُقَدِّمُ أَجلاً ، ولا يقطع رزقاً .

رحمة الخدم والنهي عن الكبر :

أَحْسِن إلى مَنْ خَوَّلك الله تعالى ، واشكر تفضيله إياك عليهم ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه كان يُصَلِّي فانصرف ، وقال : « أَطَّتِ السَّمَاءُ ، وحقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ ، مافِيْهَا مَوْضِعُ أَرْبَع أَصَابعَ إلا عَلَيهِ جَبْهَةُ مَلَك سَاجِد ، فَمَنْ كانَ لَهُ خَوَلٌ فَلْيُحسِنُ إِلَيْهِ ، ومَنْ كَرِهَ فَلْيَسْتَبْدِلْ ، ولاتُعَذِّبُوا خَلْقَ الله » .

تأديب الأهل والأولاد :

أَلْزِم الأَدب من وِليت أَمره وأَدبه ، ومن يجب عليك النظر في أَمره ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال للفضل بن العباس : « لا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ ، وأَخِفْهُم في الله » .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠٣

ما هو الكبر :

لاتستسلم إلى الناس واسْتَجْرِهم[1] في طاعة الله ، لا تَغْمَص النَّاس[2] ، واخْفِضْ لهم جناحك ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « ألا أُحَدِّثُكم بِوَصيَّةِ نُوح ابنَهُ . قال : آمُرُكَ باثْنين ، وأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَين ، آمُرُكَ بِقَولِ لا إلهَ إلا الله ، فإنَّهَا لَوْ كانَتْ في كِفَّةٍ ، والسَّمواتُ والأَرْضُ في كفَّة وَزَنَتْهَا ، ولَو وَضَعتَها على حَلَقة قَصَمَتها ، وَقُلْ : سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِهِ فإنَّهَا عِبَادَةُ الخَلق ، وبِها تُقْطَعْ أرزاقهم ، فإنهُما يُكثرانِ لمَنْ قالهُمَا الولوج على الله عَزَّ وجَلَّ ، وأنهاكَ عَن الشرك والكبْر ، فإنَّ الله مُحتجبٌ عنهما ، فقال له بعض أصحابه : أمن الكِبر أن يكون لي الدَّابةُ النجِيبة ؟ قال : لا . قال : أمنَ الكبرِ أن يكون لي الثوب الحسن ، قال : لا ، قال : أفمن الكبر أن يكون لي الطعام أجمعُ عليه الناس ؟ قال : لا . إنما الكبر أن تسفه الحق ، وتغمص الخلق ، وإياك والكبرَ والزهوَ ، فإن الله عز وجل لا يحبهما ، وبلغني عن بعض العلماء أَنه قال : « يُحشرُ المتكبرونَ يومَ القيامةِ في صُوَرِ الذَرِّ تَطَؤُهُمْ النَّاسُ بتكبرهم على اللهِ عزَّ وجلَّ » .

خوف الله :

لا تأمن على شيء من أمرك من لا يخاف الله ، فإنه بلغني عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : شاورْ في أمرك الذين يخافون الله ، احذر بطانة السوءِ ، وأهل الردى على نفسك ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من نبيٍّ ولا خليفةٍ إلا ولهُ بطانتان : بطانةٌ تأْمرهُ بالمعروفِ وتنهاهُ عن المُنكرِ ، وبطانةٌ لا تألُوهُ خَبالا ، وهوَ معَ التي استولتْ عليه ، ومنْ وُقِيَ بطانةَ السُّوءِ فقد وُقِيَ » .

إكرام الجار والضيف :

واستبطن أهل التقوى من الناس ، وأكرم ضيفك فإنه يحق عليك إكرامه ،

---

[1] استجرهم : أي استخدمهم واستعملهم .

[2] لا تغمص الناس : أي لا تحتقرهم .

وارْعَ حق جارك ببذل المعروف ، وكف الأذى عنه ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « منْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليوم الآخرِ فليكرمْ جارهُ ، ومنْ كانَ يُؤمِنُ بالله واليوم الآخِرِفليكرمْ ضيفَهُ » .

القول الحسن أو السكوت :

وتكلم بخير أو اسكت ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « منْ كانَ يؤمنُ بالله واليوم الآخرِ فَليقُلْ خيراً أوْ ليمسكْ » .

أخلاق المسلم :

واتق فضول المنطق ، فإنه بلغني عن ابن مسعود أنه قال : أُنذركم فضول المنطق ، وأكرم من وادَّك ، وكافئه بمودَّته ، وإياك والغَضَب في غير الله ، لاتأْمُرْ بخير إلا بدأْتَ بفعله ، ولاتنه عن سوءٍ إلا بدأت بتركه ، دع من الأمر ما لا يعنيك ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « منْ حُسْنِ إسلام المرءِ تركهُ ما لا يَعْنِيه » .

صِلْ منْ قطعك ، واعف عمن ظلمك ، واعط من حرمك ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « إنَّهَا أفضلُ أخْلاقِ الدنْيَا والآخِرَة » .

اتَّقِ كثرة الضحك ، فإنه يدعو إلى السفه ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أن ضحكه كانت تبسماً .

المزاح :

لا تمزح فتذم نفسك ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « إنِّي لأمْزَحُ ولا أقولُ إلا حقاً » .

العمل بالقول :

لا تخالف إلى ما نهيتَ عنه ، وإذا نطقتَ فأوجِز ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه

قال : « وهَلْ يَكُبُّ الناس في نارِ جهنمَ إلا هذَا » . يعني لسانه .

عدم الذل :

لا تصعِّر خدَّك للناس ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « إنَّ أهلَ الجنةِ كُلُّ هَينٍ لَينٍ سَهْلٍ طَلْق » .

عمل الخير في السر والعلن :

اترك من أعمال السر ما لا يحسن بك أن تعمله في العلانية . اتق كل شيءٍ تخاف فيه تهمة في دينك ودنياك ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « منْ كانَ يُؤمِنُ بالله واليوم الآخِرِ فلا يَقِفْ مواقفَ التُّهَم » .

عدم سؤال الناس :

أَقلل طلب الحوائج من الناس ، فإن في ذلك غضاضة ، وبلغني عن النبي ﷺ أنه قال لرجل : « لا تسأل النَّاس ، وليكن مجلسكَ بيتكَ أوْ مسْجدك » ، وبلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « المساجدُ بيوتُ المُتَّقينَ » .

عدم الخروج من البيت إلا لحاجة :

لا تكثر الشخوص من بيتك إلا في أمر لابد منه . فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « ستةُ مجالس المسلم ضَامِنٌ على الله ما كان في شيءٍ منهُنَّ : في سبيلِ الله ، أو في بيتِ الله ، أو في عيادة مريض ، أو شهود جنازَة أو جُمعة أو عِنْدَ إمَام مُقْسِطٍ يعزرهُ ويُوَقِّرُهُ » .

حسن الخلق :

أحسن خُلقك مع أهلك ، ومَن اعتز بك ، فإن ذلك رضا لربك ، ومحبة في أهلك ، ومَثْراة في مالك ، ومنسأَة في أَجلك .

فإنه بلغني عن بعض العلماءِ من الصحابة أنه قال ذلك .

معاملة الناس معاملة حسنة :

أحسن البشْر إلى عامة الناس ، واتق شتمهم وغيبتهم فإن الله تعالى قال : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ ﴾[1] . وبلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تَشْتُمِ النَّاسَ » .

مجانبة أهل الفحش :

اتَّقِ أَهل الفحش ، ومجالسة أَهل الردى ، ومحادثة الضعفة من الناس ، فإنه بلغني عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أَنه قال : اعتبر الناس بأَخدانهم فإنما يخادن الرجلُ الرجلَ مثله .

إكرام اليتيم :

أكرم اليتيم ، وارحمه ، واعطف عليه ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أَنه قال : « مَنْ كفل يَتِيماً لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ في الجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ » وأَشار بأُصبعيه فضمهما .

حق ابن السبيل :

اعرف لابن السبيل حقه ، واحفظ وصية الله تعالى فيه ، فإنه بلغني أَن أَول من ضاف الضيف إبراهيم الخليل عليه السلام .

إعانة المظلوم :

أَعِن المظلوم ، وانصره ما استطعت ، وخذ على يد الظالم ، وادفعه عن ظلمه فإنه بلغني عن النبي ﷺ أَنه قال : « مَنْ مَشَى مَعَ مَظْلُومٍ حَتَّى يُثْبِتَ لَهُ حَقَّه ، ثَبَّت قَدَمَهُ يومَ تَزُولُ الأَقْدَامُ » .

---

(١) سورة الحجرات آية ١٢

مجانبة الهوى :

اتق اتباع الهوى في ترك الحق ، فإنه بلغني عن النَّبي ﷺ أنه قال : « إنِّي أَخَافُ عَلَيكُم اثْنَتَين : اتِّبَاع الهَوَى ، وطُول الأَمَلِ » . فإن اتباع الهوى يَصُدُّ عن الحق ، وطول الأَمل ينسي الآخرة .

إنصاف الناس من النفس :

أَنصف الناس من نفسك ولا تستطل عليهم ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « أَشْرَفُ الأَعمال ثَلاثَةٌ : ذِكْرُ اللهِ على كُلِّ حَال ، ومُوَاسَاةُ الأَخ مِنَ المَال ، وإنْصَافُ النَّاس مِنْ نَفْسِك » .

غض البصر :

اغضض بصرك عن محارم الله ، فإنه بلغني عن عليٍّ ـ كرَّم الله وجهه ـ أنه قال : لا تتبع النظرة النظرة ، فإنما لك النظرة الأولى ، وليست لك الأُخرى .

الأكل والملبس والمشرب الحلال :

اتَّقِ المطعم الوَبِيَّ[1] ، والمشرب الوبيَّ ، فإنَّ ذلك تذهب أُنفته[2] ، وتبقى عاقبته ، وإن الله سبحانه أَدَّب رسله ، فقال : ﴿ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ واعْمَلُوا صالِحاً ﴾[3] . وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَكَلَ بِأَخِيهِ المُسْلِم أَكلَة ، أَطْعَمَهُ الله مَكَانَهَا أَكلَة مِنْ نَارٍ ، ومَنْ سَمَّعَ بِأَخِيهِ المُسْلِم ، سَمَّعَ الله بِهِ يَومَ الْقِيَامَةِ ، ومَنْ لَبِسَ بأَخيه المُسْلِم ثَوْباً ، أَلْبَسَهُ الله مَكَانَهُ ثَوْباً مِنْ نَارٍ » .

---

(١) الوبيّ : الممرض المهلك .

(٢) أنف الشيء وأنفته : ابتداؤه وأوله .

(٣) سورة المؤمنون آية ٥١

قبول العذر :

اقبل عذر من اعتذر إليك ، وارجع عما كرهت ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنِ اعْتَذَرَ إلى أَخِيهِ المُسْلِم فَلَم يَعْذرْهُ كانَ عَلَيهِ مِثلُ وِزْرِ صاحِب مَكْس » .

اليد العليا :

لِتكن يدك العليا على كل من خالطت ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « اليَدُ العُلْيَا خيْرٌ مِنَ اليَد السُّفْلى » .

مصاحبة الأخيار :

اصحب الأَخيار فإنهم يعينونك على أَمر الله عزَّ وجل ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « ما تَحَابَّ رَجُلان في الله إلا كانَ أَفضَلهُمَا أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِه » .

صلة الرحم وإن قطع :

صِل رحمك وإن قطعك ، ولا تكافئه بمثل ما أتى إليك ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أَن رجلا قال له : « إنَّ لي أَقرباءَ ، أَعْفُو ويَظْلِمُوني ، وأَصِلُ ويَقْطَعُوني ، وأُحْسِنُ ويُسِيئُون ، أَفَأُكافِئُهُم ؟ » فقال ﷺ : « إِذْن تُتركُوا جميعاً ، ولكِنْ إذا أَساؤوا فأَحْسِنْ ، فإنَّهُ لَنْ يَزَالَ لكَ عَلَيهم مِنَ الله ظَهِيرٌ » .

إعانة الغريب :

ارحم المسكين المضطر ، والغريب المحتاج ، وأَعِنْهُ على ما استطعت من أَمره ، فإنه بلغني عن ابن عباس أَنه قال : « كل معروف صدقة » .

إعطاء السائل :

ارحم السائل ، واردده من بابك بفضل معروفك ، بالبذل منك ، أَو قول

معروف تقوله له ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « رُدَّ عَنْكَ مَذمَّةَ السَّائِلِ بِمِثْلِ رَأسِ الطَّيْرِ مِنَ الطَّعَامِ » .

فعل المعروف :

لا تزهد في المعروف عند من تعرفه ، وعند من لا تعرفه ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تَزْهَدْ في الْمعرُوف ولَوْ أَنْ تصُبَّ مِنْ دَلْوِكَ في إنَاءِ الْمُستَقِي » .

الإخلاص في العمل :

أَرِدْ بِكُلِّ ما يكون منك من خير إلى أحدٍ الله ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أن قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَوَيْلٌ لِلمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ ﴾[1] . . . الآية . قال : الْمُنافق الَّذِي إنْ صَلَّى رَاءَى ، وإنْ فَاتَتْهُ لم يبْلُغ إليها ﴿ ويَمْنَعُونَ المَاعُونَ ﴾[2] قال : المَاعُونُ : الزَّكاةُ التي فَرضَهَا الله عزَّ وجلَّ .

مجانبة الرياء :

إياك والرِّياءَ ، فإنه بلغني أَنهُ لا يصعد عمل المرائي إلى الله عزَّ وجل ، ولا يزكيه عنده . إن استطعت أن تعمل بعمل ما عملت فيما بينك وبين الله فافعل ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « نَضَّرَ الله امْرَءاً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعاهَا حتَّى يُبَلِّغَهَا غَيْرَهُ ، فَرُبَّ غَائِبٍ أَحْفَظَ مِنْ شَاهِدٍ ، ورُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْر فَقِيه » .

لا يغفل قلب امرىء مسلم عن ثلاث خصال : إخلاص العمل لله ، والنصيحة للإمام العادل ، والنصيحة لعامة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم .

---

(١) سورة الماعون آية ٤ ، ٥

(٢) سورة الماعون آية ٧

مجانبة سوء الخلق :

إياك وسوءَ الخلق ، فإنه يدعو إلى معاصي الله تعالى ، وقد بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « خِيَارُكُم أَحْسَنُكم أَخْلاقاً » .

الخضوع لله :

اخضع لله إذا خلوت بعملك ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ : « أنَّ مَلَكاً أَتاهُ فَقَالَ : إنَّ رَبَّكَ يُقْرِئك السَّلام ويَقُولُ : إنْ شِئْتَ أَجْعَلكَ مَلكاً نَبِيًّا أَوْ عَبْداً نبيّاً ، فأَشارَ إليهِ جِبْرِيلُ عَليهِ السلام أَنْ تَوَاضَعْ ، فَما أَكَلَ مُتَّكِئاً حَتَّى ماتَ » .

الظلم :

لا تظلم الناس فيديلهم الله عليك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال : ما ظلمت أَحداً أَشد عليَّ ظلماً من أَحد لا يستعين عليَّ إلا بالله تعالى .

احذر البغي فإنه عاجل العقوبة ، بلغني عن النبي ﷺ أَنه قال : « إنَّ أَعْجَلَ الخَيْرِ ثَوَاباً صِلَةُ الرَّحمِ ، وإنَّ أَعْجَلَ الشَّرِّ عُقُوبَةً اليَمِينُ الغَمُوسُ تَتْرُكُ الدِّيارَ بَلاقِعَ » .

الحلف بغير الله :

لا تحلف بغير الله في شيءٍ ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أَنه قال : « لا تَحْلِفُوا بِآبائِكُم ، لِيَحْلِف حَالِفٌ باللهِ أَوْ لِيَسْكُتْ » . ولا تحلف بالله في كل شيءٍ فإنه بلغني أَن ذلك قوله تعالى ﴿ولا تَجْعَلُوا الله عُرْضَةً لأَيْمَانِكُم﴾[1] .

---

(1) سورة البقرة آية ٢٢٤

رحمة الناس :

ارحم الناس يرحمك الله . بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ لا يَرْحَم الناس لا يَرْحَمْهُ الله » .

طاعة الله :

أحبب طاعة الله يُحبك الله ، ويُحَبِّبْكَ إلى خلقه ، قال عز وجل لنبيِّه : ﴿ قُلْ إنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُم الله ﴾[1] . وقال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ الله جَعَلَ قُرَّةَ عَيْني في السُّجُودِ » . وقال بعض العلماء : ما أَسرَّ عبد قط سريرة خير إلا أَلبسه الله رداءَها ، ولا أَسرَّ سريرة شر قط إلا أَلبسه الله رداءَها .

السكينة والوقار :

وليكن عليك السكينة والوقار في منطقك ومجلسك ومركبك فإنه بلغني عن النبي ﷺ أَنه قال ـ والناس يزحفون حوله ـ : « عَلَيكُم بِالسَّكِينَةِ » .

إعطاء الدابة حقها :

أعط دابتك إذا ركبتها حظها من الأَرض ، وحظها من المقصد عليها ، بلغني عن النبي ﷺ أَنه قال : « إذا رَكِبْتُم هذِهِ الدَّوابَّ العُجمَ فأعْطُوها حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ » .

الحلم :

عليك بالحلم والإغضاءِ عما كرهت ، ولا تتبع ذلك من أحد بلغك عنه أذى ، ولا تكافئه فإنّ في ذلك الفضل في الدنيا والآخرة ، بلغني عن النبي ﷺ أَنه قال : « إنَّ الله يُحِبُّ الحَلِيم الحَيِيَّ العَفِيفَ المُتَعَفِّفَ » .

---

(١) سورة آل عمران آية ٣١

السيئة بالحسنة :

ادفع السَّيئَة بالتي هي أَحسن ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « أَيُّهَا السُّلَمِيُّ اتَّقِ العُقوق وقطيعةَ الرَّحم . فإن في ذلك شيناً في الدُّنيا وتَبَاعُداً في الآخِرة » .

وبلغني عن النبي ﷺ أنه قال « اشْتَكَتِ الرَّحم إلى الله عَزَّ وجَلَّ مِمَّن يَقْطَعهَا ، فرَدَّ الله عليها : أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وأَقْطَعُ مَنْ قَطَعَكِ » .

كظم الغيظ :

إذا غضبت من شيءٍ من أَمر الله فاذكر ثواب الله على كظم الغيظ ، قال عز وجل : ﴿ والكَاظِمِينَ الغَيظَ والعَافِين عَنِ النَّاس ﴾[1] الآية .

وبلغني عن النبي ﷺ أَنه قال : « ما امْتَلأَ رَجُلٌ غيظاً فَكَظَمَهُ لله إلا مَلأَهُ الله رِضْوَاناً يومَ الْقِيَامَةِ » .

عدم الخلف بالوعد :

إذا وعدت موعداً في طاعة الله فلا تُخلفه ، وإذا قلت قولاً فيه رضا الله فأَوف به ودم عليه ، بلغني عن النبي ﷺ أَنه قال : « مَنْ تَكَفَّلَ بِستٍّ أَتَكَفَّلْ لَهُ بالجَنَّة : إذا حَدَّثَ لَمْ يَكْذِبْ ، وإِذَا وَعَدَ لَمْ يُخْلِفْ ، وإِذَا ائْتُمِنَ لَمْ يَخُنْ ، وغَضَّ بَصَرَهُ ، وحَفِظَ فَرْجَهُ ، وكَفَّ يَدَهُ » .

نذر المعصية :

إذا حلفت على يمين ليست من طاعة الله فلا تهمنَّ بها وكفِّرها ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « لا نَذرَ في مَعْصيةِ الله وكفَّارتُهَا كَفَّارَةُ يمينٍ والنَّذْرُ يمينٌ ، وإِذَا حَلَفْتَ على يَمينٍ ثم رَأَيْتَ غيْرَها خيراً مِنْها فأتِ الَّذِي هُو خَيرٌ وكَفِّرْ عَنْ يَمينِكَ » . فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال ذلك .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٤

الكذب :

إياكَ والتزيُّد في القول ، وأَن تقول قولا وأَنت تعلم أنه لم يكن ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أَنه قال : « ثَلاثَة لا يَنْظُرُ الله إلَيهم يُوْمَ القِيَامةِ ، الإِمَامُ الكَذَّابُ ، والعَائِلُ المَزْهُوُّ ، والشَّيخُ الزَّاني » .

بر الوالدين :

برّ والديك وخُصَّهما منك بالدعاءِ في كل صلاة ، وأَكثر لهما الاستغفار ، وابدأ بنفسك قبلهما ، فإن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي ولِوَالِدَيَّ ﴾ [1] . فبدأ بنفسه قبل والديه . وبلغني عن النبي ﷺ أَنهُ قال : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ في عُمرِهِ ، ويُزَادَ في رزْقِهِ ، فَلْيَتَّقِ الله رَبَّهُ ، ولْيَصِلْ رَحِمَهُ » .

شكر الناس :

اشكر الناس ما أَتوا إليك من خيرهم ، وكافئهم إن قدرت عليه ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أَنه قال : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكرِ الله » .

دعاء الركوب :

إذا ركبت دابة فوضعت رجلك في الركاب ، فقل : بسم الله ، وإذا استَوَيت راكباً فقل : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هذَا ومَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ [2] . فإنه بلغني عن النبي ﷺ أَنه كان يقول ذلك كلما ركب دابة .

آداب الأكل :

إذا أَكلت وشربت فاذكر اسم الله ، فإن نسيت في أَول حالك فاذكره إذا ذكرت ، بلغني عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أَنه قال : تذكر اسم الله حين تذكر ، فإنه يحول بين الخَبيث ، وبَينَ أَن يأكل معك ويتقيًّا ماأكل ، فإذا فرغت

---

(1) سورة نوح آية ٢٨

(2) سورة الزخرف آية ١٣

فقل : الحمد لله الَّذِي أَطْعَمَنَا وسَقَانَا وجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه كان يقول ذلك إذا أكل وشرب ، وإذا أكلت ومعك آخر فَكُلْ مما يليك بيمينك ، ولا تأكل من فوق الطعام ولا من بين يدي أحد ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال لرجل يفعله : « اذْكُر اسم الله وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ » وكُلْ بِيَمِينِكَ ولا تَأْكُلْ بِشِمَالِكَ ، ولا تشرب بشمالك . وبلغني عن النبي أنه قال : « إنَّهَا إِكْلَةُ الشَّيطَان » .

السفر يوم الخميس :

لا تسافر ما استطعت إلا في يوم الخميس : فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه كان يستحب أن يسافر يوم الخميس لا يسافر إلا فيه .

دعاء الكرب :

إذا أصابك كرب فقل : يا حيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه كان يقول ذلك عند الكرب .

الحذر من النميمة :

احترس ممن يقرب إليك بالنميمة ، ويبلغ الكلام عن الناس ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « مَلْعُونٌ مَنْ لَعَنَ أَبَاهُ ، مَلْعُونٌ مَنْ لَعَنَ أُمَّهُ ، مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الأَرْضِ ، مَلْعُونٌ كُلُّ صَقَّارٍ » وهو النمام .

جر الثياب :

لا تجرّ ثيابك فإن الله لا يحب ذلك ، وبلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ جَرَّ ثِيَابَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ الله إليه يومَ القِيَامَة » .

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق :

أطع الله في معصية النَّاس ، ولا تطع النَّاس في معصية الله ، بلغني عن

النبي ﷺ أنه قال : « لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ في مَعْصِيَةِ الخالِق » .

ما يقول في الحزن والسقم :

إذا أَصابك حزن أَو سقم أَو ذلة أَو لْأواءُ - يعني الجوع - فقل : الله ربي لا أُشرك به شيئاً : ثلاث مرات ، بلغني عن النبي ﷺ أنه كان يأمر بذلك من أَصابه شيءٌ من ذلك .

الصبر على المصائب :

اصبر على ما أَصابك من فجائع الدنيا وأَحزانها لقول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيرِ حِسَابٍ ﴾[1] . والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

عدم المماراة :

لا تُمَارِينَّ أَحداً وإِنْ كُنتَ مُحِقًّا ، بلغني أَن قول الله عز وجل : ﴿ فَلَا رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدَالَ فِي الحَجِّ ﴾[2] أَنَّه المِرَاءَ .

التفكير بعاقبة الأمر :

إذا هممت بأمر من أمور الدنيا ففكر في عاقبته ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَفَكِّرْ في عَاقِبَتِهِ ، فإِن كَانَ رُشْداً فَامْضِهِ ، وإِنْ كانَ غَيًّا فانْتَهِ عنْهُ » .

الحياء :

إياك والتجريد خالياً ، فإنه ينبغي لك أن تستحي من الله إذا خلوت ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « لا أُحبُّ أَن يَلِيَ لي شَيئاً مَنْ لا يسْتَحِي مِنْ الله في

---

(١) سورة الزمر آية ١٠

(٢) سورة البقرة آية ١٩٧

الخَلاء » وإياك أَن تدخل الحمام والماء إلا بإزار ، ولا يدخل معك أَحد الحمام إلا بإزار ولن تقدر على ذلك ، فإن لم تقدر ، فغض طرفك عن كل أَحد كان مكشوفاً ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يَحِلُّ لامْرِىءٍ يُؤمِنُ باللهِ واليَوم الآخر أَن يَدْخُلَ الحَمَّام إلا بِإِزَار » .

إفشاء السلام :

أَفشِ السلام ، وإن استطعت أَن لا يسبقك أَحد إليه فافعل ، تعط بذلك فضلا عن الناس ، وبلغني عن ابن مسعود أَنه قال : السلام اسم من أسماء الله ، وضعه فيكم فأفشوه فيكم ، فإن الرجل إذا سلَّم كتب له عشر حسنات .

تأديب الأولاد :

أَدِّب ولدك ، ومن وليت أَمره على خُلُقك وأَدبك ، حتى يتأَدَّبوا على ما أَنت عليه ، فيكونوا لك عوناً على طاعة الله . بلغني عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : كل مؤدب يحب أَن يؤخذ بأَدبه ، وإن أَدب الله هو القرآن .

المستشار مؤتمن :

وإذا استشارك أَحد فإن شئت تكلمت ، وإن شئت سَكَتَّ ، واجتهد رأَيك فإنه بلغني عن النبي ﷺ أَنه قال : « المُسْتَشَارُ بالخِيَارِ إنْ شَاءَ تَكَلَّم وإنْ شاءَ سَكَتَ » .

إفشاء السر :

لاتفش على أَحد سراً أفشاه إليك ، فإنما هي أَمانة اسْتَودَعْكَهَا ، وائتَمَنك عليها إلا أن يكون إفشاؤُه خيراً له في دنياه وآخرته ، فأفشها عليه وانصحه فيها ، بلغني عن النبي ﷺ أَنه قال : « من حَقِّ المسلم على المُسْلم إذا اسْتَنْصحهُ أنْ ينصحهُ » .

موافقة القول العمل :

إذا تعلمت علماً من طاعة الله فليُرَ عليك أثره ، ولْيُرَ فيك سمته ، وتعلَّم للذي تعمله ، وتعلَّم له السكينة والحلم والوقار ، بلغني عن النبي ﷺ أَنه قال : « العُلَمَاءُ ورثةُ الأنْبياء » .

وإذا حييتم بتحية :

ردَّ جواب الكتاب إلى كل أحد كتب إليك ، فإنما هو كرد السلام قال عز وجل : ﴿ وإذَا حُيِّيتُم بتحيةٍ فَحَيُّوا بأحسن منها أو رُدوها ﴾[1] . وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ :

أرى رَجْعَ الكتاب عليَّ حَقا كما أني أرى رجْع السَّلام

الحياء :

الْزم الحياء فإنه خلقُ الإسلام ، وفيه قال ﷺ : « لِكُل شيَءٍ خُلقٌ ، وخلُقُ الإسْلام الحيَاءُ » .

دعاء السفر :

إذا سافرت فقل : « اللَّهُم إنِّي أعُوذُ بكَ منْ وعْثَاء السَّفَرِ ، وكآبةِ المنقلَبِ ، ودَعْوَةِ المَظْلوم ، وسُوء المَنْظرِ في الأهْلِ والمالِ ، والحَوْرِ بَعْد الكَوْرِ » . بلغني عن النبي ﷺ أنه كان يقول ذلك إذا سافر .

الظلم :

إياك وظلم الضعيف ، ومن لا يستعين عليك إلا بالله ، لقول النبي ﷺ : « ثلاثةٌ لاتُرَدُّ دعْوَتهُمْ : الإمامُ العادِلُ ، والصَّائِمُ حتى يُفْطِرَ ، ودعوةُ المظْلُوم فإنها تصعدُ فوقَ الغمامِ ، فيقولُ اللهُ لها : وعِزَّتي وجِلالِي لأنصُرَنَّكِ ولَو بعدَ حينٍ » .

---

(1) سورة النساء آية ٨٦

ما يقال للمسافر :

إذا ودَّعْتَ مسافراً فقل : « زودكَ الله التقوى ، وغفر لك ذنبك ، ويَسَّرَ لك الخير حيثما كنت ، أستودع الله دينك وأمانتكَ وخواتِيم عَمَلك » . لأنه ﷺ كان يأمر أصحابه بها .

قول الحق :

إذا حضرت أمراً ليس لله بطاعة ، ولا تقدر على دفعه ، فقم عنه ولا تقعد . لقول النبي ﷺ : « لا يَمْنَعَنَّ أحدكمْ مخافةُ الناسِ أنْ يقولَ الحقَّ إذَا شَهدهُ أَو عَلِمَهُ » .

السواك :

الزم السواك فإنه سنة ، بلغني عن النبي ﷺ أَنه قال : « السِّوَاكُ منْ سُننِ المرسلينَ » .

طيب الصدقة :

أفش الصدقة فإنها تدفع ميتة السوءِ ، وليكن ذلك من أَطيب مالك ، فإن الله تعالى لا يقبل إلا الطيب ، بلغني عنه ﷺ أنه قال : « إنَّ أحدكمْ ليتصدقُ بالتمرةِ إذا كانتْ منْ طَيِّبٍ ولا يقْبَلُ اللهُ إلا الطيبَ فيجعلها في كفةٍ ، فيربيها لهُ كما يُربي أحدُكُم فلوَهُ أو فصيلهُ ، حتى تكونَ في يدهِ مثلَ الجَبَل » .

اللجوء إلى الله حين نزول الكرب :

إذا نزلت بك كربة من كرب الدنيا ، فليكن مفزعك فيها إلى الله ـ عز وجل ـ حين تنزل بك ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « لنْ ينزلَ بعبدٍ قطُّ أمرٌ كانَ مَفزعُهُ فيهِ إلى الله إلا فَرَّج الله عنه » .

عدم الاضطجاع على البطن :

لا تضطجع على بطنك إذا نمت ، ولا في غير نومك ، لما بلغني عن النبي ﷺ سأَله قال : « إنَّها لضجعةٌ يبغضها اللهُ » .

الوفاء بالعهد :

أوف بالعهد إذا أعطيته من نفسك لكل أحد ، لقول النبي ﷺ : « أحَقُّ ما وُفِيَ بهِ عهدُ الله » .

الكلام برضى الله أمام السلطان :

إذا حضرت السلطان فاشفع بخير ، وإياك والكلام عنده إلا بما يرضي الله ، لقول النبي ﷺ : « إنَّ الرَّجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ من سخطِ الله ، ما يظُن أنَّها تبْلغُ ما بلغتْ يكتبُ لهُ بها سخطهُ إلى يوم القيامةِ ، وإنَّ الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ من رضوانِ الله ، مايظنُّ أنها تبلُغُ ما بلغتْ ، يكتبُ لَهُ بها رضْوانهُ إلى يوم القيامةِ » .

القصد بالعمل وجه الله :

أَرِدْ ما أردت به الله ما استطعت ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « صَدَقَة السِّرِّ تُطفىءُ غضبَ الربِّ » .

عدم الرضا بتزكية النفس :

اتَّقِ كثرة التزكية لنفسك ، أو ترضى بها من أحد يقولها لك في وجهك ، بلغني أن رجلاً امتدح رجلاً عند النبي ﷺ فقال : « ويحكَ قطعتَ عنُقَهُ ، ولوْ سَمِعَهَا ما أفْلحَ أبَداً » .

عدم مدح الناس في وجوههم :

إياك ومدح الناس والثناءَ عليهم في وجوههم ، لقول النبي ﷺ : « احثوا الترابَ في وجوهِ المداحينَ » .

وثيابك فطهر :

طهر ثيابك ونقِّها من معاصي الله تعالى ، فإنه بلغني أَن قوله تعالى : ﴿ وثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾[1] ؛ يأمره أن لا يلبسها على عذرة .

اكره للناس ما تكره لنفسك :

واكره لكل أَحد ما تكرهه لنفسك ، بلغني عن النبي ﷺ أنهُ بايع جريراً البَجَلي على الإسلام ، والنصيحة لكل مسلم .

الحسد والشره :

إياك والحسد والشَّرَه فهما خُلُقان مرديان لصاحبهما في الدنيا والآخرة ، وقال ﷺ فيهما : « لاحسدَ إلا في اثْنَتينِ : رجل آتاهُ الله مالاً وسلَّطَهُ على إنْفَاقه في الحق ، ورجل آتاهُ الله حِكْمةً فهُوَ يقضي بها ويُعَلِّمُهَا » .

الاقتداء بأهل الإنصاف :

اقتد في أُمورك برأي ذوي الإنصاف من أهل التقوى ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « خيارُكُمْ شُبَّانُكم المتشبِّهُونَ بشيوخِكُم ، وشرارُكم شيُوخُكُم المَتَشَبِّهُون بِشُبَّانِكم » .

لا تحتكر أحداً ، ولا تجالس مأفُوناً ، فإن الوحدة خير من جليس السوءِ .

معالي الأمور :

عليك بمعالي الأخلاق وكريمها ، واتق رذائلها وما سَفْسَف منها ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « إنَّ الله يُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاق ويكرهُ سَفْسَافَها » .

---

(١) سورة المدثر آية ٤

الحمد لله عند رؤية من هو أنزل منك :

إذا رأيت من فُضِّلت عليه في دينك ودنياك ، فأكثر حمداً لله عليه ، فإن ذلك من الشكر ، بلغني عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « ما أَنْعَمَ اللهُ على عبدٍ بنِعْمَةٍ فَقَالَ : الحمدُ لله إلا كانَ ذلِكَ أَعْظَمَ مِنْ تلكَ النعمةِ وإنْ عظُمتْ » .

النهي عن لبس المعصفر :

لا تركب البثْرة الحمراء ، ولا تلبس المُعصفَر ، فقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك .

ما يقال وما يفعل عند الغضب :

إذا غضبت وأنت قائم فاقعد ، وإن كنت قاعداً فاضطجع ، لقول النبي ﷺ : « لا تَتَطَيَّرَنَّ من شيَءٍ تَرَاهُ أوْ تَسْمَعُهُ ، وإذا كانَ مِنْ ذلكَ شيءُ فَقُل : اللهمَّ لا يأتي بالخيرِ إلا أنْتَ ، ولا يَدْفَعُ السُّوءِ إلا أَنْتَ ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ » . فقد علمت أن النبي ﷺ كان يأمر بذلك لمن رأى من ذلك شيئاً .

عدم الوضوء بما يؤكل :

لا تتوضأ بشيءٍ مما تأكل من الطعام ، ولا تَدلك به في الحمام ، فإن ذلك من الجفاءِ .

التكبر في اللباس :

لا تتخلق بالخلوق إلا أن يكون في أثر النَوْرَةِ ليذهب ريحها ، فقد بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « بينما رجلُ في بُرْدَتَينِ لهُ متخلقٌ يَتَبَخْتَرُ فيهما ، إذْ سَاخَتْ بِهِ الأرضُ ، فهُوَ يتجلْجَلُ فيها إلى يوم القيامةِ » .

خضاب اليدين بالحناء :

لا تغيرن أَظفارك بالحناء ولا يديك إذا دخلت الحمام ، فإنه ليس من سيماءِ

أهل الفضل .

عدم الحلف بالطلاق والعتاق :

ولا تحلف بالطلاق ولا بالعتَاقَ ، فإنهما من أَيْمَانِ الفُسَّاق . بلغني عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال : أَرْبَعٌ جائزة إذا تكلم بهن : الطلاق والعتاق والنكاح والنذر ، وأربعة يُمْسُون والله عليهم ساخط ، ويصبحون والله عليهم غضبان : المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، ومن أتى بهيمة ، أَو عمل عمل قوم لوط .

صفة الطِّيْب :

لا تتطيبن بشيءٍ من الطيب يظهر لونُه ، فإن النبي ﷺ قال : « طيبُ الرجالِ مَابَطَنَ لَونُهُ وظَهَرَ رِيحُهُ ، وطِيبُ النساءِ ما ظَهَرَ لَونُهُ وبَطَنَ رِيحُهُ » .

الرأي الحسن :

الزم الرأي الحسن ، والهَدْي الحسن ، والاقتصاد ، بلغني عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قال : الرأيُ الحسن جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة .

لبس يوم الجمعة :

إن استطعت أن لا تدع العمامة والبرد في العيدين والجمعة فافعل . لما علمت من أمر النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان يلبس العمامة والبرد في العيدين والجمعة ، وقال : « إنَّ الله تعالى أَعزَّ الإسْلام بِالعَمَائِم والأَلْوية » .

الطلاء بالنورة :

إذا طلاك أحد بالنورة ، فبلغ المراقَّ[1] فلايَلِ ذلك منك إلا نفسك ، ومن

[1] المرق : مارق من البطن ولان .

يحسن ذلك من نسائك ، فإنه بلغني عن بعض العلماءِ أنه كان يلي ذلك من نفسه .

الاغتسال بماء الحمام

لا بأس أن تغتسل بماء الحمام وأنت جنب وتصلي ، لقول ابن عباس ـ وقد سُئِلَ عن الجنب يغتسل في الحمام ـ إن الماءَ لا يجنب .

النخامة في المسجد :

وإذا تنخمت في المسجد فادفنه ، فعن بعض العلماء أنه قال : هي خطيئة ، وكفارتها دفنها .

دعاء النوم :

إذا نمت فقل عند منامك : « اللهُم أنتَ القائمُ الدَّائمُ لا تزولُ ، خلقتَ كلَّ شيءٍ لا شريكَ لكَ ، علمتَ كلَّ شيءٍ بغيرِ تعْليم ، اغْفرْ لي إنهُ لا يغْفِرُ الذنوب إلا أنْتَ » .

بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « ألا قُلْتُم كَما قال عليٌّ بن أبي طالب » ـ رضيَ الله عَنهُ ـ وهو الذي قال ما تقدَّم .

آداب قضاء الحاجة :

إذا أتيت الحاجة فلا تستقبل القبلة بفرجك ولا تستدبرها ، ولا تستنج بيمينك ، بلغني عن النبي ﷺ « أنَّهُ كانَ يأمُر أصحابه أنْ لا يَسْتَقْبِلُوا القبْلَةَ ، ولا يَسْتَنْجُوا بِأيْمَانِهِم ، ولا يسْتَنْجُوا بعَظْم ولا رَوْثٍ » .

الدعاء بعد الصلاة :

إذا انصرفت من الصلاة ، فقل : « اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ مِنَ الخيْر كُلِّهِ ماعَلِمْتُ مِنْهُ ومالَمْ أعْلَم ، وأعُوذُ بكَ منَ الشرِّ كلهِ ماعلمْتُ منهُ ومالمْ أعْلَم ، اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ منَ الخيْر ماسأَلَكَ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ ، وأُعُوذُ بكَ منَ الشَّرِّ ماعَاذَ منْهُ

عبادُكَ الصَّالِحُونَ ، اللهمَّ آتِنَا في الدُّنْيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » .

بلغني عن ابن مسعود أنه قال : ما دعا نبي مرسل ولا عبد صالح بشيءٍ حسن إلا هو فيه ، يعني في هذا الدعاء .

الشتم :

لا تشتم عبداً لك ولا أَمةً بزنى فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « منْ قَذَفَ أَمَةً أَوْ حُرَّة أو يهُودِيَّةً أو نَصْرانيةً فَلَم يُضْرَب في الدنْيا ضُرِبَ يومَ القيامة ثمانينَ جَلْدَة » .

من أدب السفر واللقاء :

إذا كنت مسافراً أو مقيماً ، فامسح ـ إن شئت ـ على خُفَّيك إن كنت مسافراً ثلاثة أيام ولياليهن ، وإن كنت مقيماً فيوماً وليلة ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال ذلك ، وقاله عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ، وابن عباس رضوان الله عليهم .

إذا صافحك أحد فلا تنزعن يدك عن يده ، حتى يكون هو الذي ينزع يده عن يدك ، بلغني عن النبي ﷺ : أنه لم يصافح أحداً فنزع يده حتى يكون هو الذي ينزع يده .

إذا أقبل عليك رجل بوجهه يحدثك ، فلاتصرف وجهك عنه ، حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عنك ، وإذا جلست إلى جنب رجل ، أو جلس إلى جنبك رجل ، فلاتقومن من بين يديه ، ولاتجاوزن ركبتك ركبته ، بلغني عن النبي ﷺ أنه لم تتجاوز ركبته ركبة جليس له . وإذا أحسست من أمير ظلامة أو تغطرساً فقل : « الله أكبرُ ، الله أكبرُ ، الله أكبرُ أعزُّ منْ خلْقِهِ جميعاً ، الله أكبرُ مما أخافُ وأحْذَرُ ، وأعُوذُ بالله المْمسِكِ السماءَ أنْ تقعَ على الأرضِ إلا بإذْنِهِ من شرِّ فُلان . اللهُمَّ كُنْ لي جاراً منْ فُلانٍ وجُنُودِهِ ، أنْ يَفْرُطَ عليَّ أحد مِنْهُم أوْ أنْ يَطْغَى ، جلَّ

جَلالُكَ ، وعَزَّ جَارُكَ ، ولا إلهَ غَيْرُكَ » . تقول ذلك ثلاث مرات .

بلغني عن ابن عباس أنه قال ذلك وأمرنا به .

مراسلة غير أهل الإسلام :

وإذا كتبت إلى أحد من غير أهل الإسلام ، فلاتكتبن سلام الله عليك ، ولكن اكتب السَّلامُ على منِ اتَّبَعَ الهُدى ، بلغني عن النبي ﷺ أنه كتب ذلك إلى مُسَيلمة .

ذكر الله في النفس :

إذا عَطَسْتَ في الخلاءِ ، فاذكر اسم الله خفياً .

استعمال الذهب والفضة والحرير :

لا تدهن في مُدْهُن ذهب ولا فضة ، ولا تستجمر في مجامر الذهب والفضة ، بلغني عن النبي ﷺ أنه نهى عن الشرب في إناءِ الذهب والفضَّة .

لا تنم على الحرير والديباج فإنه لِبسَة النساءِ ، بلغني عن النبي ﷺ أنهُ نهى عن لبس الحرير والديباج إلا للنساء .

عدم المحاباة بإقامة الحق :

إذا رأيت أمراً في أهلك وخاصتك مما ينبغي تغييره ، فلا تحابِينَّ منهم أحداً ، وقُم فيه بالذي يحق عليك ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « انْصُرْ أخَاكَ ظَالماً أوْ مَظْلوماً » .

خير البر عاجله :

إذا هممت بأمر من طاعة الله ـ عز وجل ـ فلا تحبسه إن استطعت فواقاً[1] حتى

---

[1] الفواق : ما بين الحَلْبَتَيْن من الوقت لأنها تحلب ثم تُترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر الحليب .

تمضيَهُ ، فإنك لا تأمن الأحداث ، وإذا هممت بأمر غير ذلك ، فإن استطعت أن لا تمضيه فواقاً فافعل ، لعل الله تعالى يحدث لك تركه .

الدعوة لغير الحق :

لا تستحي إذا دُعيت لأمر ليس بحق أن تقول : لا . فإن الله تعالى يقول : ﴿ والله لا يَسْتَحي منَ الحَقِّ ﴾[1] .

إجابة المؤذن :

إذا سمعت المؤذن يؤذن ، فقل كما يقول ، إلا أنك تقول إذا قال : حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح : لا حول ولا قوة إلا بالله ، بلغني ذلك عن النبي ﷺ .

الخلوة بامرأة ليست بمحرم :

لا تخلون بامرأة ليست لك بمحرم ، بلغني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ما خلا رجل بامرأة ليست له بمحرم إلا كان ثالثهما الشيطان .

التأمين لتأمين الإمام :

إذا قال الإمام آمين ، فقل : آمين ، فإنه ينبغي إذا فرغ من أُمّ القرآن أن يقول آمين ، ويقوله من خلفه سراً ولا يجهر به ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « إذَا أَمَّنَ الإمامُ فأمِّنُوا فإنَّ الملائكةَ تؤمِّنُ لتأمينِ الإمام ، فمنْ وافقَ منكُم تأْمين الملائكةِ غُفِرَ لهُ ما تقدمَ منْ ذنبِهِ » .

غسل الفرج بالماء :

إذا قضيت الحاجة فلاتبدأ بشيءٍ حتى تغسل فرجك بالماءِ ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال لأهل مسجد قباءَ : إنَّما نزلتْ هذه الآية فيكم : ﴿ فيهِ رجالٌ

---

(1) سورة الأحزاب آية ٥٣

يحبونَ أنْ يتطهَّرُوا واللهُ يحبُّ المطهرينَ ﴾[1] فأَنْبِئُوني ما هذا التطهيرُ الذي ذُكرتم به فاثْبُتُوا عليهِ ، قالوا : والذي بعَثَك بالحقِّ نبيا مامنا امْرأةٌ ولا رجلٌ يأتي الخلاءَ فيبدأ بشيءٍ دُونَ غسْلِ فرْجِهِ بالماء .

نظافة اليد والأسنان :

إذا أكلت طعاماً فعلقَ بين أصابعك فالعقها ، وأسنانك فتخلل ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « ليسَ شيءٌ أشدَّ على الملك منْ أنْ يرى في الرجلِ طعاماً وهوَ يُصلي » .

دعاء نزول المكان :

إذا نزلت منزلاً فقل : أعوذُ بكلماتِ الله التاماتِ من شرِّ ما خلقَ ، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « منْ نَزَلَ منْزلا فقالَ هذهِ الكلماتِ ، وُقيَ شَرَّ منزلِهِ حتَّى يرْتَحِلَ مِنْهُ » .

الأكل والشرب والتداوي بالحلال :

لا تأكل شيئاً من ثمن طعام لا يحل لك أكله ، ولا شيئاً من ثمن شراب لا يحل لك شربه . قال النبي ﷺ في الخمر : « إنَّ الذي حرَّم شُربهَا حرمَ ثمنَهَا » .

ولا تَداوَ بشيءٍ لا يحل لك أكله ولا شربه ، ولا تبعْهُ ، ولا تشتره ، ولا تطعمه ، ولا تُطْعِمه أحداً ، ولا تسقِهِ ولا تُدَاوِ أحداً صغيراً ، ولا كبيراً ، ولا بهيمة ، ولا غيرها . بلغني عن بعض علماءِ الصحابة أنه نُعِتَ لبعير له خمر فقال : لا والله لا أوجره[2] خمراً .

لا تأكل لحم شيءٍ من السباع ، ولا ذا مخلب من الطير ، بلغني أن النبي ﷺ : « نهى عنْ أكلِ كلِّ ذي ناب من السباع » .

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٨

(٢) الوَجور : بفتح الواو أي الدواء يوجر في وسط الفم أي يُصَبُّ .

ما يقول إذا فزع في منامه :

إذا فزعت في منامك فقُل : « أعوذ بكلمات الله التَّامَّاتِ منْ غضبهِ وعقابهِ ، ومنْ شرِّ عباده ، ومنْ شرِّ الشيَاطِينِ وأنْ يحْضرُونِ » .

بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : إذا فَزِعَ أحَدُكُم في منامهِ فليقُل ذلك .

الحنث في اليمين :

إذا قلت لأحد : أقسمت عليك لتفعلن ، فلم يفعل الذي أقسمت عليه أن يفعله ، وجب عليك الحنث ، وكفِّر عن يمينك ، وكذلك إن قلت له : أحلف عليك أو أشهد عليك لتفعلن فلم يفعل ، وجب عليك الحنث ، وكذلك إذا كُنتَ وَقَّتَّ له وقتاً معلوماً فتركه حتى جاوز الوقت .

السلام على غير المسلم :

لا تَبْدَأَنَّ أحداً من غير أهل الإسلام بالسلام ، لكن لو سلَّم هو فقل : وعليكم ، بلغني أن النبي ﷺ أمر بذلك .

الأكل جنباً :

لا بأس أن تأكل جُنُباً ـ وإن كنت لم تتوضأ ـ إذا غسلت يديك .

لمن يقال صلى الله عليك وجعلني الله فداءك :

لا تقل لأحد صلى الله عليك ، بلغني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لا تنبغي الصلاة من أحد لأحد إلا للنبي عليه السلام .

ولا تقل لأحد جعلني الله فداءَك ، قال الزبير ذلك للنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو مريض ، فقال له ـ عليه السلام : « ما تركت أعرابيتك بعد » وبلغني عن بعض العلماء أنه قال : لا يفد أحد أحداً .

مصافحة الجنب وغير المسلم :

لا بأس بمصافحة الجنب ومباشرته ، بلغني عن ابن مسعود أنه قال : أربعة

ليس عليهم جنابة : الأَسنان والماءُ والثوب والأَرض .

لا بأس بمصافحة اليهودي والنصراني والصلاة في بيوتهم .

الضرب أربعين سوطاً :

لا تبلغ بشيءٍ من أدبك إذا أدبت ، وعاقبت أحداً على جُرْم اجترَمه أربعين سَوْطاً . قال ﷺ : « منْ بلغَ حَدا في غَيْرِ حَدٍّ فَهُوَ من المعتدينَ » .

من أحب فلاناً فليخبره :

إذا أحببت أحداً لله فأعلمه ، ففي ذلك أن رَجلاً قال للنبي ﷺ : « إنِّي أحبُّ فلاناً لِلهِ ، قال : أما أَخْبَرْتَهُ ؟ قالَ : لا ، قال : فأخبرهُ ، فلما أَخْبَرَهُ قالَ : أحبَّكَ الله الذي أَحْبَبْتَني لَهُ » .

الشفاعة في الحد قبل بلوغه الإمام :

لا تشفع فيمن وجب عليه حد من حدود الله إذا انتهى إلى الإمام ولا تحل دونه ، ولا بأس أن تشفع قبل ذلك ، قال ذلك بعض علماءِ الصحابة ، وتشفع في سارق فقيل له : أتشفع فيه وأنت من الصحابة ؟ فقال : لابأس به قبل أن يبلغ الإمام ، فإذا بلغه فلا عفا الله عنه إن هو عفا عنه .

لزوم الصمت :

الزم الصمت ، قال النبي ﷺ : « لا يَسْتَكْمِلُ الرَّجلُ الإيمَانَ حتَّى يَخْزُنَ لسَانَهُ » .

ما يقال عند دخول القرية :

وإذا أتيت قرية أو بلداً فقل : « اللَّهُمَّ ارْزُقنا خَيرَها ، واصرف عَنَّا وَبَاءَهَا » كان النبي ﷺ يقول ذلك إذا دنا من قرية .

تشميت العاطس :

إذا عَطِسْتَ فقل : الحمد لله ، فإن قال قائل : يرحمك الله ، فقل : غفر الله لنا ولك . وإن عطس عندك مسلم ، فقال : الحمد لله ، فقل : يرحمك الله ، كان علي ـ رضي الله عنه ـ يقولها لمن عطس ، ويقول ذلك : يَهْديكَ الله ويُصلحُ بالك ، وكان ابن مسعود يقول لمن عطس : يرحمنا الله وإياك ، ويقول ذلك : يغفر الله لنا ولك ، ولا تشمته حتى يحمد الله ، قال النبي ﷺ : « منْ حقِّ المسْلم إذا عَطِسَ أنْ يُشَمَّتَ إذا حَمَدَ الله » .

توقير الكبير ورحمة الصغير :

وقِّر الكبير وارحم الصغير ، قال النبي ﷺ : « ليْسَ منَّا منْ لمْ يرْحَمْ صَغِيرَنَا ويُوقِّرْ كَبِيرَنا » .

المصافحة والقُبلة :

لا تصافح امراة ليست لك بزوجة ولا ملك يمين ، ولا تضع يدها على شيءٍ من جسدك ، ولا تضع يدك على شيءٍ من جسدها ، ولا تقبل يدك ولا شيئاً من جسدك ، ولا تعانق رجلاً ، ولا تقبل ليس بذي رحم لك ، واصنع ذلك بذي رحمك ، فقد ضم النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب حين قدم من الحبشة إلى نفسه ، وقَبَّل بين عينيه .

من أدب المسجد :

لا ترفع صوتك في مسجد جماعة ، ولا تشهر فيه سلاحاً ، فقد نهى النبي ﷺ عنه .

أداء الشهادة :

إذا دعيت إلى تحمل شهادة فإنك مخير ، فإن شهدت فلا يسعك الامتناع إذا دعيت إلى الأداء .

المن بالإحسان :

لا تَمُنَّنْ على أحد بإحسانك ، فإنه يبطل أجرك ، قال عز وجل : ﴿ لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بالمَنِّ والأَذَى ﴾[1] .

مكافأة المعروف :

ومن أولاك معروفاً ، وعجزت عن مكافأته ، فاثن عليه واذكره به ، قال النبي ﷺ : « منْ أُولِيَ معْرُوفاً فلم يقدر على مكافأته إلا بالثَناء فقد شكره ، ومن كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ » .

دعوة من حضر للطعام :

إذا طعمت وعندك أَحد فادعه ، قال النبي ﷺ : « إنَّ في الجنةِ غُرَفاً يُرَى ظاهرُها منْ باطنها ، وبَاطنُهَا منْ ظاهرها . قِيلَ : لِمَنْ هِيَ ؟ قال : لمنْ أطْعَمَ الطعَامَ ، وتابَعَ الصِّيام ، وطيَّبَ الكَلاَمَ ، وصَلى بالليلِ والنَّناسُ نِيَامٌ » .

إحسان العمل لله :

إذا عملت عملاً لله فأحسنه لقوله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُم أَيكُمُ أَحْسَنَ عَملاً ﴾[2] .

لا تعجل على أحد بعقوبة ، ولا تتهمه حتى تحقّه .

الحياء من الله حق الحياء :

لا تأتِ أهلك أو جاريتك وغيرها يراك أو يسمع حِسَّك . قال ﷺ : « اسْتَحْيُوا منَ الله حقَّ الحياء قالوا : كيفَ نستحي من الله حق الحياء ؟ قال : احْفَظُوا الرأسَ وما حَوَى ، والبَطْنَ وما وَعى ، واذكروا الموت والبلى ، وذروا زينةَ الحياةِ الدُّنْيا » .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٤

(٢) سورة هود آية ٧ ، سورة الملك آية ٢

ما يقال حين يصبح وحين يمسي :

إذا أصبحت فقل : « اللهُمَّ لا إله إلا أنتَ وحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ ، لَكَ المُلْكُ ولَك الحَمْدُ لا شَرِيك لَكَ ، عَشرَ مَرَّاتٍ . قال النبي عليه الصلاة والسلام مَنْ قَالَهَا عشر مرات حين يُصبحُ وُكِّلَ بِهِ مَلَكَانِ يحرُسَانهِ حتَّى يُمْسيَ ، وإذا قَالها ليلاً فكذلك حتَّى يُصْبح » .

متى يكون الغسل :

إذا كنت في العيدين والجمعة ، ويوم عرفة بعرفة فاغتسل ، وإن توضأت أجزأك . سأل رجل علياً عن الغسل فقال : للجمعة والعيدين وعرفة .

رؤية الهلال :

إذا رأيت الهلال فلا تستقبله حتى تدعو ، وقل : الله أكْبَرُ ، الله أكبرُ ، الحمدُ لله ، أسْألُكَ من خيرِ هذَا الشَّهْرِ ، وأعُوذُ بِكَ منْ شَرِّ القَدَر ، وشَرِّ يَوْم المحْشَرِ .

إمامة الرجل في بيته :

لاتَؤُمَّنَّ أحداً في بيته ولا في سلطانه إلا أن يأذن لك ، وذلك أنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ في بيتهِ ولا في سُلطانه إلا بإذنه » .

امتثال الناس لك قياماً :

ولا تحب من الناس أن يمثُلُوا لك قياماً ، لقوله ﷺ : « منْ سرَّهُ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ ابنُ آدَمَ قِياماً وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ » .

إجابة الدعوة :

أجب الدعوة إذا دُعيت ، قال ﷺ : « الدَّعْوَةُ يَوْم العُرُسِ حَق » وقال : « لو دُعيتُ إلى كراع لأجَبْتُ » .

إبرار قسم الوالدين :

إذا حلفت على شيءٍ ، وحلف والداك أو أحدهما على خلافه فأطعهما مالم يكن معْصية .

متى تكون الحجامة :

احتجم في سبع عشرة ، وتسع عشرة ، وإحدى وعشرين ، أمر النبي ﷺ بذلك .

عيادة المريض :

إذا عدت مريضاً فأخِفَّ العِيَادة ، وأقلَّ اللُّبث .

المرور بالمقابر :

إذا مررت بالمقابر فقل : السلام عليكم أهل الدار المؤمنين والمسلمين ، وإنَّا إن شاءَ الله لاحقون ، أنتم لنا فرط ، ونحن لكم تبع ، أسأل الله لنا ولكم العافية .

تشييع الجنازة :

لا بأس أن تمشي أمام الجنازة ، مشى النبيُّ ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر ، وابن عمر أمامها ، وإذا كنت راكباً فلا تسبقها ولا تنزل ، حتى توضع عن عواتق الرجال ، بلغني ذلك عن بعض الصحابة .

النفخ في الطعام :

لا تنفخ في الطعام والشراب ، فإنه جفاءٌ ، قاله بعض العلماء .

رفع اليد في عشرة مواطن :

ارفع يدك في عشرة مواطن : إذا دعوت عند افتتاح الصلاة ، والعيدين ، والقنوت ، والتكبير ، وعند استلام الحجر ، وعرفة ، وجمع ، والصفا ، والمروة ،

والجمار ، روي ذلك عن ابن عباس . وعند افتتاح الصلاة والقنوت والعيدين ترفعهما حتى تحاذي إبهامُك أُذنك . وتبسطهما عند صدرك في باقي ذلك .

اللعب بالنرد :

لا تلعب بالنرد ، لعن النبي ﷺ اللاعب به وقال « إيَّاكُمْ وإيَّاهُ » .

أخلاق قوم لوط

لا تمضغ العلك ، ولا تخلل إزارك ، ولا تجرَّد ولا تحذف ، قال النبي ﷺ : « إنَّهَا مِنْ أَخْلاقِ قَوْم لُوط » .

إفطار الصائم :

اجمع الصُّوَّامَ عند فطرك على طعامك . قال ﷺ : « مَنْ فَطَّرَ صَائِماً كانَ لهُ مِثْلُ أجْرِهِ ، ولا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصائم شيءٌ » .

واعلم ـ رحمك الله ـ أن الله تعالى خصك من موعظتي بما نصحتك ، وأنهيت إليك منه ، ما أرجو أن يكون سعادة لك ، وسبباً إلى الجنَّة ، فليكن منك فيما كتبت إليك من القيام بأمر الله تعالى ، واتِّباع ماهو أ هله ما ترجو به القربة عند الله تعالى ، ولا يكن ذلك مما تظلف[1] عنه نفسك ، وتعاهدها بالأخذ والتأديب عليه ـ إن شاءَ الله ـ حتى توقِفها على الذي لا ينبغي لك التقصير بها عنه ـ إن شاءَ الله تعالى ـ .

والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب[2] .

*

*　　*

---

(١) الظلف : الكف والمنع .

(٢) الوصايا الخالدة ـ عبد البديع صقر ١١٨ ـ ١٥٠

نصيحة سفيان بن سعيد[1] لهارون الرشيد

ذكر الإمام ابن بليان والغزالي وغيرهما أن الرشيد لما ولي الخلافة زاره العلماء بأسرهم إلا سفيان بن سعيد فإنه لم يأته وكان بينه وبينه صحبة فشق عليه ذلك فكتب إليه الرشيد كتاباً يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله هارون أمير المؤمنين ؛ إلى أخيه في الله سفيانَ بنِ سَعيد :

أما بعد يا أخي ، فَقد عَلِمْت أن الله آخى بينْ المؤمنين ، وقد آخيْتُكَ في الله مُؤاخاة لم أصرم فيها حبْلكَ ، ولم أقطع منها ودَّك ، وإني مُنْطَوٍ لكَ على أفْضَل المحبة ، وأَتَم الإرادَةِ ، ولَوْلا هذهِ القِلادَةُ التي قَلَّدَنِيْهَا الله تعالى لأتَيْتُكَ ولوْ حَبْواً ، لِمَا أجِد لكَ في قلْبِي منَ المَحَبَّة ، وإنه لَمْ يبقَ أحدٌ منْ إخواني إلا زارَنِي وهنَّأني بما صِرْتُ إليه ، وقدْ فتَحْتُ بيُوتَ الأمْوالِ ، وأعْطيتُهُم منَ المواهبِ السنيَّةِ ، ما فرحتْ بهِ نفسي ، وقرتْ بهِ عيني ، وقَد اسْتَبْطَأتُكَ ، وقدْ كتبتُ كِتاباً مني إليكَ

---

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، من بني ثور بن عبد مناة ، من مضر ، أبو عبد الله : أمير المؤمنين في الحديث . كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى . ولد ونشأ في الكوفة ، راوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم فأبى ، وخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة ، ثم طلبه المهدي ، فتوارى . وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً . له من الكتب الجامع الكبير ، والجامع الصغير كلاهما في الحديث وكتاب في الفرائض . وكان آية في الحفظ . من كلامه : ماحفظت شيئاً فنسيته . ا هـ . الأعلام للزركلي .

أُعلمكَ بالشوقِ الشديد إليك ، وقَد علمتَ يا أبا عبدِ الله ما جاءَ في فَضْلِ زِيَارِة المؤمِنِ ومُواصَلَتِهِ ، فإذا وَرَدَ عليك كتابي هذا فالعَجَلَ العَجَل .

ثم أعطى الكتاب لعباد الطالقاني وأمره بإيصاله إليه ، وأن يحصي عليه بسمعه وقلبه دقيق أمره وجليله ليخبره به . قال عباد : فانطلقت إلى الكوفة فوجدت سفيان في مسجده ، فلما رآني على بعد قام وقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير ، قال : فنزلت عن فرسي بباب المسجد ، فقام يصلي ولم يكن وقت صلاة ، فدخلت وسلمت فما رفع أحد من جلسائه رأسه إلي ، قال : فبقيت واقفاً وما منهم أحد يعرض عليَّ الجلوس ، وقد علتني من هيبتهم الرعدة ، فرميت بالكتاب إليه ، فلما رأى الكتاب ارتعد وباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه ، فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كمه وأخذه وقلبه بيده ، ورماه إلى من كان خلفه ، وقال : ليقرأه بعضكم فإني أستغفر الله أن أمس شيئاً مسه ظالم بيده ، قال عباد : فمد بعضهم يده إليه وهو يرتعد كأنه حية تنهشه ثم قرأه فجعل سفيان يتبسم تبسم المتعجب ، فلما فرغ من قراءته ، قال اقلبوه واكتبوا للظالم على ظهره ، فقيل له : ياأبا عبد الله إنه خليفة فلو كتبت إليه في بياض لكان أحسن ، فقال : اكتبوا للظالم في ظهر كتابه ، فإن كان اكتسبه من حلال ، فسوف يجزى به ، وإن كان اكتسبه من حرام لسوف يُصلى به ، ولا يبقى شيء مسه ظالم بيده عندنا ، فيفسد علينا ديننا ، فقيل له : مانكتب إليه ؟ قال : اكتبوا له :

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد الميتِ سفيانَ إلى العبدِ المغرورِ بالآمالِ هارون الذي سُلب حلاوةَ الإيمان ، ولذة قراءة القرآن .

أما بعد . . فإني كتبتُ إليكَ أعلمكَ أني قدْ صرمتُ حبلكَ ، وقطعتُ ودكَ ، وأنكَ قدْ جعلتني شاهداً بإقراركَ على نفسكَ في كتابكَ ، بما هجمتَ على بيتِ مال المسلمينَ ، فأنفقْتَهُ في غير حقه ، وأنفذتهُ بغير حكمه ، ولم ترضَ بما فعلتَ وأنتَ

ناءٍ عنيٍّ ، حتى كتبتَ إليَّ تشهدُني على نفسك .

فأما أنا فإني قدْ شهدتُ عليكَ أنا وإخواني الذين حضروا قراءَةَ كتابك ، وسنؤدِّي الشهادة غَداً بين يدي الله الحَكَم العدل . يا هارون ؛ هجمتَ على بيتِ مالِ المسلمين بغيرِ رضاهُم . هلْ رضي بِفِعْلِكَ المؤلَّفةِ قلوبُهُم . والعاملون عليها في أرضِ الله . والمُجَاهدون في سبيل الله وابنُ السبيلِ ، أمْ رضيَ بذلك حملةُ القرآن وأهلُ العلْم يَعْني العاملين ، أمْ رضيَ بفعلكَ الأيتام والأرامل ، أم رضيَ بذلكَ خَلْقٌ منْ رعيتك ، فشدّ ياهارون مئْزَرَك ، وأعدّ للمَسْألة جواباً ، وللبلاءِ جلباباً ، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكمِ العَدْل فاتقِ الله في نفسك إذْ سلبت حلاوةَ العلم والزُّهدِ ولذةَ قراءة القرآن ، ومجالسة الأخيارِ ، ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً وللظالمينَ إماما[1] .

يا هارون قعدت على السرير ، ولبستَ الحرير ، وأسبلْتَ سُتُوراً دُون بابك ، وتشَبَّهْتَ بالحجبة برب العالمين ، ثمَّ أقعدتَ أجنادكَ الظلمةَ دونَ بابكَ ، وسُتُرِكَ يظلمونَ الناسَ ولا ينصِفُون ، ويشربونَ الخَمْرَ ويحدونَ الشارب ، ويزنونَ ويَحُدُّونَ الزَّاني ، ويسرقونَ ويقطعونَ السارِق ، ويقتلونَ ويقتلونَ القاتل ، أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليْهِم قبلَ أن يحكموا بها على النَّاس .

فكيفَ بكَ يا هارونُ غداً إذا نادى المُنادي منْ قبل الله احْشُروا الظلمة وأعوانَهُم ، فتقدمت بينَ يدي الله ويداكَ مغْلُولَتَانِ إلى عنقكَ ، لا يفكُّهما إلا عدلكَ وإنصافكَ ، والظالمونَ حولكَ وأنتَ لهم إمامٌ أوْ سائقٌ إلى النَّار .

وكأني بكَ ياهارونُ وقدْ أخذت بضيقِ الخناقِ ، ووردتَ المساقَ ، وأنتَ ترى حسناتكَ في ميزان غيرِكَ ، وسيئاتِ غيركَ في ميزانكَ على سيئاتكَ ، بلاءٌ على

---

[1] اضطربت الأخبار في أمر هارون الرشيد ، فمنهم من قبل مثل هذه الرواية ومنهم من قال إن هارون كان ملكاً مسلماً شجاعاً يحج عاماً ويغزو عاماً ، ومعلوم أن مثل هارون الحاكم الفاتح القوي يكثر خصومه من الداخل ومن الخارج .

بلاءٍ ، وظلمةٌ فوقَ ظلمةٍ ، فاتَّقِ الله يا هارونَ في رَعيتكَ ، واحفظ محمداً ﷺ في أمتِه ، واعلَم أنَّ هذا الأمْر لم يصِرْ إليكَ إلا وهو صائرٌ إلى غيركَ ، وكذلكَ الدنْيَا تفعلُ بأهلهَا واحداً بعدَ واحد ؛ فمنْهُم من تزوَّد زاداً نفعهُ ، ومنهم منْ خسرَ دنيَاه وآخرتهُ ، وإيَّاكَ ثمَّ إياكَ أنْ تكتبَ إليَّ بعدَ هذا ، فإنِّي لا أُجِيبُكَ والسَّلام .

وألقى الكتاب منشوراً من غير طي ولا ختم فأخذته ، وأقبلت به إلى سوق الكوفة ، وقد وقعت الموعظة بقلبي ، فناديت : يا أهل الكوفة من يشتري رجلاً هرب إلى الله ، فأقبلوا إلي بالدراهم والدنانير ، فقلت : لا حاجة لي بالمال ، ولكن جبة صوف ، وعباءة قطوانية فأتيت بذلك ، فنزعت ما كان علي من الثياب التي كنت أجالس بها أمير المؤمنين ، وأقبلت أقود الفرس الذي كان معي إلى أن أتيت باب الرشيد حافياً راجلاً فهزأ بي من كان على الباب ثم استؤذن لي ، فلما رآني على تلك الحالة قام وقعد ، وجعل يلطم رأسه ووجهه ، ويدعو بالويل ويقول : انتفع الرسول وخاب المرسل ، مالي وللدنيا ، والملك يزول عني سريعاً ، فألقيت الكتاب إليه مثل ما دفع إلي ، فأقبل يقرؤه ودموعه تنحدر على وجهه وهو يشهق ، فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين قد اجترأ عليك سفيان ، فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد ، وضيقت عليه السجن ، فجعلته عبرة لغيره ، فقال هارون :

اترُكُوا سفيانَ وشأنهُ يا عبيدَ الدنيا ؛ المغرورُ من غررتموهُ ، والشقيُّ ـ والله ـ حقّاً منْ جالستُمُوه ، إنَّ سفيان أُمَّةٌ وَحْدَهُ .

ولم يزل كتاب سفيان عند الرشيد يقرؤه دبر كل صلاة ويبكي ، حتى توفي رحمه الله تعالى .

* * *

أبو العتاهية[1] يعظ الرشيد

زخرف هارون الرشيد مجالسه وبالغ فيها ووضع فيها طعاماً كثيراً ثم وجه إلى أبي العتاهية . فأتاه ، فقال له : صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا ، فأنشأ يقول :

عش مابدا لك سالماً   في ظل شاهقة القصور

فقال : أحسنت ، ثم ماذا . فقال :

يسعى عليك بما اشتهيت   لدى الرواح وفي البكور

قال : حسن أيضاً ثم ماذا . فقال :

فإذا النفوس تقعقعت   في ضيق حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنا   ما كنت إلا في غرور

فبكى هارون ، فقال الفضل بن يحيى : بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته ، فقال هارون : دعه فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا عمى[2].

---

(١) هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني ، وكنيته أبو إسحاق . ومشهور بأبي العتاهية . ولد في سنة ١٣٠ هـ في (عين التمر) بقرب الكوفة . من الشعراء المطبوعين . ولا يقدر على جمع شعره لكثرته ، وأكثر شعره في الأمثال والحكم ، وكان يتشيع على مذهب الزيدية ولا يتعصب لأحد ، ولا يرى الخروج على السلطان ، وتوفي سنة ٢١٣ هـ . الأغاني جـ ٤ ص ١ ، الأعلام جـ ١ ص ٣١٩

(٢) الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء ، الذهب المسبوك ص ٢١٨

أبو العتاهية والرشيد

لما حبس أمير المؤمنين الرشيد ـ أبا العتاهية جعل عليه عيناً له يأتيه بما يقول، فوجده يوماً وقد كتب على الحائط :

أما والله إن الظلم لؤم ... ومازال المسيء هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم

قال : فأخبر بذلك الرشيد فبكى ودعا به واستحله ووهب له ألف دينار[1] .

وفي البداية والنهاية :

قال الرشيد لأبي العتاهية عظني بأبيات من الشعر وأوجز فقال :

لاتأمن الموت في طرف ولانفس ... ولو تمنعت بالحجّاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت صائبة ... لكل مدرع منها ومتّرس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لاتجري على اليبس

فخرّ مغشياً عليه .

* * *

(١) الذهب المسبوك ص ٢١٥ ـ ٢١٦

(٢) البداية والنهاية ٢١٨/١٠

الفضيل بن عياض[1] يعظ الرشيد

عن سفيان بن عيينة قال : قال الرشيد : أريد أن ألقى الفضيل بن عياض لعل الله يحدث لي عظة أنتفع بها فقلت : والله إن ذلك لحبيب إلي ولكنه رجل قد نذر نفسه لخدمة الله عز وجل فما لأحد فيه حظ ، وأكره أن تراه منصرفاً في بعض حالاته من عبادة ربه عز وجل فتوهم عليه جفاء وإن كنت والله أعرفه الرجل الكريم العشرة الحسن الخلق يوهم من شاهده من لينه ودماثة أخلاقه أنه داخل في حكم العيافة فقال لي : ما عزمت على لقائه حتى وطنت نفسي على احتمال مشاهدتي له في أخلاقه ، ثم قال : ويحك ياسفيان إن شرف التقوى لا يزاحم عليه بإمرة ولا خلافة ، فأديت ذلك إلى الفضيل فقال : إنه لحسن العقل لولا ما ضرب به من حب هذا العاجل ، ويسرني أن يلقاني ويسوؤني أيضاً .

فأما مايسرني من لقائه فأرجو أن يكون له فيه بعض الكبحات عن غيه وأما الذي يسوؤني فيه فلم أر مثله يرفل في سوابغ النعم عرياناً من الشكر ، ثم قطب بين عينيه ثم قال : ما قدر من كان لله عاصياً ؟ لا حاجة لي في لقائه . فلم أزل أرفق به حتى أذن له . فرجعت إلى الرشيد فأعلمته وقلت له : ليس تطمع فيه إلا وقت إفطاره وكان إفطاره كاختطاف الطير حبة . فركب الرشيد ولبس مبطنه

---

[1] هو الفضيل بن عياض بن مسعود التيمي ، ولد في سمرقند ، ودخل الكوفة وهو كبير ، وسكن مكة المكرمة ، وكان شيخ الحرم المكي بها ، وكان ثقة في الحديث ، وأخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي . وتوفي الفضيل بمكة عام ١٨٧ هـ وكتب عنه ابن الجوزي كتاباً لم يصل إلينا . صفوة الصفوة جـ ٢ ص ٢٣٧ . الحلية جـ ٨ ص ٨٤ . وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٢١٥

وطيلساناً وغطى رأسه ومعه مسرور الخادم وأنا فقرعت عليه الباب فنزل وفتح ودخل ودخلت معه ووقف مسرور على الباب فسلم عليه الرشيد قائماً فشم منه الفضيل رائحة المسك فقال : اللهم إني أسألك رائحة الجنة التي أعددتها لأوليائك المتقين في جنات النعيم . وتبادرت دموعه على لحيته فقلت : يا أبا علي هذا أمير المؤمنين واقف يسلم عليك ، فرفع رأسه وقال : إنك لهو ياحسن الوجه . ونظر إلى الرشيد وهو يبكي . فقال له : اعلم أن الحكام قد سلبت فضيلة العقل وظهر في الملة والذمة عدوان الأمرين ، وهو في صحيفة تدرج معك في كفنك ليوم النشور فقد بدت لك شرعة نفاد ماأنت فيه فيمن تقدمك من آبائك . ثم نهض وقال : الله أكبر : فقلت يا أمير المؤمنين : أما إذا افتتح الصلاة فليس فيه حيلة ، وانصرفنا فقال لي الرشيد وهو خارج : لولا خجلي منك قبلت مابين عينيه فقلت والله : لوددت أنك فعلت[1].



(1) الذهب المسبوك ٢٢٣ ـ ٢٢٤

الفضيل بن عياض يعظ الرشيد مرة أخرى

يحكى أن الرشيد قال للفضيل يوماً : ماأزهدك ! قال الفضيل : أنت أزهد مني . فقال : وكيف ذلك ؟ قال : لأني أزهد في الدنيا وأنت تزهد في الآخرة ، والدنيا فانية والآخرة باقية .

كما روي أنه قال للرشيد : ياحسن الوجه ، أنت الذي أمر هذه الأمة في يديك وعنقك ، لقد تقلدت أمراً عظيماً فبكى الرشيد ، ثم أعطى كل واحد من الأولياء والعلماء الحاضرين بدرة ، فكل قَبِلها إلا الفضيل ، فقال له الرشيد : يا أبا علي إن لم تستحل أخذها فأعطها ذا دِيْنٍ ، أو أشْبع بها جائعاً ، أو اكْسُ بها عارياً ، فاستعفاه منها .

قال الراوي وهو سفيان بن عُيَيْنَة : فلما خرجنا قلت له : يا أبا علي أخطأت أن لا أخذتها وصرفتها في أبواب البر ، وأخذ بلحيتي ، ثم قال : ياأبا محمد ، أنت فقيه البلد والمنظور إليه ، وتغلط مثل هذا الغلط لو طابت لأولئك لطابت لي[1] .



(١) مرآة الجنان جـ١ ص٤٢٣ ـ ٤٢٤

الفضيل بن عياض يعظ الرشيد مرة أخرى

عن الفضل بن الربيع[1] قال : حج أمير المؤمنين هارون الرشيد فبينما أنا ليلة نائم بمكة إذ سمعت قرع الباب ، فقلت من هذا ؟ فقال : أجب أمير المؤمنين ، فخرجت مسرعاً فقلت يا أمير المؤمنين : لو أرسلت إلي لأتيتك ، فقال : ويحك إنه قد حاك في نفسي شيء فانظر رجلاً أسأله ، فقلت ههنا سفيان بن عيينة[2] ، فقال : امض بنا إليه ، فأتيناه فقرعت عليه الباب . فقال من هذا فقلت : أجب أمير المؤمنين ، فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين : لو أرسلت إلي أتيتك فقال خذ لما جئناك له فحادثه ساعة ثم قال أعليك دين ؟ قال : نعم . ثم قال : يا عباس اقض دينه ثم انصرفا فقال ماأغنى صاحبك شيئاً فانظر لي رجلاً أسأله

---

(١) الفضل بن الربيع بن يونس ، أبوه أبو العباس : وزير أديب حازم ، كان أبوه وزيراً للمنصور العباسي . واستحجبه المنصور لما ولي أباه الوزارة فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان صاحب الترجمة من كبار خصومهم ، حتى ضربهم الرشيد تلك الضربة ، قال صاحب غربال الزمان : وكانت نكبتهم على يديه وولي الوزارة إلى أن مات الرشيد واستخلف الأمين فأقرّه في وزارته فعمل على مقاومة المأمون ولما ظفر المأمون استتر الفضل ثم عفا عنه المأمون وأهمله بقية حياته . توفي بطوس . وهو من أحفاد أبي فروة (كيسان) مولى عثمان بن عفان . .الأعلام للزركلي .

(٢) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي ، أبو محمد : محدث الحرم المكي من الموالي . ولد بالكوفة وسكن مكة وتوفي بها . كان حافظاً ثقة ، واسع العلم كبير القدر . قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز . وكان أعور وحج سبعين سنة . له (الجامع) في الحديث ، وكتاب في (التفسير) . الأعلام للزركلي .

فقلت هاهنا عبد الرزاق بن همام[1] ، قال امض بنا إليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا ؟ قلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعاً فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك فقال خذ لما جئناك له فحادثه ساعة ثم قال له أعليك دين ؟ قال : نعم قال يا عباس اقض دينه ثم انصرفا فقال ما أغنى عني صاحبك شيئاً فانظر لي رجلاً أسأله ، فقلت ههنا الفضيل بن عياض ، فقال امض بنا إليه ، فأتيناه ، فإذا هو قائم يصلي ، يتلو آية من القرآن يرددها ، فقال لي : اقرع الباب ، فقرعت الباب ، فقال من هذا ؟ فقلت أجب أمير المؤمنين ، فقال ما لي ولأمير المؤمنين ، فقلت سبحان الله ، أو ما عليك طاعته ؟ أوليس قد روي عن النبي ﷺ أنه قال : ليس لمؤمن أن يذل نفسه ؟ قال فنزل ففتح الباب ، ثم ارتقى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا الغرفة ، قال فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا ، فسبقت كف هارون إليه قبلي فقال : أواه من كف ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله تعالى ، قال فقلت في نفسي ليكلمنهم الليلة بكلام نقي من قلب تقي فقال خذ لما جئناك له يرحمك الله ، فقال : إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم : إني ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي ، فعد الخلافة يا أمير المؤمنين بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة ، فقال له سالم بن عبد الله إن أردت النجاة من عذاب الله فصم الدنيا وليكن إفطارك هذا الموت ، فقال محمد بن كعب القرظي : إن أردت النجاة غدا من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً وأوسطهم عندك أخاً وأصغرهم عندك ولداً ، فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك .

فقال رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فأحب للمسلمين ماتحب لنفسك ، ثم مت إذا شئت . إني لأقول لك هذا وإني لأخشى عليك أشد

---

[1] عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم ، أبو بكر الصنعاني : من حفاظ الحديث الثقات ، من أهل صنعاء ، كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث . له (الجامع الكبير) في الحديث . قال الذهبي : وهو خزانة علم ، وكتاب في (تفسير القرآن) و (المصنف) في الحديث ويقال له الجامع الكبير ، الأعلام للزركلي .

الخوف يوم القيامة ، يوم تزل فيه الأقدام . فهل معك رحمك الله مثل هؤلاء . من يأمرك بمثل هذا ؟ : فبكى هارون بكاء شديداً حتى غشي عليه ، فقلت له أرفق بأمير المؤمنين ، فقال ياربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا ، ثم أفاق فقال زدني يرحمك الله فقلت يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى إليه ، فكتب إليه عمر : يا أخي اذكر طول قهر أهل النار في النار مع خلود الأبد . إن ذلك يطرد بك إلى الرب عز وجل نائماً ويقظان . وإياك أن ينصرف بك من عند الله عز وجل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء . قال فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبي بكتابك لا وليت لك عملاً حتى ألقى الله عز وجل . قال : فبكى هارون بكاء شديداً ثم قال زدني يرحمك الله فقال يا أمير المؤمنين إن العباس عم النبي ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أمرني على إمارة فقال النبي ﷺ يا عباس يا عم محمد نفس تحييها خير من إمارة لاتحصيها . إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت ألا تكون أميراً فافعل . قال فبكى هارون بكاء شديداً فقال زدني يرحمك الله ، فقال ياحسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فانظر وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك فإن النبي ﷺ قال : من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة ، قال فبكى هارون بكاء شديداً ثم قال عليك دين ؟ قال نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل لي إن سألني ، والويل لي إن ناقشني ، والويل لي إن لم ألهم حجتي ، قال فقال إنما أعني دين العباد ، قال : لا . عندي خير كثير لا أحتاج معه إلى مافي أيدي الناس .

قال أبو عمر النحوي : وكأنه يعني القرآن واليقين والدعاء في هذه الرواية قال فقال إن ربي عز وجل لم يأمرني بهذا أمرني أن أصدق وعده وأن أطيع أمره فقال عز وجل : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ﴾ فقال هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوَّ بها على عبادة ربك فقال سبحان الله : أنا أدلك على النجاة وتكافيني

بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت ، فلم يكلمنا ، فخرجنا من عنده ، فلما صرنا على الباب قال لي هارون : يا عباس إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا . هذا سيد المسلمين اليوم .

قال عمر بن أحمد بن عثمان : في هذا الحديث : فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت ياهذا أما ترى ما نحن فيه من ضيق الحال ، فلو قبلت هذا المال ففرجنا به ، فقال لها : مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه ، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه .

فلما سمع هارون هذا الكلام قال ادخل فعسى أن يقبل المال قال فدخلنا فلما علم بنا الفضيل خرج فجلس في التراب على السطح ، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلم يجبه ، فبينما نحن كذلك إذ جاءت جارية سوداء فقالت يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة ، فانصرف رحمك الله قال فانصرفنا[1] .



(1) الذهب المسبوك ص ٢١٢ ـ ٢١٥

محمد بن أوس الهلالي يعظ هارون الرشيد

عن سالم الأسود قال : رأيت الرشيد بمكة وهو متكىء على الفضل بن الربيع ورجل آخر يطوف بالبيت فقام إليه محمد بن أوس الهلالي وكان سفيان بن عيينة له مكرماً ومبجلاً ومعظماً وكان الناس يقولون إنه لم يبق من الصوفية بالحجاز أحد أفضل منه فقام للرشيد واعترضه عند الحجر فقال : يا أمير المؤمنين استمع كلامي فإنك إن سمعته حقاً قبلته وإن سمعته باطلاً فلاتعبأ به فوقف . فقال : يا من غذي في نعيم وتردد في ملك سليم إن خفت العذاب الأليم وأحببت البقاء في سرور مقيم فلاتسمعن ممن أنت بينهما ولاتغترن بشيء من قولهما فإن الله عز وجل يخلو بك دونهما فالموت إليك على الطوع والكره منهما فلاتقتصدن بالذليل ولاتتكثرن بالقليل ولاتعتصم بغير دافع ولاتطمئن إلى غير مانع لايمنع ولايدفع عنك فإنك بعين الله وبحضرة بيته الذي جعله مثابة للزائر ومَحْجَراً[1] للفاجر فانتفض الرشيد وجلس وخلا يديه عنهما وأومأ أن خذوا الرجل ، فأخذ حتى قضى طوافه وصلى ، ورجع إلى المنزل الذي به نزل ، ودعا بالرجل فأدخل عليه شيخ جليل ، فقال من أين أنت ؟ قال : من مكة . قال ماإسمك ؟ قال : محمد قال ابن من ؟ قال : ابن أوس . قال : من قبيلتك ؟ قال : بنو هلال ، قال : قبيلة مشهورة ، فما حملك أن كلمتني بالذي كلمتني ؟ قال : إشفاقاً عليك . إذ أنضيت الركاب[2] وأتعبت

---

(1) المحجر : ماحول القرية . ومنه محاجر أقيال اليمن وهي الأحماء وكان لكل واحد منهم حمى لا يرعاه غيره . أي : جعل الله البيت مطلباً للزائر وأمناً للعاصي حتى يتوب .

(2) أنضيت الركاب أي : قطعته .

الرجال وأنفقت الأموال في أمور الله عز وجل أعلم بها ، حتى إذا صرت إلى غاية الطالب وموضع ترجو فيه الرحمة اعتمدت على ظالمين طاغيين ، قد جبلا على الغشم ، ونشئا على الظلم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾ فنكس الرشيد رأسه ، وأقبل ينكت في الأرض وعيناه تذرفان ثم رفع رأسه فقال : من أين مطعمك ومشربك ؟ قال : من عند من يرزقك . قال من ذاك ؟ قال : من عند من فلق الحب والنوى وأخرج الحب من الثرى من طعام سهرت فيه العيون ، وتعبت في حصاده الأجساد ، وحرسته الملائكة حتى أتاني به القدر بلا رنق[1] ولا كدر قال : ألك عيال ؟ قال : نعم . قال ومن هن ؟ قال : زوجة . قال أتختلف إلى تجارة أو تحترف في صناعة ؟ قال : قد كفاني الله مؤونة ذلك بالعافية . قال : أفلا أجري عليك رزقاً تستعين به على بعض أمورك وتستغني به عن الطلب من غيرك . قال : إني بالله أغنى مني بما بذلت لي من ذلك . قال : ألك حاجة ؟ قال : نعم أطع الله عز وجل فيما تعلم من سرك ، فإنك تصل إلى كل محبوب وتنال به كل مطلوب ، ولست تبلغ شيئاً من نكاية عدوك من طاعتك لربك فإنك إن أطعته جعل ناصية عدوك بيدك ، فلاتشاء أمراً إلا بلغته ولا مكروهاً به إلا نلته ، قال : ألك حاجة غيرها ؟ قال أتؤمنني من الموت ؟ قال لا أقدر على ذلك . قال : فتجيرني من النار ؟ قال : ليست في يدي . قال : فتدخلني الجنة ؟ قال لست أملك . قال : أفتحيي لي ميتاً حتى أسأله عما عاين ورأى ؟ قال : ذاك في قدرة غيري . قال : ما أنت إلا كسائر من ترى من رعيتك . غير أن الله عز وجل فضلك عليهم بما أعطاك من هذا الحطام الزائل ، واستخلفك في الأرض لينظر كيف تعمل ، وذكر كلاماً ، ثم خرج فقال الرشيد : الحمد لله الذي جعل في رعية أنا عليها مثله ، ولا تزال هذه الأمة بخير ما لم يعدموا هذا ونظراءه وأشباهه[2] .

---

(١) الرَّنَق : الكدر .

(٢) الذهب المسبوك ص ٢١٨

ابن السماك[1] يعظ هارون الرشيد

دخل ابن السماك على هارون الرشيد فقال : عظني وأوجز فقال : ما أعجب يا أمير المؤمنين ما نحن فيه كيف غلب علينا حب الدنيا . وأعجب ما نصير إليه كيف غفلنا عنه . عجباً لصغير حقير إلى فناء يصير غلب على كثير طويل دائم غير نافد .

وفي العقد الفريد أن ابن السماك لما دخل على هارون ووقف بين يديه قال له : يا ابن السماك عظني وأوجز ، فقال : كفى بالقرآن واعظاً يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل : ﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ فهذا وعيد لمن طفف في الكيل فما ظنك بمن أخذه كله .

وله يعظه مرة أخرى :

قال يحيى بن خالد البرمكي لابن السماك : إذا دخلت على أمير المؤمنين هارون الرشيد فأوجز ولا تكثر عليه ، فلما دخل عليه وقام بين يديه . قال : يا أمير المؤمنين ، إن لك بين يدي الله مقاماً ، وإن لك من مقامك منصرفاً ، فانظر إلى أين منصرفك ، إلى الجنة أم إلى النار ،قال : فبكى هارون حتى كاد يموت .

---

(1) ابن السماك : عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غُفير ، أبو ذر الأنصاري الهروي . عالم بالحديث ، من الحفاظ ، من فقهاء المالكية . أصله من هراه نزل بمكة ومات بها ، له تصانيف منها (تفسير القرآن) و (السنة والصفات) ومعجمان أحدهما فيمن روى عنهم الحديث ، والثاني فيمن لقيهم ولم يأخذ منهم ، توفي سنة ٤٣٤ هـ . الأعلام للزركلي .

وبعث هارون أمير المؤمنين إلى محمد بن السماك في آخر شعبان فأحضر فقال له يحيى بن خالد : أتدري لم بعث إليك أمير المؤمنين ؟ قال : لا أدري . قال له : بعث إليك لما بلغه من حسن دعائك للخاصة والعامة وثنائهم عليك فقال له ابن السماك : أما ما بلغ أمير المؤمنين عني من ذلك فبستر الله الذي ستره علي ولولا ستره لم يبق ثناء ولا بقاء على مودة ، والستر هو الذي أجلسني بين يديك ، ثم قال في رواية أخرى : يا أمير المؤمنين : في عيوب لو أطلعت الناس منها على عيب واحد مابقيت لي في قلب أحد مودة ، وإني لخائف من الكلام الفتنة ومن الستر الغرة ، وإني لخائف على نفسي من قلة خوفي عليها . يا أمير المؤمنين : إني والله ما رأيت وجهاً أحسن من وجهك فلا تحرق وجهك بالنار ، فبكى هارون بكاء شديداً ثم دعا بماء واستسقى فأتي بقدح فيه ماء فقال يا أمير المؤمنين : أكلمك بكلمة قبل أن تشرب هذا الماء قال : قل ما أحببت قال يا أمير المؤمنين : لو منعت هذه الشربة إلا بالدنيا وما فيها أكنت تفتديها بالدنيا وما فيها حتى تصل إليك قال نعم قال فاشرب ريا بارك الله لك ، فلما فرغ من شربه قال يا أمير المؤمنين أرأيت لو منعت إخراج هذه الشربة عنك إلا بالدنيا وما فيها أكنت تفتدي ذلك بالدنيا وما فيها ؟ قال : نعم . قال يا أمير المؤمنين : فما تصنع بشيء وشربة ماء خير منه قال فبكى هارون واشتد بكاؤه قال . فقال يحيى بن خالد : يا ابن سماك قد آذيت أمير المؤمنين فقال له : وأنت يا يحيى فلايغرنك رفاهية العيش ولينه[1] .

* * *

---

(١) تاريخ بغداد ٣٧٢/٥

ابن السماك يعظ هارون الرشيد[1]

قال هارون الرشيد لابن السماك عظني !

فقال : اعلم أنك لست أول خليفة يموت ، فقال : زدني ، فقال : لو لم يمت من كان قبلك لم يصل إليك ما أنت فيه ، فقال زدني .

فأنشأ يقول :

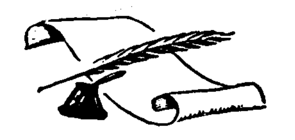
أَتَـطْمَـعُ أنْ تُخَلَّدَ لاأَبـالَـك ... أَمِنْت يـدَ المَنيـةَ أنْ تَنـالـك

أمـا والله إن لهـا رسـولاً ... بـه لَوْ قَـدْ أَتاكَ لما أَقالـك

كـأني بالـتراب عليـك يُحْثى ... وبـالبـاكـين يقتسمـون مـالـك

ألا فاخرجْ من الـدنيا سليـماً ... ورجٍّ من المعاش بما رجا لَك

فلست مخلفاً في الناس شيئاً ... ولست مـزوّداً إلا فـعـالـك



---

(1) نصيحة الملوك للماوردي ص ٦

ابن السماك يعظ الرشيد

دخل ابن السماك يوماً فاستسقى الرشيد فأتي بقلة فيها ماء مبرد ، فقال لابن السماك : عظني . فقال : يا أمير المؤمنين بكم كنت مشترياً هذه الشربة لو منعتها ؟ فقال : بنصف ملكي . فقال : اشرب هنيئاً ، فلما شرب قال : أرأيت لو منعت خروجها بكم كنت تشتري ذلك ؟ قال : بنصف ملكي الآخر . فقال : إن ملكاً قيمة نصفه شربة ماء ، وقيمة نصفه الآخر بوله ، لخليق أن لا يتنافس فيه . فبكى هارون .

كما قال له يوماً : إنك تموت وحدك ، وتدخل القبر وحدك ، وتبعث منه وحدك ، فاحذر المقام بين يدي الله عز وجل ، والوقوف بين الجنة والنار ، حين يؤخذ بالكظم وتزل القدم ، ويقع الندم ، فلا توبة تقبل ، ولا عثرة تقال ، ولا يُقبل فداء بمال . فجعل الرشيد يبكي حتى علا صوته . فقال يحيى بن خالد له : يا ابن السماك ! لقد شققت على أمير المؤمنين الليلة فقام فخرج من عنده وهو يبكي [1] .

* * *

---

(1) البداية والنهاية ١٠/٢١٧

أبو نصر يعظ هارون الرشيد

عن ابن فديك قال : كان ههنا بالمدينة في سنة سبع وثمانين رجل يكنى أبا نصر من جهينة ذاهب العقل في غير ماالناس فيه ، لا يتكلم في شيء من أمر الدنيا وكان يجلس مع أهل الصفة في آخر مسجد رسول الله ﷺ ، وكان إذا سئل عن الشيء أجاب جواباً معجباً حسناً قال ابن أبي فديك فأتيته يوماً وهو في آخر المسجد منكساً رأسه واضعاً وجهه بين ركبتيه فجلست إلى جنبه فحركته فانتبه فأعطيته شيئاً كان معي فأخذه وقال : قد صادف منا حاجة ، فقلت له يا أبا نُصير : ما الشرف ؟ قال حمل ماناب العشيرة أدناها وأقصاها والقبول من محسنها والتجاوز عن مسيئها . قلت : فما المروءة ؟ قال إطعام الطعام وإفشاء السلام وتوقي الأدناس واجتناب المعاصي صغيرها وكبيرها . قلت فما السخاء ؟ قال : جهد المقل . قلت : ما البخل ؟ قال : أف وحوّل وجهه عني فقلت لم تجبني بشيء ؟ قال : بلى قد أجبتك . قال ابن أبي فديك : وقدم أمير المؤمنين هارون إلى المدينة فأحب أن ينظر إليه فأُخلي له مسجد الرسول ﷺ فوقف على قبر النبي ﷺ ووقف على منبره وفي موضع جبريل عليه السلام ثم قال : قفوا بي على أهل الصفة حتى أنظر إليه يعني أبا نصر فلما أتاهم حرك هارون أبا نصر بيده فرفع رأسه وهارون واقف فقيل يا أبا نصر هذا أمير المؤمنين واقف عليك فرفع رأسه إليه فقال له : أيها الرجل إنه ليس بين الله وبين أمة نبيه ورعيتك خلق غيرك وإن الله سائلك فأعد للمسألة جواباً فقد قال عمر بن الخطاب رحمة الله عليه : لو ضاعت سخلة على شاطىء الفرات لخاف عمر أن يسأله الله عنها فبكى هارون وقال : يا أبا نصر إن رعيتي ودهري غير رعية عمر ودهره فقال له أبو نصر : هذا والله غير مغنٍ

عنك ، فانظر لنفسك فإنك وعمر تُسألان عمّا خوّلكما الله ، ثم دعا هارون بصرّة فيها مائة دينار فقال ادفعوها إلى أبي نصر ، فقال : وهل أنا إلا رجل من أهل الصفّة ؟ ادفعوها إلى فلان يفرقها عليهم ويجعلني رجلاً منهم[1] .



(1) الذهب المسبوك ص ٢٢٠ - ٢٢١

بهلول[1] يعظ الرشيد

عن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياماً ثم ضرب بالرحيل ، فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجاز بالكناس والصبيان يؤذونه ويولعون به إذ أقبلت هوادج أمير المؤمنين فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هودج هارون نادى بأعلى صوته : يا أمير المؤمنين . فقال هارون للعباس : من المجترىء علي في هذا المكان ؟ فقال هذا بهلول المجنون يا أمير المؤمنين ، فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه فقال لبيك يابهلول لبيك يابهلول ، فقال يا أمير المؤمنين : حدثنا أيمن بن قابل عن قدامة بن عبد الله العامري قال : رأيت النبي ﷺ منصرفاً من عرفة على ناقة له صهباء بلاضرب ولاقائد ولاإليك إليك ، وتواضعك في شرفك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك ، قال : فبكى هارون حتى سقطت دموعه إلى الأرض ثم قال : يا بهلول زدنا رحمك الله قال : نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالاً وجمالاً فأنفق من ماله وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله عز وجل من الأبرار قال : أحسنت يا بهلول مع الجائزة قال : اردد الجائزة على من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها . قال يا بهلول فإن يكن عليك دين قضيناه ، قال يا أمير المؤمنين : هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون أجمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالدين لا يجوز ، قال

---

(١) بهلول بن عمرو الصيرفي ، أبو وهيب : من عقلاء المجانين . له أخبار ونوادر وشعر . ولد ونشأ في الكوفة ، واستقدمه الرشيد وغيره من الخلفاء لسماع كلامه . كان في منشأه من المتأدبين ثم وسوس فعرف بالمجنون . الأعلام للزركلي .

يا بهلول أفنجري عليك مايقوتك أو يقيمك ، قال : فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال : يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله ، فمحال أن يذكرك وينساني ، قال : فأسبل هارون السجاف ومضى[1].

وفي البداية والنهاية :

عن الفضل بن الربيع قال : حججت مع الرشيد فمررنا بالكوفة فإذا بهلول المجنون يهذي ، فقلت : اسكت فقد أقبل أمير المؤمنين . فسكت فلما حاذاه الهودج قال : يا أمير المؤمنين حدثني أيمن بن نائل حدثنا قدامة بن عبد الله العامري قال : رأيت النبي ﷺ بمنى على جمل وتحته رحل رث الهيئة ، ولم يكن طرد ولا ضرب ولا إليك إليك . قال الربيع : فقلت يا أمير المؤمنين إنه بهلول ، فقال : قد عرفته ، قل يا بهلول فقال :

هبْ أن قد ملكت الأرض طراً ... ودان لـك العباد فكـان مـاذا
أليس غداً مصيرك جوف قبرٍ ... ويحثو عليك التراب هذا ثم هذا

قال : أجدت يا بهلول ، أفغيره ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين! من رزقه الله مالاً وجمالاً فعف في جماله ، وواسى في ماله ، كتب في ديوان الله من الأبرار . قال : فظن أنه يريد شيئاً ، فقال : إنا أمرنا بقضاء دينك . فقال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، لا يقضى دين بدين ، اردد الحق إلى أهله واقض دين نفسك من نفسك . قال : إنا أمرنا أن يجري عليك رزق تقتات به . قال : لا تفعل يا أمير المؤمنين فإنه سبحانه لا يعطيك وينساني ، وها أنذا قد عشت عمراً لم تُجْر علي رزقاً ، انصرف لا حاجة لي في جرايتك . قال : هذه ألف دينار خذها . فقال : اردها على أصحابك فهو خير لك ، وما أصنع بها ؟ انصرف عني فقد آذيتني . قال : فانصرف عنه الرشيد وقد تصاغرت عنده الدنيا[2] .

---

(١) الذهب المسبوك ص٢٢٢

(٢) البداية والنهاية ١٠/٢٠٠

عبد الله بن عبد العزيز العمري[1] يعظ الرشيد

قال له وهو واقف على الصفا : أتنظر كم حولها ـ يعني الكعبة ـ من الناس ؟ فقال : كثير ، فقال : كل منهم يسأل يوم القيامة عن خاصة نفسه ، وأنت تسأل عنهم كلهم . فبكى الرشيد بكاء كثيراً ، وجعلوا يأتونه بمنديل بعد منديل ينشف به دموعه . ثم قال له : يا هارون إن الرجل ليسرف في ماله فيستحق الحجر عليه ، فكيف بمن يسرف في أموال المسلمين كلهم ؟ ثم تركهم وانصرف والرشيد يبكي[2] .

وفي مرآة الجنان

قال له وهو في السعي على الصفا : يا هارون ، قال له : لبيك ياعم ، قال : انظر إليهم هل تحصيهم ؟ يعني الحجيج ، قال : ومن يحصيهم ؟ قال : اعلم أن كلاً منهم يسأل عن خاصة نفسه ، وأنت مسؤول عنهم كلهم ، ثم قرعه بكلام قال في آخره : والله إن الرجل يسرف في ماله فيستحق الحجر عليه ، فكيف من يسرف في أموال المسلمين ؟![3] .

---

(١) أدرك أبا طوالة ، وروى عن أبيه وإبراهيم بن سعد ، وكان عابداً زاهداً . وله مع الرشيد مواقف محمودة توفي سنة ١٨٤ عن ٨٦ سنة .

(٢) البداية والنهاية ١٠/١٨٥

(٣) مرآة الجنان جـ١ ص ٣٨١

أبو النصر الجهني[1] يعظ الرشيد

قال له : اعلم أن الله سائلك عن أمة نبيه فأعد لذلك جواباً ، وقد قال عمر بن الخطاب لو ماتت سخلة بالعراق ضياعاً لخشيت أن يسألني الله عنها . فقال الرشيد : إني لست كعمر ، وإن دهري ليس كدهره . فقال : ما هذا بمغنٍ عنك شيئاً فأمر له بثلاثمائة دينار ، فقال : أنا رجل من أهل الصفة فَمُرْ بها فلتقسم عليهم وأنا واحد منهم[2] .

* * *

---

(١) أبو النصر الجهني المصاب . كان مقيماً بالمدينة النبوية بالصفة من المسجد في الحائط الشمالي منه ، وكان طويل السكوت ، فإذا سئل أجاب بجواب حسن ، ويتكلم بكلمات مفيدة تؤثر عنه وتكتب ، وكان يخرج يوم الجمعة قبل الصلاة فيقف على مجامع الناس فيقول : ﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ﴾ الآية ، و﴿ يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ﴾ الآية ، ثم ينتقل إلى جماعة أخرى ثم إلى أخرى ، حتى يدخل المسجد فيصلي الجمعة ثم لا يخرج منه حتى يصلي العشاء الآخرة . البداية والنهاية ١٠/٢٢٦

(٢) البداية والنهاية ١٠/٢٢٥ ـ ٢٢٦

الحسن البصري[1] يعظ عمر بن هبيرة[2]

لما وَلي عمر بن هبيرة العراق أرسل إلى الحسن البصري والشعبي وابن سيرين فقال لهم : إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك يكتب إليّ في أشياء ، إن أطعتُه فيها أغضبتُ الله ، وإنْ عصيتُه لم آمن بطشه وغضبه .

فهل ترون لي في متابعتي إياه فرجاً ؟ فتكلم الشعبي وابن سيرين كلاماً فيه تقية ومداراة والحسن ساكت ، قال له : ما تقول أنت يا أبا سعيد ؟

قال : أقول ياعمر بن هبيرة ، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى

---

(١) الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد : تابعي ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة في زمانه . ولد بالمدينة ، وشبّ في كنف علي بن أبي طالب واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية ، وسكن البصرة ، وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم ، لا يخاف في الحق لومة لائم . كان أبوه من أهل ميسان مولى لبعض الأنصار ولد سنة ٢١ هـ وتوفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ . الأعلام للزركلي .

(٢) عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي الفزاري أبو المثنى : أمير من الدهاة الشجعان ، كان رجل أهل الشام ، وهو بدوي أمي صحب عمرو بن معاوية العقيلي في سيره لغزو الروم ، فأظهر بسالة .وشارك في قتل مطرف بن المغيرة المناوىء للحجاج وأخذ رأسه فسيره به الحجاج إلى عبد الملك بن مروان فسر به عبد الملك وأقطعه إقطاعاً ببرزة من قرى (دمشق) ولما صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز ولاه الجزيرة فغزا الروم من ناحية أرمينية فهزمهم ثم ولي العراق وخراسان في خلافة يزيد ثم عزله هشام بن عبد الملك وولى مكانه خالد بن عبد الله القسري فحبسه خالد ولم يطل حبسه فإن غلماناً له من الأروام حفروا نفقاً إلى السجن وأحضروا له خيلاً فهرب ومعه ابنه يزيد وذهب إلى الشام فأناخ بباب مسلمة بن عبد الملك فكان واسطته عند هشام فرضي عنه هشام وأمنه . توفي سنة ١١٠ هـ .

فظ غليظ ، فيخرجك من سعة قصرك ، إلى ضيق قبرك ، يا عمر بن هبيرة إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ، وإن تطع يزيد لايعصمك من الله ، يا عمر بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك ، نظر مقت ، فيغلق باب المغفرة دونك ، يا عمر بن هبيرة : لقد أدركت ناساً من صدر هذه الأمة كانوا والله على الدنيا وهي مقبلة ، أشد إدباراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة ، يا عمر بن هبيرة إن تكن مع الله في طاعته يرد عنك كيد يزيد بن عبد الملك وإن تكن مع يزيد بن عبد الملك في معاصيه وكلك الله إليه .

فبكى عمر حتى أخضل لحيته ، وزاد في إكرامه على الشعبي وابن سيرين .



الحسن البصري يعظ الحجاج[1]

كان الحجاج يطلب الحسن البصري دائماً واختفى منه مرة في دار علي بن جدعان سنتين ، ومرة في بيت أبي محمد البزاز ، وأدركه أعوان الحجاج مرة فساقوه إليه ، وأيقن الناس أنه قاتِلُه ، فلما رآه قال له : أنت الحسن ؟ قال : نعم . قال : أنت القائل ما بلغني عنك . قال : وما بلغك عني ؟ قال : قولك :

اتَّخَذُوا عبادَ الله خَوَلاً [2] وكتاب الله دَخَلاً [3] ومال الله دولاً [4] يأخذون من غضب الله ، وينفقون في سخط الله ، والحساب عند البيدر[5] . قال : نعم .

---

(١) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ، أبو محمد : قائد ، داهية ، سفاك ، خطيب . ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان ، فكان في عديد شرطته ، ثم مازال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره ، وأمره بقتال ابن الزبير ، وولاه مكة والطائف والمدينة ثم أضاف إليه العراق فانصرف إلى بغداد فقمع ثورتها وثبتت له الإمارة عشرين سنة وبنى مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة) وكان سفاكاً سفّاحاً باتفاق معظم المؤرخين ، وهو أول من ضرب درهماً عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وأول من بنى مدينة بعد الصحابة في الإسلام وأول من اتخذ المحامل وأن امرأة سبيت في الهند فنادت ياحجاجاه فاتصل به ذلك فجعل يقول : لبيك لبيك ! وأنفق سبعة آلاف درهم حتى أنقذ المرأة . مات بواسط وأجري على قبره الماء فاندرس . ولد سنة ٤٠ هـ وتوفي سنة ٩٥ هـ . الأعلام للزركلي .

(٢) خَوَلاً : خدم .

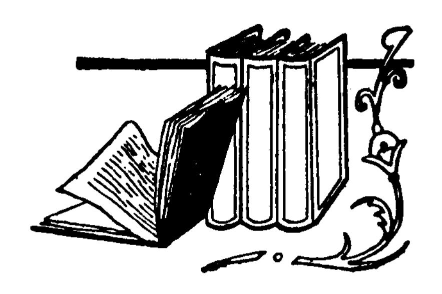
(٣) دَخَلاً : مكراً وخديعة .

(٤) دولاً : المتداول به .

(٥) البيدر : الموضع الذي يداس فيه الطعام ، وهذا كنية .

قال : وتكنٍّ[٥] بذلك عنا . قال : نعم . ولم قلته ويلك ؟ قال : لِمَا أَخذ الله ميثاق الفقهاء في الأزمنة كلها ليبيِّننَّه للناس ولا يكتمونه . ثم قال له : كم بينك أيها الأمير وبين آدم من أب ؟ قال : كثير . قال : أين هم ؟ فأطرق الحجاج ساعة مفكراً . ثم قال : يا جارية الغالية (أي الطيب) فخرجت بها . فقال : ضمخوا رأس الشيخ ولحيته بالطيب . ثم قال : انصرف إلى أصحابك فلنعم المؤدب أنت .

وانصرف وعاد إلى ماكان عليه حتى بلغه موته وهو مختف منه في المسجد فسجد شكراً لله .



(١) وتكنٍّ : تتكلم بالشيء وتريد غيره .

بين رجل والمأمون[1]

قال الحسن بن عبد الجبار المعروف بالغرق : بينا المأمون في بعض مغازيه يسير منفرداً عن أصحابه ، ومعه عجيف بن عنبة إذ طلع رجل متخبط متكفن ، فلما عاينه المأمون وقف ثم التفت إلى عجيف فقال : ويحك أما ترى صاحب الكفن مقبلاً يريدني ! فقال له : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ، قال : فما كذب الرجل أن وقف على المأمون فقال له المأمون : من أردت يا صاحب الكفن وإلى من قصدت ؟ قال : إياك أردت . قال : عرفتني ؟ قال : لو لم أعرفك ما قصدتك .

قال : أفسلمت علي ؟ قال : ماأرى السلام عليك . قال : ولم ؟ قال : لإفسادك علينا الغزاة . قال عجيف : فأنا ألين من سيفي لئلا أبطىء ضرب عنقه إذ التفت المأمون فقال : يا عجيف إنني جائع ولا رأي لجائع فخذه إليك حتى أتغدى وأدعو به فقال : فتناوله عجيف فوضعه بين يديه فلما صار المأمون إلى رحله دعا بالطعام فلما وضع بين يديه أمر برفعه وقال : والله ما أسيغه حتى أناظر

---

(١) عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور ، أبو العباس سابع الخلفاء من بني العباس في العراق ، وأحد أعاظم الملوك ، في سيرته وعلمه وسعة ملكه ، نفذ أمره من إفريقية إلى أقصى خراسان وماوراء النهر والسند ، ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة ١٩٨ هـ فتمم مابدأ به جده المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة ، وأتحف ملوك الروم بالهدايا سائلاً أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا إليه بعدد كبير من كتب أفلاطون وأرسطاطاليس وغيرهم وقرب العلماء والفقهاء والمحدثين وغيرهم ، وفي السنة الأخيرة من حياته ظهرت المحنة بخلق القرآن . كان فصيحاً واسع العلم توفي في (بذندون) ودفن بطرسوس . ولد سنة ١٧٠ هـ وتوفي سنة ٢١٨ هـ . الأعلام للزركلي .

خصمي . يا عجيف عليَّ بصاحب الكفن قال : فلما جلس بين يديه قال : هيه يا صاحب الكفن ماذا قلت ؟ قال : لا أرى السلام عليك لإفسادك الغزاة علينا . قال : بماذا أفسدتها ؟ قال بإطلاقك الخمور تباع في عسكرك وقد حرمها الله عز وجل في كتابه فابدأ بعسكرك فنظفه ثم اقصد العدو . بماذا استحللت أن تبيح شيئاً قد حرمه الله كهيئة ما أحل الله عز وجل ، قال : أوعرفت أن الخمر تباع ظاهراً أم رأيتها ؟ قال : لو لم أرها وتصح عندي ما وقفت هذا الموقف قال : فشيء سوى الخمر أنكرتها ؟ قال : نعم إظهارك الجواري في العماريات وكشفهن الشعور منهن بين أيدينا كأنهن فلق الأقمار . خرج الرجل منا يريد أن يهراق دمه في سبيل الله ويعتقر جواده قاصداً نحو العدو فإذا نظر إليهن أفسدن عليه دينه فركن إلى الدنيا وانصاع إليها فلم استحللت ذلك ؟ قال : ما استحللت ذلك وسأجيبك بالعذر فيه ، فإن كان صواباً وإلا رجعت ثم قال : فشيء غير هذا أنكرته ؟ قال : نعم شيئاً أمرت به تنهانا عن الأمر بالمعروف قال : أما الذي تأمر بالمنكر فإني أنهاه وأما الذي تأمر بالمعروف فإني أحبه على ذلك وأحدوه عليه ، ثم قال : أفشيء سوى ذلك ؟ قال : لا ، قال : يا صاحب الكفن ! أما الخمر فقد حرمها الله ولكن الخمر لا تعرف إلا بثلاث جوارح بالنظر والشم والذوق أفتشربها أنت ؟ قال : معاذ الله أن أنكر ما أشرب قال أفممكن في وقتك هذا أن توقفنا على بيعها حتى نوجه معك من يشتري منها ؟ قال ومن يظهره إلي أو يبيعنيها وعلي هذا الكفن ، قال : صدقت قال : فكأنك إنما عرفتها بهاتين الجارحتين ، يا عجيف علي بقوارير فيها شراب فانطلق عجيف فأتاه بعشرين قارورة فوضعها بين يديه في ايدي عشرين وصيفا ثم قال : يا صاحب الكفن : نفيت من آبائي الراشدين المهديين إن لم تكن الخمر فيها فإنك تعلم أن الخمر من ستر الله على عباده وأنه لا يجوز لك أن تشهد على قوم مستورين إلا بمعاينة وعلم ولا يجوز إلا بمعاينة بينة وشاهدي عدل ، قال فنظر صاحب الكفن إلى القوارير فقال له عجيف : أيها الرجل لو كنت خماراً ما فرقت موضع الخمر بعينها بين هذه القوارير ، فأخذ المأمون القارورة فذاقها ثم قطب ثم قال : يا صاحب الكفن انظر هذه الخمر فتناول الرجل القارورة فذاقها فإذا خل ذابح ، فقال قد خرجت هذه عن حد الخمر فقال

المأمون : صدقت إن الخل مصنوع من الخمر لايكون خلا ولا والله ما كانت هذه خمراً قط ماهو إلا رمان حامض يعصر لي فأصطبح به ساعته . فقد سقطت الجارحتان وبقي الشم يا عجيف صيرها في رصاحيات وأت بها قال : ففعل فعرضت على صاحب الكفن فشمها فوقع شمه على قارورة منها فيها مينتخج فأخذها المأمون فصبها بين يديه وقال انظر إليها كأنها طلاء عقدتها النار بل تقطع بالسكين قد أسقطت إحدى الثلاث يا صاحب الكفن ، ثم رفع المأمون رأسه إلى السماء فقال : اللهم إني أتقرب إليك بنهي هذا ونظرائه عن الأمر بالمعروف . يا صاحب الكفن أدخلك الأمر بالمعروف في أعظم المنكر شنعت على قوم باعوا من هذا الخل ومن المينتخج الذي شممت فلم تسلم استغفر الله من ذنبك هذا العظيم وتب إليه .

ما الثاني ؟ قال : الجواري قال : صدقت . أخرجتهن إبقاء عليك وعلى المسلمين كرهت أن تراهن عيون العدو والجواسيس في العماريات والقباب والسجوف عليهن يتوهمون أنهن بنات أو أخوات فيجدون في قتالنا ويحرصون على الغلبة على ما في أيدينا حتى يجتذبوا خطام واحد من هذه الإبل يستقيدونه لكل طريق إلى أن تبين لهم أنهن إماء ، فأمرت برفع الظلال عنهن وكشف شعورهن ليعلم العدو أنهن إماء أتقي به حوافر دوابنا ، لا قدر لهن عندنا ؛ تدبير دبرته للمسلمين عامة ويعز علي أن ترى لي حرمة ، فدع هذا فليس هو من شأنك ، فقد صح عندك أني في هذا مصيب وأنك أنكرت باطلاً[1] .

وأي شيء الثالثة ؟ قال الأمر بالمعروف . قال : نعم أرأيتك لو أصبت فتاة مع فتى قد اجتمعا في هذا الفج على حديث . ما كنت صانعاً ؟ قال : كنت أسألها ، ما أنتما ؟ قال كنت تسأل الرجل فيقول : أمرأتي وتسأل المرأة فتقول : زوجي قال : كنت أحول بينهما وأحبسهما قال : حتى يكون ماذا ؟ قال : حتى اسأل عنهما . قال : من تسأل عنهما ؟ قال : كنت أسألها من أين أنتما ؟ قال : سألت الرجل من أين أنت فقال لك : أنا من استيجاب وسألت المرأة فقالت من

---

(1) أي أن إنكارك باطل .

استيجاب ابن عمي تزوجنا وجئنا . أكنت حابساً الرجل والمرأة بسوء ظنك وتوهمك الكاذب إلى أن يرجع الرسول من استيجاب ؟ فإن مات الرسول أو ماتا إلى أن يعود رسولك ؟ قال : كنت أسأل في عسكرك ههنا . قال : فلعلك لا تصادف في عسكري هذا من أهل استيجاب إلا رجلاً أو رجلين فيقولان لك : لا نعرفهما على هذا النسب . يا صاحب الكفن ما أحسبك إلا أحد ثلاثة رجال : إما رجل مديون ، وإما مظلوم وإما رجل تأولت في حديث أبي سعيد الخدري في خطبة النبي ﷺ قال : وروي الحديث عن هشيم وغيره ، ونحن نسمع الخطبة إلى مغيربان الشمس إلى أن بلغ إلى قوله : إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر فجعلتني جائراً ، وجعلت نفسك تقوم مقام الآمر بالمعروف ، وقد ركبت من المنكر ما هو أعظم ، لا والله لأضربنك سوطاً و لازدت على تحريق كفنك ، ونفيت من آبائي الراشدين المهديين لئن قام أحد مقامك هذا ، لا يقوم بالحجة فيه إن نقصته من ألف سوط ، ولآمرن بصلبه في الموضع الذي يقوم فيه .

قال : فنظرت إلى عجيف وهو يجرد كفن الرجل ويلقي عليه ثياب بياض .

بين ولد والمأمون :

وفيما قرأناه من أخبار المأمون أن إبراهيم النظام كان جالساً بين يدي المأمون إذ دخل بعض المتكلمين ، ممن يقول بالدهر فأمر المأمون بمناظرته ، فطالت المناظرة وكثر الشغب فذكر بعض الحاضرين أن بالكوفة مجنوناً اسمه عليان قد قطع كل خطيب وأسكت كل متكلم بسرعة جوابه وحدة خاطره ، فأحب المأمون أن ينظر عليه ويسمع كلامه ، فكتب إلى عامله بالكوفة كتاباً ، وأرسل بريداً ، فأشخص عليان من الكوفة في يوم وليلة .

فلما دخل على المأمون نظر إلى رجل أشعث أغبر في زي المساكين وحلية المجانين فاستزراه المأمون فأمر أن يجلس مجلس العامة من حيث يراه ويسمع كلامه .

وقال لإبراهيم النظام : سائل الرجل . فقال له إبراهيم : ما اسمك ؟ قال :

اسمي عليان ، فضحك المأمون من تصغيره لاسمه ، وضحك بعض الحاضرين وعرف ذلك عليان فقال : إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون . قال فاستحيا منه المأمون ، ورفع موضعه وقال لإبراهيم النظام : سائل الرجل فإني أراه أريباً فقال له إبراهيم : يا عليان : أسألك عن مسألة . قال عليان : سؤال متعلم أو متعمد . قال بل سؤال متعلم . قال فانزل عن موضعك واجلس موضع يمينك على شمالك واجمع بين عقبيك وأرخ ذقنك على صدرك وسلم سلام متعلم على معلم وسل عما تريد .

قال يا عليان : ما تقول في القضاء والقدر ؟ فقال : ما لولد مولود وشيخ مفقود وجسم مكدود وعقل غير موجود بعيد عن المعرفة عيي عن الجواب ، عم عن الصواب : إلى من السموات منشآت بقدرته والشمس من شعاع أنوار عظمته والجن والإنس من حسن صنعته والطير من إتقان حكمته ، وكل شيء داخل في علمه ، وجار عليهم حكمه ، لا يعزب عنه معرفة شيء منه ، وكل صغير وكبير ، ففي أم الكتاب عنده يكفر نعمته ويجحد ربوبيته ويريد أن يشاركه في علمه ويتعقب عليه في حكمه فيحكم عليه بعقله ، فأفلس إبراهيم النظام ولم يحر جواباً ، ووقف باهتاً ، وخشي الفضيحة بين يدي المأمون ، فقال له : يا عليان ! ما تقول في العرش ؟ فقال : شيء مكنون ، وعلم مخزون ، فقال له : فتحده وتصفه ؟ فقال له إبراهيم : ومن يحده وهو من وراء الحجب ؟ ومن يصفه وقد استوى عليه ربه وخالقه ؟ كيف شاء ، تعالى وتقدس اسمه ، الفاطر المبدع بغير مثال احتذاه ولا شبه حاكاه ، بل قال كن فكان كما شاء وكيف شاء بلا حد يوصف ولا كيف يعرف فقال له إبراهيم : هذا يخالفك على ما تقول ، وأومأ بيده إلى الذي يقول بالدهر لينجو هو من مناظرته فقال : ما يقول هذا ؟ قال : يقول ليل ونهار وفلك دوار وسماء خالية بلا جبار ، فقال يا إبراهيم هذا كافر وكلامي معك ومخاطبتي لك ، لا أعرف هذا أخبرني : من الذي أمر النطفة أن تسببت من غشاء قرقر اليافوخ وعروق الدماغ وأطراف الشعر وخلصها من شراسيف الصدر ، ونياط حجاب القلب ، فتسببت وانسكبت في تابوت حقو أبيك ثم عادت من بعد

الحمرة إلى البياض ، ومن ألهم أباك الشهوة فأمر الجوارح بالحركة حتى أفضى الفرج إلى الفرج فصرت نطفة في قرار مكين إلى قدر معلوم ، وجعل النطفة علقة وجعل العلقة مضغة وجعل المضغة عظاماً رقيقاً ثم كسا العظم لحماً ثم أنشأك خلقاً آخر ؟ قال : الله تعالى .

قال فأخبرني من جعل الهامة فراخاً ؟ ومن الذي جعل نباتها الشعر يشرب من ماء الدماغ ؟ قال : الله تعالى . قال أخبرني من الذي فتح صحن الجبين وركب العرنين وخلق العينين فأسكنهما جوهرتين وزينهما بالحاجبين وجعل الأذنين على الصدغين وزين الفم بالشفتين وقدر اللسان في مقدم اللحيين ؟ قال : الله تعالى . قال فأخبرني من عدل منكبيك فشدهما بالعضدين وزينهما باليدين وركب الكفين وجعل الساقين اسطوانتين وركب تحتهما قدمين ؟ قال : الله تعالى . قال : فأخبرني من الذي حبس عن أمك الحيض في أيام الحمل غذاء لك وتقوية لجسمك ، فلما كملت صورتك وانقضت أيامك وحان وقت خروجك إلى الدنيا ناداك من فوق عرشه ـ جلت عظمته ـ اخرج واعرف قدري فإني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني فخرجت من ظلمة الأحشاء إلى دار الدنيا وأنت ضعيف مهين ليس لك رجلان تسعى عليهما ولا يدان تتحرك بهما ولا لسان يتكلم ولا سن يقلع ولا ضرس يطحن ، ولا أذن تسمع ولا عقل يفهم فأجرى لك من ثلاث مئة وستين عرقاً عرقين دقيقن لبنا عذباً صافياً زلالاً بارداً في الصيف ، حاراً في الشتاء جعله لك غذاء وحنن عليك أبوين شفيقين رفيقين فهما لا يأكلان حتى يطعماك ولا يشربان حتى يسقياك ولا ينامان حتى ينوماك ، كل ذلك رأفة ممن خلقك فسواك ، فلما ترعرعت ونشأت كافأته بالمعاصي وجحدت ربوبيته . فأمسك النظام والمتكلم ولم يحريا جواباً وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال : يا عليان ، هل من حاجة فأقضيها ؟ قال : نعم أريد أن تنسىء في أجلي وتتجاوز على مساوئي وتغفر لي خطيئتي ، فبكى المأمون وقال : يا عليان ليس هذا إلي أنا لا أقدر أن أستخلصه لنفسي فكيف أستخلصه لك ؟ قال عليان : يا أمير المؤمنين إن الله تبارك وتعالى لم يجعل أحداً فوقك في عصرنا فيجب عليك ألا يكون أحد أطوع لله منك .

فقال له : عظنا يرحمك الله . قال يا أمير المؤمنين إن الذي أكرمك بما أكرمك به ، يجب أن تحب له ما أحب ، وتبغض له ما أبغض ، فوالله لقد أحب داراً أبغضتها وأبغض داراً أحببتها كأنما أردت خلاف ربّك أو أردت سواه ؟ فاعلم يا أمير المؤمنين أن الذي في يديك لو بقي على من كان قبلك إذا لما صار إليك ، وهكذا هو صائر إلى من بعدك فاتق الله في خلافتك واحفظ محمداً ﷺ في أمتك ، قال : فبكى المأمون ، ثم أمر أن يحشى فمه دراً وياقوتاً ، فقال له أعفني يا أمير المؤمنين فأعفاه ، ثم خرج من عنده فقيل له : لم لَمْ تقبل جوائز أمير المؤمنين ؟ قال : خشيت أن أمنع جوائز رب العالمين . ثم ولى وهو يقول :

كم ملوك عن الديار تفانوا   وخلت منهم هناك البيوت
فسل الربع والمنازل عنوا   هل تنبيك عنهم أم سكوت
حب من شئت فهو بالموت فانٍ   غير أني أحببت من لا يموت[1]

* *

* *

*

[1] الذهب المسبوك ص ٢٢٨ ـ ٢٣١

رجل يعظ المتوكل

كتب جعفر المتوكل إلى عامل البصرة قد بلغني أن بالبصرة مجنوناً معه حكمة إذا تكلم قال صواباً فإذا ورد كتابي إليك فوجه به إليه وتلطف له في الكلام فلما ورد الكتاب حمله على البريد فلما صار إلى باب الخلافة قال له الحجاب : سلم على الخليفة سلام الخلفاء ، قال : ما أدري أي شيء تقولون ولا بد من السلام عليه والنصيحة له ، فدعاه المتوكل في محافل العلماء والفقهاء وأهل الشرف ، فلما دخل عليه ، قال له أنت المتوكل ؟ قال نعم قال لم سميت نفسك متوكلاً ولم تسم نفسك متواضعاً ؟ السلام عليك يا من قد شرب بكأس التجبر والكبرياء السلام عليك يا من قد اتكأ على نمارق البلاء السلام عليك يا من قد استوى على أسرة العناء ، السلام عليك يا من قد تقمص بقميص الخيانة ، السلام عليك يا من قد اشتمل بشامل سقوط العناية ، السلام عليك يا من قد أغضب عليه في وقت خلوته صاحب الستر والكفاية كأني بك وقد أتاك حاصد فظ غليظ ، فجذبك من سرر بهائك ، وأخرجك من مقاصير فساحة ملكك ولم يستأمر عليك حاجباً ولا بواباً قهرماناً حتى يقدمك إلى ضيق اللحد فيسكنك الخراب والجبان ، ويفارقك الأهل والولدان ، فوالله لو نظرت في صحيفة بطالتك لقصرت يا من قد اجترأ بظلمه على الصغار اليتامى ، وبجوره على فنون البلايا ، غداً تقف تحت ستر المتجبر الجبار فيدعوك لدقيق المسألة وتعنيف التوبيخ فإن كانت خيانة أوقفت على متن صراط دقيق وأخذ عليك فجاج المضيق ، وقرأت بالتحقيق[1].

---

(١) الذهب المسبوك ص ٢٣١ ـ ٢٣٢

أحمد بن المعذل يعظ المتوكل[١]

وجه المتوكل إلى أحمد بن المعذل وغيره من العلماء ، فجمعهم في داره ثم خرج عليهم فقام الناس كلهم غير أحمد بن المعذل ، فقال المتوكل لعبيد الله إن هذا الرجل لا يرى بيعتنا ، فقال له بلى يا أمير المؤمنين ولكن في بصره سوء فقال أحمد بن المعذل : يا أمير المؤمنين ، ما في بصري سوء ولكن نزهتك من عذاب الله قال النبي ﷺ : من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار ، قال : فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه .

* * *

---

(١) هو جعفر (المتوكل على الله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد ، أبو الفضل : خليفة عباسي . ولد ببغداد وبويع بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢ هـ وكان جواداً ممدحاً محباً للعمران . من آثاره المتوكلية ببغداد أنفق عليها أموالاً كثيرة ولما استخلف كتب كتاباً إلى أهل بغداد قرىء على المنبر بترك الجدل في القرآن ، وأن الذمة بريئة ممن يقول بخلقه أو غير خلقه . ونقل مقر الخلافة من بغداد إلى دمشق فأقام بها شهرين فلم يطب له مناخها فعاد وأقام في سامراء ، إلى أن اغتيل فيها ليلاً بإغراء ابنه المنتصر . ولبعض الشعراء هجاء في المتوكل لهدمه قبر الحسين وماحوله سنة ٢٣٦ هـ وكثرت الزلازل في أيامه فعمر بعض ماخربت . وكان يلبس في زمن الورد الثياب الحمر ، ويأمر بالفرش الأحمر . ولايرى الورد إلا في مجلسه ، وكان يقول : أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا أولى بصاحبه . ولد سنة ٢٠٦ وتوفي سنة ٢٤٧ هـ .

صالح بن عبد الجليل يعظ المهدي

دخل صالح بن عبد الجليل وكان ناسكاً مفوهاً على المهدي فسأله أن يأذن له في الكلام فقال : تكلم ، قال يا أمير المؤمنين إنه لما سهل علينا ما توعر على غيرنا من الوصول إليك قمنا مقام المؤدي عنهم ، وعن رسول الله ﷺ ، بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي لانقطاع عذر الكتمان في البينة ولا سيما حين اتسمت بميسم التواضع ، ووعدت الله وحملة كتابه إيثار الحق على ما سواه ، فجمعنا وإياك مشهد من مشاهد التمحيص ليتم مؤدينا على موعد الأداء عنهم ، وقابلنا من موعد القبول أو يردنا تمحيص الله إيانا في اختلاف السر والعلانية وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل ، وأشد منه عذاباً من أقبل إليه العلم فأدبر عنه ، ومن أهدي إليه علم فلم يعمل به فقد رغب عن هدية الله إليه وقصر بها ، فاقبل يا أمير المؤمنين ما أدى الله إليك من ألسنتنا ، فتعمل بتحقيق وعمل لا قبول سمعة ورياء فإنه لا يخلفك منا إعلام ما تجهل ، ومواطأة فضل تعلم ، أو تذكر لك من غفلة ، فقد وطن الله نبيه ﷺ على نزولها تعزية عما فات ، وتحصنا من التمادي ، ودلالة على المخرج فقال : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾ ، فأطلع على قلبك ما ينور به القلوب من إيثار الحق ومنابذة الهوى[1] ، فإنك إن لم تفعل لم تر لله أثرة عليك ، قال : فبكى المهدي حتى هم من كان على رأسه بضرب صالح ، وحتى ظنوا أنه لا يسكت وحتى ذهب به البكاء .

---

(1) الخبر إلى هنا في عيون الأخبار م ٢ ج ٦/٣٣٣/ والعقد الفريد ٣ ص ١٥٨ ـ ١٥٩

فقال : يا صالح لو وجدت رجالاً يعملون بما آمرهم وهابوني في رعيتي لظننت أني ألقى الله عز وجل وأمر أمة محمد ﷺ أقل ذنوبي وأهون حسابي ، ولكن دلني على وجه النجاة فإن لم أعمل كنت أنا الجاني على ظهري والمؤثر هواي على رضا ربي ، فقال له صالح :

أنت يا أمير المؤمنين أعلم بموضع النجاة .

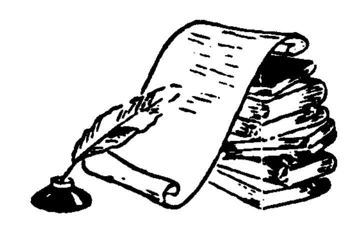
قال : لو أعلم بموضع النجاة ما كنت أولى بعظتي مني بعظتك ، وما هو إلا أن أركب سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولا يصلح والله عليها أحد من أهل هذا العصر ، وذلك أن الناس في الزمن الماضي كان يرضى أحدهم الطمر البالي ، وتقنعه الكسرة اليابسة والماء القراح ، وهم اليوم في مضاعف الخز والوشي ، ومائدة أحدهم في اليوم بمثل غنى ذي العيال في زمن عمر . أو أسيح في الأرض ذات العرض فإلى من أكلهم ؟

إلى ولد أبي طالب ، فوالله ما أعلم للمسلمين حاجة بهم ، ولا حافز عندهم ، ولو أنني حملت الناس على سيرة العمرين في هذا العصر كنت أول مقتول وذلك أن الفطام عن هذا الحطام شديد لا يصبر عليه إلا المبرز السابق ، وأنى أولئك القوم يا صالح !

والله لقد بلغني أن لسعيد بن سلام ألف سراويل مخارم وألف جبة ولعبادة بن حمزة ألف دواج وهي أقل ملكهم ، فما ظنك بي وهم أجل عددي وبدتي وسهام كنانتي لو حملتهم ومن أشبههم كمعن بن زائدة وعبد الله بن مالك على التقشف والنسك وأخذت ما بأيديهم ووضعته حيث تراه أنت وأنا هل كانت نفس أبغض إليهم من نفسي أو حياة أثقل عليهم من حياتي قال : فأطرق صالح مفكراً ثم رفع رأسه فقال : يا أمير المؤمنين إنه ليقع في خلدي أنك قبلت قولي قبول تحقيق لا قبول رياء!! .

فقال المهدي : شاهدي على ذلك الله ، فقام صالح فدنا من المهدي فقبل رأسه ، وقال : أعانك الله يا أمير المؤمنين على نيتك وأعطاك أفضل ماتؤمله من

رعيتك ، ووهب لك أعواناً صالحين بررة يعملون ما يجب عليهم فيك . ثم خرج فقال له أصحابه : ما صنعت ؟ قال : والله ما تركت شيئاً إلا سبقني إليه ولا شتماً إلا أوضح العذر فيه[1] .



---

(1) الذهب المسبوك ص ٢٠٩ - ٢١١

سفيان الثوري[1] يعظ المهدي

قال الإمام سفيان الثوري : لما حج المهدي قال : لا بد لي من سفيان فوضعوا لي الرصد[2] حول البيت فأخذوني بالليل ، فلما مثلت بين يديه أدناني ، ثم قال : لأي شيء لا تأتينا فنستشيرك في أمرنا ، فما أمرتنا من شيء صرنا إليه ، وما نهيتنا عن شيء انتهينا عنه ، فقلت له : كم أنفقت في سفرك هذا ؟ .

قال : لا أدري . لي أمناء ووكلاء .

قلت : فما عذرك غداً ، إذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك عن ذلك ؟ لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لما حج قال لغلامه : كم أنفقت في سفرنا هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ثمانية عشر ديناراً . فقال : ويحك ، أجحفنا بيت مال المسليمن .

وقد علمت ماحدثنا به منصور بن عمار وأنت حاضر ذلك ، وأول كاتب كتبه في المجلس ، عن إبراهيم عن الأسود عن علقمة عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « رب متخوص في مال الله ومال رسول الله فيما شاءت نفسه له النار غداً » . فيقول أبو عبيد الكاتب ـ أحد متزلفي الحاشية ـ : أمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا ؟ فيجيبه سفيان : اسكت إنما أهلك فرعون هامان وهامان فرعون .

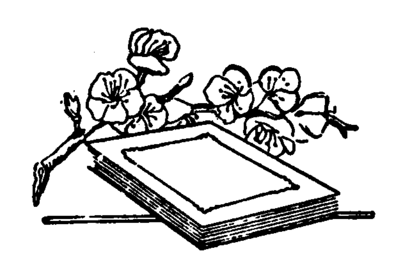
---

(١) انظر ترجمته في نصيحته لهارون الرشيد .

(٢) الرصد : من يراقبني ويرصدني .

الثوري يعظ المهدي مرة أخرى

قال سفيان الثوري : حج المهدي سنة ست وستين ومائة فرأيته يرمي جمرة العقبة والناس يحيطون يميناً وشمالاً بالسياط فوقفت فقلت : يا حسن الوجه . حدثنا أيمن بن وائل عن قدامة عن عبد الله الكلابي قال : رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولاإليك إليك ، وهاأنت تحفظ الناس بين يديك يميناً وشمالاً ، فقال لرجل : من هذا ؟ فقال : سفيان الثوري . فقال : يا سفيان لو كان المنصور لما احتملك على هذا ، فقلت لو أخبرك المنصور بما لقي لأقصرت عما أنت فيه ، قال : فقيل له إنه قال لك يا حسن الوجه ، ولم يقل يا أمير المؤمنين ، فقال : اطلبوه فطلب سفيان فاختفى[1] .



(1) الذهب المسبوك ص ٢١١

شبيب بن شيبة[1] يعظ المهدي[2]

قال شبيب بن شيبة للمهدي : إن الله تبارك وتعالى لم يرض أن يجعلكم دون خلقه ، فلاترض أن يكون أحد أشكر لله منك[3] .

* * *

(1) شبيب بن شيبة بن عبد الله التميمي المنقري الأهتمي ، أبو معمر : أديب الملوك وجليس الفقراء ، وأخو المساكين . من أهل البصرة . كان يقال له (الخطيب) لفصاحته . وكان شريفاً من الدهاة ، ينادم خلفاء بني أمية ويفزع إليه أهل بلده في حوائجهم . الأعلام .

(2) محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي ، أبو عبد الله ، المهدي بالله : من خلفاء الدولة العباسية في العراق . ولد (بإيذج) من (كور الأهواز) وولي بعد وفاة أبيه وبعهد منه سنة ١٥٨ هـ وأقام في الخلافة عشر سنين وشهراً ، ومات في (ماسبذان) صريعاً عن دابته في الصيد ، وقيل مسموماً . كان محمود العهد والسيرة ، محبباً إلى الرعية ، حسن الخَلْق والخُلُق ، جواداً ، يقال : إنه أجاز شاعراً بخمسين ألف دينار ؟ كان يجلس للمظالم ويقول : أدخلوا علي القضاة فلو لم يكن ردّي للمظالم إلا حياء منهم لكفى ، وهو أول من مُشي بين يديه بالسيوف المصلتة والقسي والنشاب والعمد ، وأول من لعب بالصوالجة في الإسلام . وهو الذي بنى جامع الرصافة ، وتربته بها ، وانمحى أثر الجامع والتربة بعد ذلك . الأعلام .

(3) الذهب المسبوك ص ٢١١

صالح بن بشير المرّي[1] يعظ المهدي

استدعاه المهدي ليحضر عنده فجاء إليه راكباً على حمار فدنا من بساط الخليفة وهو راكب فأمر الخليفة ابنيه ـ ولي العهد من بعده موسى الهادي وهارون الرشيد ـ أن يقوما إليه لينزلاه عن دابته ، فابتدراه فأنزلاه فأقبل صالح على نفسه فقال : لقد خبت وخسرت إن أنا داهنت ولم أصدع بالحق في هذا اليوم ، وفي هذا المقام . ثم جلس إلى المهدي فوعظه موعظة بليغة حتى أبكاه ، ثم قال له : اعلم أن رسول الله ﷺ خصم من خالفه في أمته ، ومن كان محمد خصمه كان الله خصمه ، فأعد لمخاصمة الله ومخاصمة رسوله حججاً تضمن لك النجاة ، وإلا فاستسلم للهلكة ، واعلم أن أبطأ الصرعى نهضةً صريع هوى بدعته ، واعلم أن الله قاهر فوق عباده ، وأن أثبت الناس قدماً آخذُهم بكتاب الله وسنة رسوله ، وكلام طويل . فبكى المهدي وأمر بكتابة ذلك الكلام في دواوينه[2] .

* * *

---

(١) أحد العباد الزهاد ، كان كثير البكاء ، وكان يعظ فيحضر مجلسه سفيان الثوري وغيره من العلماء ، ويقول سفيان هذا نذير قوم . توفي سنة ١٧٦

(٢) البداية والنهاية ١٠/١٧٠

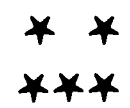
الأوزاعي[1] يعظ عبد الله بن علي عم السفاح

لما دخل عبد الله بن علي ـ عم السفاح الذي أجلى بني أمية عن الشام ، وأزال الله سبحانه دولتهم على يده ـ دمشق فطلب الأوزاعي فتغيب عنه ثلاثة أيام ثم حضر بين يديه . قال الأوزاعي : دخلت عليه وهو على سرير وفي يده خيزرانة والمسوّدة عن يمينه وشماله ، معهم السيوف مصلتة ـ والغمد الحديد ـ فسلمت عليه فلم يرد ونكت بتلك الخيزرانة التي في يده ثم قال : يا أوزاعي ! ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة عن العباد والبلاد ؟ أجهاداً ورباطاً هو ؟ فقلت : أيها الأمير سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول : سمعت محمد بن إبراهيم التيمي يقول : سمعت علقمة بن وقاص يقول : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » . قال : فنكت بالخيزرانة أشد مما كان ينكت ، وجعل من حوله يقبضون أيديهم على سيوفهم ، ثم قال : يا أوزاعي ما تقول في دماء بني أمية ؟ فقلت : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمرو الأوزاعي ، ولد ببعلبك ونشأ بالبقاع يتيماً في حجر أمه ، وكانت تنتقل به من بلد إلى بلد ، وتأدب بنفسه ، فلم يكن في أبناء الملوك والخلفاء ، والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه ولا أورع ولا أعلم ولا أفصح ولا أوقر ولا أحلم ، ولا أكثر صمتاً منه ، ما تكلم بكلمة إلا كان المتعين على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه من حسنها . رحل إلى البصرة ليسمع وإلى دمشق وأجمع المسلمون على عدالته وإمامته . مات سنة ١٥٧ وسنّه ٦٧ سنة وولد سنة ٨٨

« لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث ، النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » . فنكت بها أشد من ذلك ، ثم قال : ما تقول في أموالهم ؟ فقلت : إن كانت في أيديهم حراماً فهي حرام عليك أيضاً ، وإن كانت حلالاً فلا تحل لك إلا بطريق شرعي . فنكت أشد مما كان ينكت قبل ذلك ثم قال : ألا نوليك القضاء ؟ فقلت : إن أسلافك لم يكونوا يشقّون عليّ في ذلك ، وإني أحب أن يتم ما ابتدؤوني به من الإحسان . فقال : كأنك تحب الانصراف ؟ فقلت : إن ورائي حرماً وهم محتاجون إلى القيام عليهن وسترهن ، وقلوبهم مشغولة بسببي . قال : وانتظرت رأسي أن يسقط بين يدي ، فأمرني بالانصراف . فلما خرجت إذا برسوله من ورائي ، وإذا معه مائتا دينار ، فقال : يقول لك الأمير : استنفق هذه . قال : فتصدقت بها ، وإنما أخذتها خوفاً . وكان في تلك الأيام الثلاثة صائماً - أي الأوزاعي - فيقال : إن الأمير لما بلغه ذلك عرض عليه الفطر عنده فأبى أن يفطر عنده[1].



(1) البداية والنهاية ١١٨/١٠

ابن الجوزي[1] يعظ المستضيء بالله[2]

قال له : يا أمير المؤمنين إن تكلمت خفت منك ، وإن سكت خفت عليك ، فأنا أقدم خوفي عليك من خوفي منك لمحبتي دوام أيامك وأن أقول قول القائل : اتق الله خير من قول القائل : إنكم أهل بيت مغفور له . وكان عمر بن الخطاب يقول : إذا بلغني عن عامل ظالم أنه قد ظلم الرعية ولم أغيره فأنا الظالم . يا أمير المؤمنين : كان يوسف عليه السلام لا يشبع في زمن القحط لئلا ينسى الجياع ، وكان عمر يضرب بطنه عام الرمادة ويقول : « قرقري إن شئت أو لا ، والله لا شبعت والمسلمين جياع » . فترتب على هذه الموعظة أن أطلق أمير المؤمنين المستضيء بالله المحابيس وتصدق صدقات كثيرة وأشبع الجياع[3] .

---

(١) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ، أبو الفرج : علامة عصره في التاريخ والحديث ، كثير التصانيف مولده ووفاته ببغداد . ولد سنة ٥٠٨ وتوفي سنة ٥٩٧ هـ ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها . له نحو ثلاثمائة مصنف . الأعلام .

(٢) هو الحسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفي العباسي الهاشمي ، أبو محمد المستضيء بالله : خليفة ، من العباسيين في العراق . كان جواداً حليماً محباً للعفو بويع بعد وفاة أبيه وبعهد منه سنة ٥٦٦ هـ وصفت له الخلافة تسع سنين وسبعة أشهر . لما تولى نادى برفع المكوس ، ورد المظالم ، وفرق مالاً عظيماً ثم احتجب عن الناس ، ولم يركب إلا مع الخدم . وفي أيامه زالت الدولة العبيدية بمصر وضربت السكة باسمه وجاء البشير إلى بغداد ، وغلقت الأسواق ، وعملت القباب وصنف ابن الجوزي في ذلك كتاب (النصر على مصر) وخطب له بمصر وقراها والشام واليمن وبرقة ، ودانت الملوك لطاعته . الأعلام للزركلي .

(٣) مرآة الجنان جـ ٨ ص ٣١٨

ابن الجوزي والمستضيء بالله

ذكر اليافعي في كتابه مرآة الجنان أنه سمع من بعض أهل العلم بأن الخليفة قد غضب على إنسان من حاشيته فأراد أن يعاقبه فهرب ، فلزم أخاه فصادر الخليفة الأخ وأخذ ماله ، فشكى المصادر إلى ابن الجوزي ، وذكر له القضية فقال له : إذا انقضى مجلس وعظي فقم قدامي حتى تذكرني وكان الخليفة يسمع وعظه من خلف الستر . فلما كان أول مجالسه للوعظ بعد ذلك وانقضى المجلس قام ذلك الإنسان المصادر فلما رآه الشيخ أبو الفرج أنشد معرضاً بكون البريء لايؤاخذ بذنب الجريء محرضاً الخليفة على العدل والإحسان ، وأن يعاد المال المأخوذ على ذلك الإنسان . فقال :

قفي ثم أخبرينا يا سعاد ... بذنب الطرف لم سلب الفؤاد
وأي قضية حكمت إذا ما ... جنى زيد ابن عمرو يقاد
يعاد حديثكم فيزيد حسنا ... وقد يستحسن الشيء المعاد

فقال الخليفة المستضيء من وراء الستر : يعاد ، يعني المال ، فأعيد على ذلك الشخص ماله وانجبر حاله[1] .

---

(1) مرآة الجنان جـ٣ ص ٤٩٠ ـ ٤٩١

ابن سمعون[1] يعظ الطائع لله[2]

حكى دجى مولى الطائع لله قال : أمرني الطائع أن أوجه إلى ابن سمعون فأحضره دار الخلافة ، ورأيت الطائع على صفة من الغضب ، وكان ذا حدة ، فبعثت إلى ابن سمعون وأنا مشغول القلب لأجله ، فلما حضر أعلمت الطائع حضوره ، فجلس مجلسه وأذن له في الدخول فدخل وسلم عليه بالخلافة ثم أخذ في وعظه ، فأول ما ابتدأ به أن قال : روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وذكر خبراً وأحاديث بعده ، ثم قال : روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وذكر عنه خبراً ، ولم يزل يجري في ديوان الوعظ حتى بكى الطائع وسمع شهيقه ، وابتل منديل بين يديه بدموعه ، وأمسك ابن

---

(١) محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس بن إسماعيل أبو الحسين الواعظ ، ولد في سنة ٣٠٠ وروى عن عبد الله بن أبي داود السجستاني ومحمد بن مخلد الدوري وخلق كثير وأملى الحديث وكان يعظ الناس ويقال له الناطق بالحكمة ، وله كلام حسن وتدقيق في باب المعاملات وكانت له فراسة وكرامات . توفي سنة ٣٨٧ هـ . المنتظم ١٩٨/٧

(٢) عبد الكريم بن الفضل المطيع لله بن المقتدر العباسي ، أبو الفضل ، الطائع لله . من خلفاء الدولة العباسية بالعراق ، أيام ضعفها ، ولد ببغداد ، ونزل له أبوه (المطيع) عن الخلافة سنة ٣٦٣ وكانت في أيامه فتن بين عضد الدولة البويهي والأمير بختيار . فقتل بختيار سنة ٣٦٧ ومات عضد الدولة سنة ٣٧٢ وخلف عضد الدولة ابنه بهاء الدولة فقام بشؤون الملك ، وقبض على الطائع سنة ٣٨١ ، وحبسه في داره ، وأشهد عليه بالخلع ونهب دار الخلافة ، واستمر الطائع سجيناً إلى أن توفي ، وكان قويّ البنية مقداماً كريماً ، في خلقه حدة ، وللشريف الرضي قصيدة في رثائه . الأعلام .

سمعون حينئذ ودفع إلى الطائع درجاً فيه طيب وغيره ، فدفعته إليه ، وانصرف . وعدت إلى حضرة الطائع ، فقلت : يا مولاي رأيتك على صفة شديدة من الغضب على ابن سمعون ، ثم انتقلت عن تلك الصفة عند حضوره فما السبب ؟ فقال : رفع إليّ أنه يتنقّص بعليّ بن أبي طالب فأحببت أن أتيقّن عند حضوره لأقابله عليه إن صح منه ، فلما حضر بين يديه افتتح كلامه بذكر علي بن أبي طالب والصلاة عليه ، وأعاد وبدأ في ذلك ، وقد كان له مندوحة الرواية عن غيره وترك الابتداء به ، فعلمت أنه وقف لما تزول به عنه الظنة وتبرأ ساحته عندي ، ولعله كوشف بذلك ، أو كما قال[1] .



---

[1] المنتظم ١٩٩/٧ . المنهج الأحمد ٧٦/٢ . تاريخ بغداد ٢٧٦/١ . البداية والنهاية ٣٢٣/١١

أبو الحسين ابن سمعون يعظ عضد الدولة[1]

حدث أبو الثناء شكر العضدي قال : دخل عضد الدولة إلى بغداد وقد هلك أهلها قتلاً وحرقاً وجوعاً للفتن التي اتصلت فيها بين الشيعة والسنة . فقال : آفة هؤلاء القُصّاص يغرون بعضهم ببعض ، ويحرضونهم على سفك دمائهم وأخذ أموالهم . فنادى في البلد لا يقص أحد في جامع ولا طريق ولا يتوسل متوسل بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن أحب التوسل قرأ القرآن ، فمن خالف فقد أباح دمه .

فرُفع إليه في الخبر ، أن أبا الحسين ابن سمعون الواعظ جلس على كرسيه يوم الجمعة في جامع المنصور وتكلم على الناس ، فأمرني أن أنفذ إليه من يحصله عندي ففعلتُ . فدخل عليَّ رجلٌ له هيبة وعلى وجهه نور ، فلم أملك أن قمت إليه وأجلسته إلى جانبي فلم ينكر ذلك ، وجلس غير مكترث ، وأشفقت والله أن يجري عليه مكروه على يديّ ، فقلت : أيها الشيخ ، إن هذا الملك جلد عظيم وما

(1) عضد الدولة البويهي هو فنّا خسروا ، الملقب بعضد الدولة ابن الحسن الملقب ركن الدولة ، ابن بويه الديلمي ، أبو شجاع : أحد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية بالعراق . تولى ملك فارس ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة ، وهو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة ، وأول من لقب في الإسلام (شاهنشاه) كان شديد الهيبة جباراً ، عسوفاً ، أديباً ، عالماً بالعربية ينظم الشعر . مدحه فحول الشعراء . وكان شيعياً أظهر بالنجف قبراً زعم أنه قبر الإمام علي رضي الله عنه وبنى عليه المشهد وأقام مأتم عاشوراء . كان كثير العمران أنشأ ببغداد البيمارستان العضدي وعمر القناطر والجسور ، وبنى سوراً حول مدينة الرسول ﷺ . توفي ببغداد سنة ٣٧٢ وولد سنة ٣٢٤

كنت أوثر مخالفة أمره ، وتجاوز رسمه ، والآن فأنا موصلك إليه فلما تقع عينك عليه فقبل التراب وتلطف في الجواب إذا سألك واستعن الله عليه فعساه يخلصك منه . فقال : الخلق والأمر لله ، فمضيت به إلى حجرة في آخر الدار قد جلس فيها الملك منفرداً خيفة أن يجري من أبي الحسين بادرةٌ بكلام فيه غلظٌ فتسير به الركبان ، فلما دنوت من الحجرة وقّفْته وقلت له : إياك أن تبرح من مكانك حتى أعود ، وإذا سلّمْت فليكنْ بخشوع وخضوع ، ودخلت لأستأذن له ، فالتفتُّ فإذا هو واقف إلى جانبي قد حول وجهه نحو دار بختيار واستفتح وقرأ ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾[1] ثم حول وجهه نحو الملك وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ﴾[2] وأخذ في وعظه فأتى بالعجب فدمعت عين الملك وما رأيت ذلك منه قط ، وترك كمه على وجهه وتراجع أبو الحسين فخرج ومضى إلى حجرتي . فقال الملك : امض إلى بيت المال وخذ ثلاثة آلاف درهم وإلى خزانة الكسوة وخذ منها عشرة أثواب وادفع الجميع إليه فإن امتنع فقل له فرِّقْها في فقراء أصحابك فإن قبلها فجئني برأسه ، فاشتد جزعي وخشيت أن يكون هلاكه على يدي ففعلت وجئته بما أمر وقلت له : مولانا يقرئك السلام وقال لك : استعن بهذه الدراهم في نفقتك ، والبس هذه الثياب ، فقال لي : إن هذه الثياب التي عليّ مما قطعه لي منذ أربعين سنة ألبسها يوم خروجي إلى الناس وأطويها عند انصرافي عنهم وفيها متعة وبقية مابقيت ، ونفقتي من أجرة دار خلّفها أبي فما أصنع بهذا ؟ قلت : هو يأمرك بأن تصرفه في فقراء أصحابك . فقال : مافي أصحابي فقير وأصحابه إلى هذا أفقر من أصحابي فليفرقه عليهم ، فأخبرته فقال : الحمد لله الذي سلمه منا وسلّمنا منه[3]

---

[1] سورة هود آية ١٠٢

[2] سورة يونس آية ١٤

[3] المنتظم ٨٧/٧ ـ ٨٩ . البداية والنهاية ٢٨٩/١١ ـ ٢٩٠

أحمد بن بديل[1] يعظ المعتز[2]

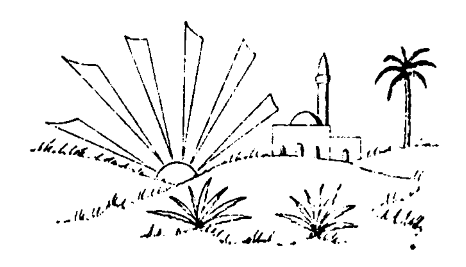
قال أحمد بن بديل : بعث إليّ المعتز رسولاً بعد رسول فلبست كمتي ولبست نعْلاً طاقاً ، فأتيت بابه فقال الحاجب : ياشيخ نعليك! فلم ألتفت إليه ودخلت الباب الثاني فقال الحاجب : نعليك! فلم ألتفت إليه ، فدخلت الثالث ، فقال الحاجب : يا شيخ نعليك! فلم ألتفت إليه ، ثم قلت : أبالوادي المقدس أنا فأخلع نعلي ؟ . فدخلت بنعلي . فرفع مجلسي ، وجلست على مصلاه . فقال : أتعبناك أبا جعفر ؟ . فقلت : أتعبتني وروعتني فكيف بك إذا سئلت عني ؟ فقال : ما أردنا إلا الخير . أردنا أن نسمع العلم . قلت : وتسمع العلم أيضاً ؟ ألا جئتني ؟ فإن العلم يؤتى ولا يأتي . قال : نَتَغَيَّرُ أبا جعفر . فقلت : خلبتني بحسن أدبك ، اكتب ما شئت . فأخذ الكتاب والدواة والقرطاس . فقلت :

---

(١) أحمد بن بديل بن قريش بن الحارث أبو جعفر اليامي الكوفي سمع أبا بكر بن عياش وغيره ، كان من أهل العلم والفضل ولي القضاء بالكوفة . وكان يقول حين قلّد : خذلت على كبر سني . وتقلد أيضاً قضاء همذان توفي سنة ٢٥٨ هـ . المنتظم ٥/٩

(٢) هو محمد المعتز بالله بن جعفر المتوكل على الله بن المعتصم : خليفة عباسي ، هو أخو المنتصر بالله . ولد في سامراء ، وعقد له أبوه بالبيعة بولاية العهد سنة ٢٣٥ هـ وأقطعه خراسان وطبرستان وغيرهما وأمر أن يضرب اسمه على الضرائب ، ولما ولي المستعين بالله سنة ٢٤٨ سجن المعتز فاستمر إلى أن أخرجه الأتراك بعد ثورتهم على المستعين وبايعوا له سنة ٢٥١ فكانت أيامه أيام فتنٍ وشغب وجاء قواده فطلبوا منه مالاً لم يكن يملكه ، فاعتذر فلم يقبلوا عذره ، ودخلوا عليه فضربوه ، فخلع نفسه فسلموه إلى من يعذبه فمات بعد أيام شاباً . قيل اسمه الزبير ، وقيل : طلحة . كان فصيحاً . مدة خلافته ثلاث سنوات وستة أشهر و١٤ يوماً . الأعلام ٦/٧٠

أتكتب حديث رسول الله ﷺ في قرطاس بمداد ؟ قال : فيم أكتب ؟ قلت في رق بحبر . فجاؤوا برقٍّ وحبر ، فأخذ الكاتب يريد أن يكتب . فقلت : اكتب بخطك ! فأومأ إليّ أنه يكتب . فأمليت عليه حديثين أسخن الله بهما عينيه . قال رسول الله ﷺ : « من استرعي رعية فلم يُحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة » . والثاني : « ما مِنْ أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً »[1] .



---

(1) المنتظم ٥/١٠ . تاريخ بغداد ٤/٥٠ ـ ٥٢/

إسماعيل بن علي الخطبي[1] يوصي الراضي بالله[2]

قال الخطبي : وجّه إليَّ الراضي بالله ليلة عيد فطرٍ ، فحُمِلْت إليه راكباً على بغلة ودخلت عليه وهو جالس في الشموع ، فقال لي : يا إسماعيل ! إني قد عزمت في غدٍ على الصلاة بالناس في المصلى ، فما الذي أقول إذا انتهيت في الخطبة إلى الدعاء لنفسي ؟ فقلت : تقول : ﴿ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديَّ . . . ﴾[3] . فقال لي : حسبك ، ثم أمرني بالانصراف ، وأتبعني بخادم فدفَع إليَّ خريطةً فيها أربعمائة دينار ، وكانت الدنانير خمسمائة ، فأخذ الخادم منها لنفسه مائة دينار[4].

---

(١) هو إسماعيل بن علي بن إسماعيل ، أبو محمد الخطبي ، سمع عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل والحارث بن أسامة وغيرهما ، روى عنه الدارقطني ، وأبو حفص بن شاهين وغيرهما . وكان فهماً عارفاً بأيام الناس وأخبار الخلفاء ، وصنف تاريخاً كبيراً ، سئل الدارقطني عنه ، فقال : ثقة . ولد في محرم سنة ٢٦٩ وتوفي في جمادى الآخرة سنة ٣٥٠

(٢) هو أبو العباس أحمد الراضي بالله بن المقتدر بن المعتضد بويع له بالخلافة يوم خلع عمه القاهر واستوزر علي بن مقلة وأطلق كل من كان في حبس القاهر . وجعل محمد بن رائق أمير الأمراء وفوض إليه تدبير المملكة وفي عهده نقص قدر الخلافة وضعف ملكها وعم الخراب . توفي سنة ٣٢٩ وهو ابن ٣٢ سنة . كان سمحاً جواداً واسع الصدر أديباً شاعراً حسن البيان . حياة الحيوان ١/١١٤ ـ ١١٥/.

(٣) سورة النمل آية ١٩ ، وسورة الأحقاف آية ١٥

(٤) المنهج الأحمد ٢/٥٣ ـ ٥٤/.

منذر بن سعيد البلوطي[1] يعظ عبد الرحمن الناصر[2]

بنى عبد الرحمن الناصر مدينة الزهراء ، أعجوبة الفن المعماري التي لم يبن مثلها ملك ولاأمير ، وبنى فيها قاعة جعل قرامدها من الذهب والفضة ، وغرم فيها مالايوصف ، وحشد الناس لافتتاحها الرسمي ، وجعل ابتداء حفلات الافتتاح بصلاة الجمعة وكان خطيب المسجد فيها منذر بن سعيد البلوطي هذا .

(١) منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النَّفْزي القرطبي أبو الحكم البلوطي قاضي قضاة الأندلس في عصره . كان فقيهاً خطيباً شاعراً فصيحاً نسبته إلى (فحص البلوط) بقرب قرطبة ويقال له (الكزني) نسبة إلى فخذ من البربر يسمى (كزنة) رحل حاجاً سنة ٣٠٨ هـ فأقام في رحلته أربعين شهراً أخذ بها عن بعض علماء مكة ومصر . ولي قضاء (ماردة) وماوالاها ثم قضاء الثغور الشرقية فقضاء الجماعة بقرطبة واستمر إلى أن توفي فيها . ولد سنة ٢٧٣ هـ وتوفي سنة ٣٥٥ هـ .

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الربضي بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أبو المطرِّف المرواني الأموي . أول من تلقب بالخلافة من رجال الدولة الأموية في الأندلس . ولد بقرطبة . ونشأ يتيماً . قتل أبوه وعمر ٢١ يوماً فرباه جده وبويع بعد وفاة جده سنة ٣٠٠ هـ فكان أول مبايعيه بإمارة الأندلس أعمامه لحب جده له . كان عاقلاً داهية مصلحاً طموحاً تلقب الناصر لدين الله فجرى ذلك فيمن بعده . أنشأ مدينة الزهراء . حكم خمسين سنة وستة أشهر ، كان حريصاً على الملك يقظاً صارماً . اتصل به أن ابناً له (اسمه عبد الله) سمت نفسه إلى طلب الخلافة وتابعه قوم فقبض عليهم جميعاً وسجنهم إلى أن كان يوم عيد الأضحى سنة ٣٣٩ هـ فأحضرهم بين يديه وأمر ابنه أن يضطجع له ، فاضطجع ، فذبحه بيده والتفت إلى خواصه فقال : هذا ضحيتي في هذا العيد . وليذبح كل منكم أضحيته . فاقتسموا أصحاب عبد الله فذبحوهم عن آخرهم . الأعلام للزركلي .

فصعد المنبر فبدأ الخطبة بداية عجيبة بقوله تعالى : ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، وإذا بطشتم بطشتم جبارين ، فاتقوا الله وأطيعون ، واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام وبنين ، وجنات وعيون ، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾[1] .

ووصل ذلك بكلام جزل ، وقول فصل ، ذم فيه السرف والترف وإضاعة أموال الأمة في زخرفة القصور ، ووصله بقوله ودموعه تنحدر من لحيته : والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان أخزاه الله ، يتمكن منك هذا التمكن ، حتى أنزلك منازل الكافرين فجعلت قرامد بيتك من الذهب والفضة ، والله تعالى يقول : ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون ، وزخرفاً ، وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا . والآخرة عند ربك للمتقين ﴾[2] .

ووصله بقوله تعالى : ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هارٍ فانهار به في نار جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين . لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تَقَطَّع قلوبُهم والله عليم حكيم ﴾[3] .

ومازال في مثل هذا ، حتى نسي الناس الخليفة ونسوا الاحتفال ، وصغَت القلوب إلى الله ، وصفت النفوس لله ، وارتج المسجد بالبكاء . فلما قضيت الصلاة انصرف الخليفة مغضباً ، وقال لابنه : أرأيت جرأته علينا ، والله . . .

ولم يفعل معه شيئاً إلا أن قال : والله لاصليت خلفه الجمعة أبداً فلم يعزله ولم يعنّفه ولم يحبسه ولم يهدده .

قال له ابنه الحكم : ومايمنعك من عزله ؟ فرجع الخليفة إلى نفسه وقال :

---

(١) سورة الشعراء الآيات ١٢٨ ـ ١٣٥

(٢) سورة الزخرف الآيات ٣٣ ـ ٣٥

(٣) سورة التوبة الآيتان ١٠٩ و ١١٠

ويحك أمثل منذر بن سعيد في فضله وورعه (لا أمّ لك) يعزل في إرضاء نفس ناكبة عن سبيل الرشد ؟ . إني لأستحي من الله أن أجعل بيني وبينه إماماً غيره ، ولكنه قسم سبق ـ أي يمين سبق به لساني وحلفت به ـ وأمر بنقض الذهب والفضة من القصر[1] .



---

(1) مطمح الأنفس ومسرح التأنس . البداية والنهاية ١١/٢٨٨ ـ ٢٨٩/

بين شريك[1] والأمير عيسى بن موسى[2]

أتت امرأةٌ من ولد جرير بن عبد الله البَجَلِيِّ صاحب النبي ﷺ شريكاً وهو في مجلس الحكم ، فقالت : أنا بالله ثم بالقاضي ، امرأةٌ من ولد جرير بن عبد الله صاحب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم ، وردَّدت الكلام ، فقال : إيهاً عنك ، الآن من ظلمك ؟ قالت : الأميرُ عيسى بن موسى ، كان لي بستانٌ على شاطىء الفرات ، لي فيه نخلٌ ، ورِثْتُه عن آبائي ، وقاسمتُ إخوتي ، وبنيتُ بيني وبينهم حائطاً ، وجعلت فيه رجلاً فارسياً[3] في بيت يحفظُ لي النخْلَ ويقومُ بِبُسْتاني ، فاشترى الأميرُ عيسى من إخوتي جميعاً وسَامَني فأرْغَبَني فلم أبِعْهُ ، فلما كان في هذه الليلة بعث خمسمائة فاعلٍ فاقتلعُوا الحائط ، فأصبحتُ لا أعرف من نَخْلي[4] شيئاً

(١) شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي الكوفي ، أبو عبد الله : عالم بالحديث فقيه اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته . استقضاه المنصور العباسي على الكوفة سنة ١٥٣ هـ ، ثم عزله . وأعاده المهدي ، فعزله موسى الهادي . وكان عادلاً في قضائه ، مولده في بخارى ، ووفاته بالكوفة . ولد سنة ٩٥ وتوفي سنة ١٧٧ هـ . الأعلام .

(٢) عيسى بن موسى بن محمد العباسي ، ابن أخي السفاح ، أمير من الولاة القادة ، ولاه عمه الكوفة حينما آلت إليهم الدولة سنة ١٣٢ هـ وجعله ولي عهد المنصور ، وكان من ذوي النجدة والرأي ، استنزله المنصور عن ولاية العهد نظير مال وفير وجعله ولي عهد ولده المهدي ، ثم طلب المهدي أن ينزل أيضاً لولده الهادي فلم يقبل ، توفي معتكفاً بالكوفة سنة ١٦٧ هـ . انظر الكامل لابن الأثير ٦/٢٥ ، والطبري ١٠/٨

(٣) وفي رواية فارساً .

(٤) وفي رواية محلتي .

واختلط بنخل إخوتي . قال : يا غلام ! طينَة ، فختم لها خَاتماً ، ثم قال لها : امْضِ به إلى بابه حتى يحضر معك .

فجاءت المرأة بالطينة فأخذها الحاجب ودخل على عيسى ، فقال له : أُعْدِيَ شريكٌ عليك ، قال له : أدْعُ لي صاحبَ الشرطة ، فدعا به ، فقال : امْضِ إلى شريك فقل له : يا سبحان الله ! ما رأيتُ أعجب من أمْرِك ، امرأةٌ ادَّعتْ دَعْوى لم تصحَّ ، أعْدَيْتها عليَّ ؟ فقال : إن رأى الأميرُ أن يُعفِيَني فَلْيفعل ، فقال : امضِ وَيْلَك .

فخرج فأمر غلمانه أن يتقدّموا إلى الحبس بفراشٍ وغير ذلك من آلة الحبس ، فلما جاء وقف بين يدي شريكٍ القاضي فأدّى الرسالة ، فقال لصاحبه : خُذْ بيده فضعْهُ في الحبس ، قال : قد ـ والله يا أبا عبد الله ـ عرفتُ أنك تفعلُ بي هذا ، فَقَدَّمْتُ مايُصْلحني إلى الحبس .

قال : وبلغ عيسى بن موسى ذلك فوجَّه بحاجبه إليه ، فقال : هذا من ذاك ، رسولُ أي شيءٍ أنت ؟ فأدَّى الرسالة ، فألحقه بصاحبه فحُبس .

فلما صلَّى الأميرُ العصرَ بعث إلى إسحاقَ بنِ صَباح الأشْعَثيِّ (١) وإلى جماعة من وجوه الكوفةِ من أصدقاءِ شريك ، فقال : امْضُوا إليه وأبلغوه السَّلام وأَعْلمُوه أنه قد استخفَّ بي ، فإنّي لستُ كالعَامَّة .

فمضَوْا وهو جالسٌ في مسجده بعد العصر ، فدخلوا إليه فأبلغوه الرسالة ، فلما انقضى كلامُهم ، قال لهم : مالي لا أراكُم جئتم في غيره من الناس ؟! من هاهنا من فتيان الحيِّ ؟ فابتدرُوهُ ، فقال : يأخذْ كلُّ واحد منكم بيدِ رجلٍ من هؤلاء فيذهبْ به إلى الحبس ، لابِتُّمْ ـ والله ـ إلا فيه ، قالوا : أجاد أنت ؟ قال : حتى لاتعودوا تَحملُوا رسالةَ ظالم ، فحبسهم .

فركب عيسى بن موسى في الليل إلى باب الحَبْس ففتح الباب وأخذهُم جميعاً ،

---

(١) كان صاحب شريك ووكيله على النظر في المحارم ، ثم تولى قضاء الكوفة من بعده ، انظر أخبار القضاة ١٧٣/٣ ، ١٧٥

فلما كان من الغَدِ وجلس شريكٌ للقضاء ، جاء السَّجَّان وأخبره ، فدعا بالقِمَطْرِ فختمها ووَجَّه بها إلى منزله ، وقال لغُلامه : الْحقْني بثَقلي[1] إلى بغداد ، والله ما طلبنا هذا الأمرَ منهم ، ولكنْ أكرهُونا عليه ، ولقد ضَمِنُوا لنا الإعزازَ فيه .

ومضى نحو قنطرة الكوفة يريد بغداد ، وبلغ عيسى بن موسى الخبرُ ، فركب في موكبه فلحقه وجعل يناشده الله ويقول : ياأبا عبد الله ! تَثَبَّتْ ، انْظُر إخوانَك تحبسْهم ؟ دَعْ أعْواني ، قال : نعم ، لأنَّهُم مَشَوْا لك في أمرٍ لم يَجِبْ عليهم المشْيَ فيه ، ولستُ ببارحٍ أو يُردُّوا جميعاً إلى الحبس ، وإلا مضيتُ من فوري إلى أمير المؤمنين فاستعفيتُه فيما قَلَّدني .

فأمر بردِّهم جميعاً إلى الحبس ، وهو ـ والله ـ واقفٌ مكانه حتى جاءه السَّجَّان ، فقال : قد رجعوا إلى الحبس ، فقال لأعوانه : خُذُوا بلجامه قُودُوه بين يَدَيَّ إلى مجلس الحكم ، فَمَرُّوا به بين يديه حتى دخل المسجد ، وجلس مجلس القضاء ، ثم قال : الجَرِيرِيَّةُ[2] المُتَظَلِّمةُ من هذا ؟ فجاءت ، فقال : هذا خَصْمك قد حضر ، فلمّا جلس معها بين يديه قال : يَخْرجُ أولئك من الحبس قبل كلِّ شيءٍ ، ثم قال : ما تقولُ فيما تَدَّعِيه هذه ؟ قال : صَدَقَتْ ، فقال : تَرُدُّ جميعَ ما أُخِذَ منها إليها وتَبْنِي حائطَها في أسْرع وقت ، كما هدم ، قال : أَفْعَلُ ، أَبقِيَ لكِ شيءٌ ؟ قال : تقول المرأةُ : نعم ، وبيتُ الفارسيِّ ومَتاعُه ، قال : وبيتُ الفارسيّ ومتاعُه ، فقال شريك : أَبقِيَ شيءٌ تَدّعينه عليه ؟ قالت : لا ، وجَزَاكَ الله خيراً ، قال : قُومي ، وَزَبرها ، ثم وثب من مجلسه فأخذ بيد عيسى بن موسى فأجْلَسَه في مَجْلِسِه ، ثم قال : السلام عليك أيها الأمير ، تأمرُ بشيء ؟ قال : بأيِّ شيءٍ آمُر ؟ وضحك[3] .

---

(١) الثقل : متاع المسافر وأغراضه التي تلزمه في السفر .

(٢) وفي نسخة (الجويرية) .

(٣) الجليس الصالح الكافي جـ٢ ص ٤٠ ـ ٤٣ . أخبار القضاة ١/١٧٠

سنان بن ثابت الطبيب[1] يوصي بجكم التركي[2]

سأل بجكم سناناً أن ينحدر إليه واسط ، فانحدر إليه فأكرمه وقال له : إني أريد أن أعتمد عليك في تدبير بدني وفي أمر آخر هو أهم إليّ من أمر بدني وهو أمر أخلاقي لثقتي بعقلك ودينك فقد غمتني غلبة الغضب والغيظ وإفراطهما فيّ حتى أخرج إلى ما أندم عليه عند سكونهما من ضرب وقتل . وأنا أسألك أن تتفقد ما أعمله ، فإذا وقفت لي على عيب لم تحتشم أن تصدقني عنه ، وتنبهني عليه ، ثم ترشدني إلى علاجه .

---

(١) سنان بن ثابت بن قرة الحراني ، أبو سعيد : طبيب عالم . أصله من حران ، ومنشأه ببغداد . كان رفيع المنزلة عند المقتدر بالله العباسي ، وجعله رأساً للأطباء ، وكان منهم ببغداد ثمانمائة وستون طبيباً ، لم يؤذن لأحد منهم باحتراف الطب إلا بعد أن امتحنه سنان . وخدم القاهر بالله ، والراضي العباسيَّيْن مدة ، وتوفي في بغداد . من تصانيفه رسالة في النجوم ، ورسالة في شرح مذهب الصابئين وكتاب التاجي عدة أجزاء في مفاخر الديلم وأنسابهم وغيرها . توفي سنة ٣٣١ هـ . الأعلام .

(٢) كان أمير الجيش ويلقب أمير الأمراء قبل ملك بني بويه ، وكان عاقلاً يفهم بالعربية ولايتكلم بها ، ويقول : أخاف أن أخطىء ، والخطأ من الرئيس قبيح ، وقال : إن كنت لاأحسن العلم والأدب فأحب أن لا يكون في الأرض أديب ولا عالم ولا رأس صناعة إلا في جنبتي وتحت اصطناعي ، وكان قد استوطن واسطاً وقرر مع الراضي بالله أن يحمل إلى خزانته في كل سنة ثمانمائة ألف دينار بعد أن يزيح العلة في مؤنة خمسة آلاف فارس يقيمون بها . وأظهر العدل وكان يقول : نُبِّئت أن العدل أربح للسلطان في الدنيا والآخرة . وكانت أمواله عظيمة فكان يدفنها في داره وفي الصحارى فضاعت بموته الدفائن ، توفي سنة ٣٢٩

فقال له : السمع والطاعة أنا أفعل ذلك ، ولكن يسمع الأمير مني بالعاجل جملة علاج ما أنكره من نفسه إلى أن آتي بالتفصيل في أوقاته .

اعلم أيها الأمير أنك قد أصبحت وليس فوق يدك يد لأحد من المخلوقين منعك منه ، ولا أن يحول بينك وبين ما تهواه أي وقت أردت ، واعلم أن الغيظ والغضب يُحدِثُ في الإنسان سكراً أشد من سكر النبيذ بكثير ، فكما أن الإنسان يعمل في وقت السكر من النبيذ ما لا يعقل به ولايذكره إذا صحا ، ويندم عليه إذا حدث به ويستحي منه ، كذلك يحدث له في وقت السكر من الغيظ بل أشد ، فإذا ابتدأ بك الغضب فضع في نفسك أن تؤخِّر العقوبة إلى غَدٍ واثقاً بأن ما تريد أن تعمله في الوقت لا يفوتك عمله فإنك إذا بتَّ ليلتَك سكنتْ فورةُ غضبك . وقد قيل : أصح ما يكون الإنسان رأياً إذا استدبر ليله واستقبل نهاره . فإذا صحوت من سكرك فتأمل الذي أغضبك وقدم أمر الله عز وجل أولا ، والخوفَ منه وترك التعرض لسخطه ، واشف غيظك بمالايؤثمك فقد قيل : ما شفى غيظه من أثم . واذكر قدرة الله عليك فإنك تحتاج إلى رحمته وإلى أخذه بيدك في أوقات شدائدك فكما تحب أن يغفر لك كذلك غيرك يؤمِّل عفوك ، وفكِّر بأيّ ليلة باتَ المذنب قلقاً لخوفه منك وما يتوقعه من عقوبتك ، واعرف مقدار ما يصل إليه من السرور بزوال الرعب عنه ، ومقدار الثواب الذي يحصل لك بذلك ، واذكر قوله تعالى : ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾[1] وإنما يشتد عليك ذلك مرتين أو ثلاثاً ، ثم تصير عادة لك وخلقاً فيسهل .

فابتدأ بجكم فعمل بما قال له . وعمل بواسط وقت المجاعة دار ضيافة ، وببغداد مارستان . إلا أن مدته لم تطل[2] .

---

(١) سورة النور آية ٢٢

(٢) المنتظم ٦/ ٣٢٠ ـ ٣٢٢/ .

واعظ يعظ ملكشاه[1]

دخل عليه واعظ فحكى له أن بعض الأكاسرة انفرد عن عسكره فجاز على بستان ، فطلب منه ماء ليشرب ، فأخرجت له صبية إناء فيه ماء قصب السكر والثلج فشربه فاستطابه ، فقال : هذا كيف يعمل ؟ فقالت : من قصب السكر يزكو عندنا حتى نعصره بأيدينا فيخرج منه هذا الماء ، فقال : أحضريني شيئاً آخر منه ، فمضت وهي لاتعرفه ، فنوى في نفسه اصطفاء المكان لنفسه وتعويضهم عنه ، فما كان بأسرع من أن خرجت باكية ، فقال لها : مالك ؟ فقالت : نية سلطاننا قد تغيّرت علينا ، فقال لها : من أين علمت ؟ قالت : كنت آخذ من هذا الماء ما أريد من غير تعسّف ، والآن فقد اجتهدت في العصر فلم يسمح ببعض ما كان يخرج عفواً فعلم صدقها ، فقال : ارجعي الآن ، فإنك تلقين الغرض ، ونوى أن لا يفعل ماعزم عليه ، فخرجت ومعها ماشاءت مستبشرة .

---

(1) يكنى أبا الفتح بن أبي شجاع محمد إلب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق الملقب جلال الدولة ، عمر القناطر ، وأسقط المكوس والضرائب وحفر الأنهار الخراب وبنى الجامع الذي يقال له : جامع السلطان ببغداد وبنى مدرسة أبي حنيفة والسوق وبنى منارة القرون من صيوده وهي التي بظاهر الكوفة وبنى مثلها وراء النهر وتذكر مااصطاده بنفسه فكان عشرة آلاف فتصدق بعشرة آلآف دينار ، وقال : إني خائف من الله سبحانه من إزهاق روح لغير مأكله وخطب له من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد اليمن وراسله الملوك ، وكانت السبل في أيامه آمنة ، وكانت نيته في الخير جميلة وكان يقف للمرأة والضعيف ولا يبرح إلا بعد إنصافهم . توفي سنة ٤٨٥ وكان عمره سبعاً وثلاثين سنة ومدة ملكه تسع عشرة سنة . المنتظم ٦٩/٩

فلما حكى الواعظ هذا . قال له السلطان ملكشاه : أنت تحكي لي مثل هذا فلم لا تحكي للرعية أن كسرى اجتاز وحده على بستان ، فقال للناطور : ناولني عنقوداً من الحصرم فقد كظني العظش واستولت علي الصفراء ، فقال له : ما يمكنني فإن السلطان لم يأخذ حقه منه ، فما يمكنني جنايته ، فعجب من حضر ، وكان منهم نظام الملك ، من مقابلة السلطان تلك الحكاية بهذه واستدلوا على قوة فطنته .

وقد سار هذا السلطان من أصبهان إلى انطاكية وعاد إلى بغداد ، فما نقل أن أحداً من عسكره أخذ شيئاً بغير حق [1] .



---

(١) المنتظم ٩/٦٩

المعمَّر بن علي البغّال[1] يعظ الوزير نظام الملك[2]

قال له : الحمد لله وليّ الإنعام ، وصلى الله على من هو للأنبياء ختام ، وعلى آله سُرُج الظلام ، وعلى أصحابه الغرّ الكرام ، والسلام على صدر الإسلام ، ورَضيٍّ الأنام مَنْ زيَّنَه الله بالتقوى ، وختم له بالحسنى ، وجمع له بين خَيريْ الدنيا والآخرة . معلوم ياصدر الإسلام أن آحاد الرعية من الأعيان مخيرون في القاصد والوافد ، إن شاؤوا وصلوا ، وإن شاؤوا فصلوا ، وأمّا من توشَّحَ بولاية فليس مخيراً في القاصد والوافد ، لأن من هو على الخليفة أمير ، فهو في الحقيقة أجير ، قد باع زمنه ، وأخذ ثمنه ، فلم يبق له من نهاره مايتصرف فيه على اختياره ، ولا له أن يصلي نفْلاً ، ولا يدخل معتكفاً ، دون التصدي لتدبيرهم ، والنظر في أمورهم ، لأن ذلك فضل ، وهذا فرض لازم .

---

(١) هو المعمر بن علي بن المعمر بن أبي عمامة ، البغّال ، البغدادي ، أبو سعيد الفقيه ، الواعظ ، ريحانة البغداديين ولد سنة ٤٢٩ سمع من جماعة وكان فقيهاً مفتياً واعظاً بليغاً فصيحاً ، له قبول تام وجواب سريع ، وخاطرٌ حادّ ، وذهن بغدادي وكان يضرب به المثل في حدة الخاطر وسرعة الجواب وطيب الخلق .

(٢) هو الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي أبو علي ، الملقب بقوام الدين ، نظام الملك : وزير حازم عالي الهمة ، أصله من نواحي طوس ، تأدّب بآداب العرب ، وسمع الحديث الكثير ، واشتغل بالأعمال السلطانية ، فاتصل بالسلطان إلب أرسلان فخلفه ولده ملك شاه ، فصار الأمر كله لنظام الملك وليس للسلطان إلا التخت والصيد ، وأقام على هذا عشرين سنة ، وكان من حسنات الدهر ، قال ابن عقيل : كانت أيامه دولة أهل العلم . اغتاله ديلمي على مقربة من نهاوند ، ودفن في أصبهان . الأعلام ٢/٢٠٢

وأنت ياصدر الإسلام وإن كنت وزير الدولة ، فأنت أجير الأمة ، استأجرك جلال الدولة بالأجرة الوافرة ، لتنوب عنه في الدنيا والآخرة ، وتجيب عنه رب العالمين فإنه سيقِفُه بين يديه فيقول له : ملّكتك البلاد ، وقلّدتك أزمّةَ العباد ، فما صنعت في إفاضة البذل ، وإقامة العدل ؟ فلعله يقول : يا ربِّ اخترت من دولتي شُجاعاً عاقلاً ، حازماً فاضلاً ، وسمّيتُه قوام الدين نظام الملك ، وهاهو قائم في جملة الوُلاة ، وبسطت يده في السوط والسيف والعلم ، ومكّنته في الدينار والدرهم ، فاسأله يا رب ماذا صنع في عبادك وبلادك ، أفتحسن أن تقول في الجواب : نعم تقلّدت أمور البلاد ، وملكت أزمة العباد ، وبثثتُ النوال ، وأعطيت الأفضال حتى إذا قربت من لقائك ، ودَنَوْتُ من تلقائك ، اتخذت الأبواب والبَوّاب والحجّاب ، ليصدوا عنى القاصد ، ويردّوا عني الوافد ؟ فاعمر قبرك ، كما عمرت قصرك ، وانتهز الفرصة مادام الدهر يقبل عذرك ، وهذا ملك الهند وهو عابدُ صنم ذهب سمعه فقال : ماحسرتي لذهاب هذه الجارحة من بدني ، ولكن تأسُّفي لصوت المظلوم لا أسمعه لأُغيثَه ، ثم قال : إن كان قد ذهب سمعي فما ذهب بصري ، فليُؤْمَر كلُّ ذي ظُلاَمة أن يلبس الأحْمَرَ ، حتى إذا رأيتُه عرفته فأنصفْتُه . وهذا أنوشروان قال له رسول ملك الروم : لقد أقْدَرْتَ عدوّك عليك بتسهيل الوصول إليك ، فقال : إنما أجلس هذا المجلس لأكشِفَ ظُلاَمة وأقضي حاجة .

وأنت يا صدر الإسلام أحقُّ بهذه المأثرة ، وأولى بهذه وأحْرَىَ مَنْ أعدَّ جواباً لتلك المسألة ، فإن الله الذي ﴿ تكاد السمواتُ يتفطَّرْن منه ﴾[1] في موقف ما فيه إلا خاشع ، أو خاضع ، أو مقنع ، فينخلع منه القلب ، ويحكم فيه الرب ، ويعظم فيه الكرب ، ويشيب فيه الصغير ، ويُعْزَل الملك والوزير ، يوم ﴿ يتذكر الإنسان وأنَّى له الذكرى ﴾[2] ﴿ يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً

---

(١) من الآية ٩٠ من سورة مريم .

(٢) من الآية ٢٣ من سورة الفجر .

وما عملت من سوء تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾[1] وقد استجلبت لك الدعاء ، وخلَّدْت لك الثناء ، مع براءتي من التهمة ، فليس لي بحمد الله في أرض الله تعالى ضيعة ، ولا قرية ، ولابيني وبين أحد خصومة ، ولا لي بحمد الله فقر ولا فاقة .

فلما سمع نظام الملك هذه الموعظة بكى بكاءً شديداً ، وأمَر له بمائة دينار ، فأبى أن يأخذها ، وقال : أنا في ضيافة أمير المؤمنين ومن يكن في ضيافة أمير المؤمنين يقبح أن يأخذ عطاء غيره ، فقال له : فضّها على الفقراء ، فقال : الفقراء على بابك أكثر منهم على بابي ، ولم يأخذ شيئاً[2] .



(1) من الآية ٣٠ من سورة آل عمران .
(2) المنهج الأحمد ١٩١/٢ ـ ١٩٣/. المنتظم ١٧٣/٩

عمرو بن عبيد يعظ أمير البصرة سليمان بن علي الهاشمي[1]

مر عمرو بن عبيد بالمربد وسليمان بن علي الهاشمي مشرف ، وكان أمير البصرة فأمر بإدخاله واستجلسه وقال له : يا أبا عثمان إنا كنا وليس عندنا مما ترى شيئاً فجاء الله به ، فوصلنا الأرحام وأعتقنا الرقاب ، وسقينا المياه ، فقال عمرو : إن مما منَّ الله به على الأمير أنه يعلم أنه ليس له أن يأخذ درهماً إلا من حله ، ولا يضعه إلا في حقه ، فقال سليمان : نحن أحسن بالله ظناً منك ، فقلت في نفسي لا أدعه وإياها فقلت : ما كان أحد أحسن ظناً بالله من محمد ﷺ ، وقد لقي الله تعالى وما يطالبه أحد بمظلمة[2].

* * *

---

(١) سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس : أمير عباسي ، من الأجواد الممدوحين ولاه ابن أخيه (السفاح) إمارة البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان سنة ١٣٣ هـ فأقام فيها إلى أن عزله المنصور سنة ١٣٩ هـ فلم يزل في البصرة إلى أن توفي . ولد سنة ٨٢ وتوفي سنة ١٤٢ هـ . الأعلام .

(٢) الذهب المسبوك ص ٢٣٣

الأمير حميد بن جابر يتعظ

عن إبراهيم بن بشار الصوفي قال : كنت يوماً من الأيام ماراً مع إبراهيم بن أدهم في صحراء إذ أتينا على قبر مسنم ، فترحّم عليه وبكى ، فقلت قبر من هذا ؟ فقال هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدينة كلها كان غارقاً في بحار الدنيا ، فأخرجه الله عز وجل منها ، واستنقذه ، ولقد بلغني أنه سر ذات يوم بشيء من ملاهي ملكه ودنياه وغروره وفتنته ، قال ثم نام في مجلسه هذا مع من يخصه من أهله فرأى رجلاً واقفاً على رأسه بيده كتاب فناوله ، ففتحه ، فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب :

« لا تؤثرن فانياً على باق ، ولا تغترن بملكك وقدرك وسلطانك وخدمك وعبيدك ولذاتك وشهواتك ، فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم ، وهو ملك لولا أن بعده هلك ، وهو فرح وسرور لولا أنه لهو وغرور ، وهو يوم لو كان يوثق فيه بغد ، فسارع إلى أمر الله عز وجل فإن الله تعالى قال : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ ، قال فانتبه فزعاً وقال : هذا تنبيه من الله وموعظة فخرج من ملكه لايعلم به ، وقصد هذا الجبل فتعبد فيه » ، فلما بلغني قصته وحدثت بأمره قصدته فسألته ، فحدثني ببدء أمره وحدثته ببدء أمري ، فما زلت أقصده حتى مات ، ودفن ههنا ، هذا قبره رحمة الله عليه[1].

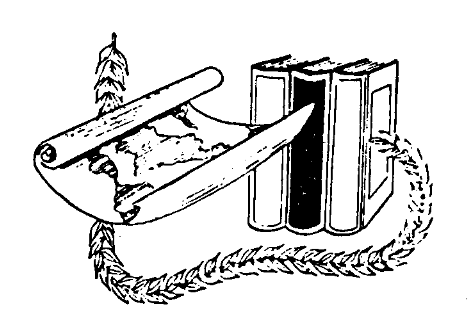
---

[1] الذهب المسبوك ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤

عظة إبراهيم بن أدهم

قال إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم بن أدهم قلت لإبراهيم بن أدهم يا أبا إسحاق : كيف كان أوائل أمرك وخروجك من خراسان إلى بلاد الرمال ؟ قال فقال لي أنت إلى غير هذا أحوج من ذا ، فكررت عليه وقلت لعل الله ينفعني أو كما قال ، فقال لي إبراهيم كان أبي من ملوك خراسان وكنت امرأً مولعاً بالصيد ، قال فركبت فرساً لي يوماً وخرجت إلى الصحراء ، فرأيت أرنباً فركضت فرساً خلفه ، فنوديت يا إبراهيم ما لذا خلقت ولا بذا أمرت ، قال : فلم أر شيئاً فقلت : فعل الله بالشياطين وركضت فرساً ثانية فنوديت يا إبراهيم ما لذا خلقت ولا بذا أمرت ، قال فنظرت يمنة ويسرة فلم أر شيئاً ، فركضت فرساً فنوديت من قربوس حظي يا إبراهيم والله ما لذا خلقت ولا بذا أمرت ، فقلت هذا نذير من رب العالمين ، قال فنزلت عن فرسي وتركت ثيابي التي علي وأخذت من بعض رعائنا مالبسته ، وخرجت فأرض ترفعني وأرض تضعني حتى خرجت إلى بلاد الرمال ، فعملت بها أياماً فلم يصف لي شيء من الحلال فقالوا لي إن أردت الحلال فعليك بطرسوس ، قال فخرجت إلى بلدة يقال لها طرسوس قال وعملت فيها أياماً في بستان لرجل ، قال فدخل علي بعد أيام صاحبه قال فنادى ياناطور ، قال فجئته برمانة فكسرها فوجدها حامضة ، فقال : أنت مذ كذا وكذا في بستاننا تأكل فاكهتنا لاتعرف الحلو من الحامض قال فقلت والله ماأكلت من فاكهتكم ولاأعرف الحلو من الحامض ، قال فقال لي : لو أنك إبراهيم بن أدهم!! .

مازاد على هذا ، قال : وكان فوج يدخل من باب البستان ، وفوج يخرج ، فخرجت في الفوج الذي كان يخرج من البستان فلم أعد إليه ، فهذا كان أوائل أمري وخروجي من بلاد خراسان إلى بلاد الرمال[1].



---

(1) الذهب المسبوك ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥

أبو الوفاء بن عقيل الظهري[1] يعظ عميد الدولة ابن جهير[2]

كتب مرة إلى الوزير عميد الدولة ابن جهير ـ لما بنى سور بغداد ، وأظهر العوام في الاشتغال ببنيانه المنكرات : لولا اعتقادي صحة البعث وأن لنا داراً أكون فيها على حال أحمدها ، لما نصبت نفسي إلى مالك عصري ، وعلى الله أعتمد في جميع أموري ، بعد أن أُشْهده أني محب متعصب ، لكن إذا تقابل دينُ محمد ودولَةُ بني جهير فوالله ماأردت هذه بهذه ، ولو كنت كذلك كنت كافراً فقلت إن هذا الذي جرى بالشريعة لمناصبة واضعها ، فمالنا نعقد الختمات ورواية الأحاديث فإذا نزَلت بنا الحوادث تقدّمْنا بجميع الختمات والدعاء عقيبها ، ثم بعد ذلك طبول وصواني ومخانيت وخيال ، وكشف عورات الرجال ، مع حضور النساء إسقاطاً لحكم الله تعالى .

---

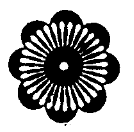
(١) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد ، البغدادي الظفري ، المقرىء الفقيه ، الأصولي الواعظ المتكلم ، أبو الوفاء ، أحد الأعلام وشيخ الإسلام ولد في جمادى الآخرة سنة ٤٣١ وحفظ القرآن وقرأه بالروايات . أفتى ودرس وناظر الفحول . كان قوي الدين حافظاً للحدود ، غزير العلم وكان عظيم الحرمة وافر الجلالة عند الخلفاء والملوك وله تصانيف كثيرة . المنهج الأحمد .

(٢) هو محمد بن الحسين بن علي بن عبد الرحيم ، أبو سعيد ، عميد الدولة : وزير جلال الدولة البويهي ، وزر له ست سنين ولاقى من (المصادرات) ومن (الترك) شدائد فخرج من بغداد مستتراً فأقام بجزيرة ابن عمر حتى مات . وكان فاضلاً عارفاً بأمور الوزارة . وهو وزير ابن وزير ، وأخو ثلاثة وزراء ، هو أفضلهم ، وكان يلقب بشرف الدين ، ويقال له عميد الدولة وعميد الملك . له كتاب في (أخبار الشعراء) قال الصفدي : أبان فيه عن فضل جسيم ومحل كريم ، وله شعر جيد . الأعلام للزركلي .

وما عندي يا شرفَ الدين أن تقوم بسخطة من سخَطَات الله تعالى ، ترى بأيّ وجهٍ تلقى محمداً ﷺ : بل لو رأيته في المنام مغضباً كان ذلك يزعجك في يقظتك ، وأيُّ حرمة تبقى لوجوهنا وأيدينا وألسنتنا عند الله إذا وضعنا الجباه له ؟ ثم كيف نطالب الأجْناد بتقبيل عَتَبة ولَثْم ترابها ، ونُقيم الحدَّ في دهليز الحريم صباحاً ومساء على قَدَح نبيذ مختلف فيه ، ثم تمرحُ العوامُّ في المسكر المُجمَع على تحريمه ؟ هذا مضاف إلى الزنا الظاهر بباب بدر ، ولبس الحرير على جميع المتعلقين والأصحاب .

يا شرف الدين اتقِ سخط الله تعالى ، فإن سخطه لايُقاومه سماء ولاأرض ، وإن فسدت حالي بما قلتُ فلعل الله يلطف بي ويكفيني هوائج الطباع ، ثم لا تلمنا على ملازمة البيوت ، والاختفاء عن العوام ، لأنهم إن سألونا لم نقل إلا مايقتضي الإعظام لهذه القبائح والإنكار لها ، والنياحة على الشريعة .

أترى لو جاءت مَعْتَبَةٌ من الله سبحانه في منامٍ ، أو على لسان نبي أن لو كان للوحي نزول ، أو ألقي إلى روع مسلم بإلهام ، هل كانت إلا إليك ؟ فاتق الله تقوى من علم بمقدار سخطه ، فقد قال : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾[1] . وقد ملأتكم في أعينكم مدائح الشعراء ، ومُداجاة المتمولين بدولتكم الذين خسروا الله فيكم فحسّنوا لكم طرائقكم ، والعاقل من عرف نفسه ، ولا يغيره مدح من لا يخبرها[2] .



(١) من الآية ٥٥ من سورة الزخرف .

(٢) المنهج الأحمد ٢١٨/٢ - ٢٢٠ .

أبو عثمان الواعظ[١] يعظ السلطان نور الدين محمود زنكي[٢]

أنشده أبياتاً تتضمن ما هو متلبس به في ملكه ، وفيه تخويف وتحذير شديد له :

مثِّل وقوفك أيها المغرور	يوم القيامة والسماء تمور
إن قيل نور الدين رحت مسلماً	فاحذر بأن تبقى وما لك نور
أَنَهَيْتَ عن شرب الخمور وأنت في	كأس المظالم طائش مخمور
عطلت كاسات المدام تعففاً	وعليك كاسات الحرام تدور
ماذا تقول إذا نقلت إلى البلى	فرداً وجاءك منكر ونكير ؟
ماذا تقول إذا وقفت بموقف	فرداً ذليلاً والحساب عسير ؟

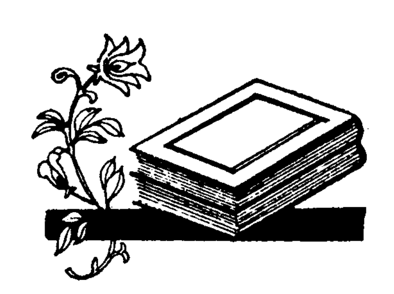
---

(١) أبو عثمان المنتخب ابن أبي محمد الواسطي كان من الصالحين الكبار ، وكان ليس له شيء ولا يقبل من أحد شيئاً . إنما كانت له جبة يلبسها إذا خرج إلى مجلس وعظه ، وكان يجتمع في مجلس وعظه الألوف من الناس .

(٢) هو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن الملك الأتابك قيم الدولة عماد الدين أبي سعيد زنكي ولد سنة ٥١٠ بحلب ونشأ في كفالة والده صاحب حلب والموصل وغيرهما من البلدان الكثيرة ، وتعلم القرآن والفروسية والرمي ، وكان شهماً شجاعاً ذا همة عالية ، وقصد صالح وحرمة وافرة ، فلما قتل أبوه صار الملك إليه . افتتح دمشق وبنى فيها المدارس والمساجد والربط ووسع الطرق والأسواق وغيرها . كان حنفي المذهب يحب العلماء والفقراء ويكرمهم وكان يقوم في أحكامه باتباع الشرع ، أظهر السنة وأمات البدعة وكسر الفرنج وأقطع العرب إقطاعات لئلا يتعرضوا للحجيج وكان حسن الخط كثير المطالعة محافظاً على الجماعة كثير التلاوة محباً لفعل الخير . توفي سنة ٥٦٨ عن ثمان وخمسين سنة .

وتعلّقت فيك الخصوم وأنت في ... يوم الحساب مسلسل مجرور
وتفرّقت عنك الجنود وأنت في ... ضيق القبور موسّدٌ مقبور
وددت أنك ما وليت ولاية ... يوماً ولا قال الأنام أمير
وبقيت بعد العز رهن حفيرة ... في عالم الموتى وأنت حقير
وحشرت عرياناً حزيناً باكياً ... قلقاً وما لك في الأنام مجير
أرضيت أن تحيا وقلبك دارس ... عافى الخراب وجسمك المعمور
أرضيت أن يحظى سواك بقربه ... أبداً وأنت معذَّب مهجور
مهّد لنفسك حجة تنجو بها ... يوم المعاد ويوم تبدو العور

فلما سمع نور الدين هذه الأبيات بكى بكاءً شديداً ، وأمر بوضع المكوس والضرائب عن سائر البلاد .[1]



---

(١) البداية والنهاية ١٢/٢٨٢

الشيخ عبد المغيث بن زهير الحربي[1] يعظ الخليفة الناصر[2]

جاء الناصر لزيارة الشيخ مستخفياً ، فعرفه الشيخ عبد المغيث ولم يُعْلِمْه بأنه قد عرفه ، فسأله الخليفة عن يزيد أيُلعن أم لا ؟ فقال : لا أُسوِّغُ لعنَه لأني لو فتحت هذا الباب لأفضى الناس إلى لَعْنِ خليفتنا . فقال الخليفة : ولِمَ ؟ قال : لأنه يفعل أشياء منكرة كثيرة ، منها كذا وكذا ، ثم شرع يعدد على الخليفة أفعاله القبيحة ، وما يقع من المنكر لينزجر عنها ، فتركه الخليفة وخرج من عنده وقد أثّر كلامه فيه وانتفع به[3] .

---

(١) كان من صلحاء الحنابلة ، وكان يزار ، وله مصنف في فضل يزيد بن معاوية ، أتى فيه بالغرائب والعجائب ، وقدر ردّ عليه أبو الفرج ابن الجوزي فأجاد وأصاب ، مات سنة ٥٨٣

(٢) محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الزناني الكومي الموحّدي الناصر لدين الله ؛ من خلفاء دولة الموحدين ، كان له المغرب الأقصى وإفريقية والأندلس ، بويع له في حياة أبيه ، وجددت له البيعة بعد وفاته سنة ٥٩٥ هـ وكان في مراكش فانتقل إلى فاس ، وثار عليه يحيى بن إسحاق المسوفي المعروف بابن غانية فاستولى على طرابلس والمهدية وتونس ، فقاتله الناصر واستخلصها منه وقتله سنة ٦٠٢ هـ ، وفي أيامه وقعة العقاب المشهورة بالأندلس سنة ٦٠٩ ، واستشهد في هذه الوقعة عدد كبير من المسلمين ، وعاد بعدها إلى مراكش . وتوفي في رباط الفتح . وكان داهية ، من عظماء هذه الدولة . الأعلام .

(٣) البداية والنهاية ٣٢٨/١٢

المفتي المولى علاء الدين علي بن أحمد الجمالي[1] والسلطان سليم

السلطان سليم كان ذا بطش وسفك للدماء ، وسلاب للأرواح ، كان القتل أهون شيء عليه ، خنق إخوته لما خشي أن يزاحموه على الملك وقتل سبعة عشر من أهل بيته ، وسبعة من وزرائه . رد عليه الصدر الأعظم يونس باشا رئيس وزرائه كلمة ، كان الحق فيها مع الوزير ، فأمر بضرب عنقه قبل أن يتم جملته ، ودفن في موضع مصرعه ، في خان يونس بالقرب من غزة ، الذي بناه سميه يونس الدوادار .

ولما ترك للشراكسة في مصر أوقافهم . قال له رئيس وزرائه بري باشا يا مولانا فني مالنا وعساكرنا في حربهم ، وتبقي لهم أوقافهم يستعينون بها علينا ؟ وكانت رِجْل السلطان في الركاب فأشار إلى الجلاد ، فقطع عنق الوزير ، فصار رأسه على الأرض قبل أن يصير السطان على ظهر الفرس حتى صار من أمثال الناس السائرة ، من أراد الموت فليصر وزيراً للسلطان سليم .

---

(١) تولى التدريس والفتوى (مشيخة الإسلام) ستاً وعشرين سنة ، على عهد السلطان بيازيد والسلطان سليم وابنه السلطان سليم القانوني كان عالماً عاملاً يمضي وقته كله في التلاوة والعبادة والدرس والفتوى ، ويصلي الصلوات الخمس مع الجماعة ، وكان كريم النفس طيب الأخلاق عظيم المهابة صداعاً بالحق متخشعاً متواضعاً عفيف اللسان وكان يحب العزلة فجعل مجلسه في غرفة مطلة على الطريق وأدلى منها زنبيلاً (سلة) ربطه بحبل ، فمن كان له سؤال واستفتاء ، ألقى سؤاله في الزنبيل وحرك الحبل ، فأخذه وأجاب عليه وأدلى بالجواب . فعرف بلقب (زنبيلّ زاده علي أفندي) .

وكان الرجل إذا سمي للوزارة كتب وصيته ، وأعدّ كفنه وودع أهله فلا يدري كلما ذهب ليقابل السلطان أيعود ماشياً على رجليه ، أم محمولاً على قفاه .

وفي إحدى المرات وأهل الديوان الملكي في أماكنهم ، وقلوبهم من السلطان في خوف ووجل ، لا يدرون ، أيدعو بأحدهم فيسعده أو يناديه فيبعده ، أو تحل به نزوة من نزواته فتقعده فلا يقوم أبداً . فلم يرع الوزراء وأهل الديوان ، إلا دخول الشيخ المفتي عليهم وما كان من عادة المفتي أن يدخل الديوان ، وليس له فيه حاجة ، فوثبوا إليه يستقبلونه حتى أقعدوه في صدر المجلس ، وقالوا له : أي شيء دعا المولى إلى المجيء إلى الديوان العالي ؟ قال : أريد أن أدخل على السلطان ولي معه كلام . فاستأذنوا له على السلطان فأذن له ، وحده . فدخل وسلّم عليه وجلس ، والسلطان ينظر إليه وقد بدت بوادر الغضب على محياه ، وسكت محنقاً يرقب ما يأتي به الشيخ الذي دخل بلا دعوة ، وجلس أمامه بلا إذن ، فقال الشيخ : وظيفة أرباب الفتوى أن يحافظوا على آخرة السلطان ، وقد أمرت بقتل مائة وخمسين من العمال لا يجوز قتلهم شرعاً فعليك بالعفو عنهم . فطار الغضب بالسلطان من هذه الجرأة عليه ، ولم يعد يبصر من أمامه وكاد يأمر بضرب عنق الشيخ (والأمر بالقتل على طرف لسانه دائما) ثم ضبط نفسه وأراد ردعه ، من غير قتله وقال له : إنك تتعرض لأمر السلطنة وليس ذلك من وظيفتك وأعرض عنه ، وارتقب أن يكف الشيخ وينصرف . ولكن الشيخ قال له : بل أتعرض لأمر آخرتك وإنه من وظيفتي ، ومهما عشت فإنك ميت ، ومعروض على الله ، وواقف بين يديه للحساب ، فإن عفوت فلك النجاة ، وإلا فإن أمامك جهنم ، لا يعصمك منها ملكك ، ولا ينجيك سلطانك .

فما كان من هذا السلطان الجبار إلا أن ذل أمام هذا الشيخ الضعيف ، وعفا السلطان عنهم جميعاً ، وجالس المفتي ساعة يحدثه ويكرمه .

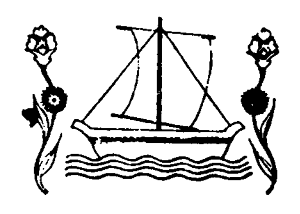
فلما قام ليخرج قال الشيخ : تكلمت في أمر آخرتك ، وبقي لي كلام متعلّق بالمروءة . قال السلطان : ما هو ؟

قال : هؤلاء من خدم السلطان ، فهل يليق بعرض السلطنة أن يتكففوا الناس ؟ .

قال : لا . قال : فأعدهم إلى مناصبهم . قال السلطان : نعم ، إلا أني أعاقبهم لتقصيرهم في خدمتهم . قال : هذا جائز ، لأنّ التعزير مفوض شرعاً إلى أمر السلطان ثم سلم عليه وانصرف .

وهناك موقف آخر له مع السلطان ؛ وهو أنه لما خرج السلطان سليم إلى إدرنه خرج المفتي لوداعه وتشييعه فرأى في الطريق أربعمائة رجل مشدودين بالحبال ، يسوقهم الجند ، فسأل عن حالهم ، فقالوا : إنهم خالفوا أمر السلطان ، فحكم عليهم بالقتل فذهب المفتي إلى السلطان فلقيه وهو راكب ، فقال له على ملأ من الناس . هؤلاء لا يحل قتلهم . فقال السلطان : أيها الشيخ إلى متى تتدخل في أمور السلطنة ؟ الزم حدك واشتغل بوظيفتك ! أمالك وظيفة تقتصر عليها ؟ أما لك عمل تعمله ؟ قال الشيخ : هذه وظيفتي وهذا عملي ، فإن سمعت نجوت ، وإلا لقيت ملكاً هو أقدر عليك ، منك عليهم .

وأدار عنق دابته ومشى بلا تسليم ، فاحمر وجه السلطان ، وكاد يتفجّر منه الدم ، ووقف على فرسه صامتاً مدة طويلة ، وهو في غضب لم يغضب مثله ، والناس كلهم خائفون ، سكوت ، لو ألقيت إبرة على التراب لسُمِعَ صوتها . ثم مشى في طريقه وأمر بالعفو عن القوم .



وصية الغزالي إلى مُجير الدين[1] الوزير في الدولة السلجوقية وإلى فَخْر المُلْك[2]

كتب الإمام أبو حامد الغزالي[3] رحمه الله تعالى إلى مجير الدين الوزير في الدولة السلجوقية . والوزراء يومئذ هم مفتاح الدولة وموجهوها والمباشرون للأمور ، وهم أصحاب الحل والعقد .

إن إغاثة الخلق واجبة على الجميع ، فقد تجاوز الظلم عن الحدود ، ولم أستطع أن أشاهد هذا الظلم ، فهاجرت من طوس[4] ولي سنة ، حتى لا أشاهد هؤلاء الظلمة الذين لا يحملون رحمة ، ولا يرعون حرمة ، وقد ألجأتني بعض الضرورات إلى زيارة البلد[4] فوجدت الظلم مستمراً لم ينقطع .

---

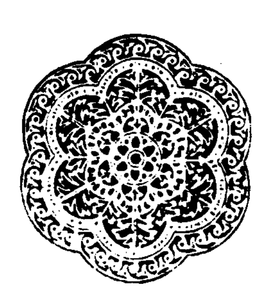
(١) مجير الدين بن تميم = محمد بن يعقوب ٦٨٤
مجير الدين الحنبلي = عبد الرحمن بن محمد ٩٢٨ . الأعلام .

(٢) فَخْر الملك = محمد بن علي ٤٠٧ .
فَخْر المُلْك = علي بن الحَسَن ٥٠٠ . الأعلام .

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أبو حامد حجة الإسلام ، فيلسوف متصوف ، له نحو مائتي مصنف . مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ، وعاد إلى بلدته . نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقول بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف . ولد سنة ٤٥٠ وتوفي سنة ٥٠٥ هـ .

(٤) طوس : مدينة بخراسان بقرب نيسابور ، ذات قرى ومياه وأشجار والمدينة تشتمل على محلتين . يقال لإحداهما : طابران ، والأخرى نوقان . وفي جبالها معادن الفيروزج .

ثم يقول إلى فخر الملك بعد أن ذكر المظالم وسوء أوضاع البلاد فحذره قائلاً : (وقد نصحت للعميد كثيراً ولكنه لم يقبل النصيحة ، وأصبح عبرة للعالمين ونكالاً للآخرين . اعلم يا فخر الملك أن هذه الكلمات لاذعة مرّة قاسية لا يجرؤ عليها إلا من قطع أمله عن جميع الملوك والأمراء ، فاقدرها قدرها فإنك لا تسمعها من غيري ، وكل من يقول غير ذلك فاعلم أن طمعه حجاب بينه وبين كلمة الحق . [1]



---

(1) الإسلام بين العلماء والحكام . عبد العزيز البدري .

موعظة امرأة لأحمد بن طولون[1]

لما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه ، وتوجهوا إلى سيدة من الصالحات ، قيل إنها السيدة (نفيسة رضي الله عنها) وشكوا ذلك إليها . فقالت لهم : متى يركب ؟ قالوا : في غد .

فكتبت رقعة ووقفت في طريقه وقالت : يا أحمد بن طولون .

فلما رآها عرفها ، فنزل عن فرسه ، وأخذ منها الرقعة وقرأ ها فإذا فيها : ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم ، وخُولتم[2] ففسقتم ، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم .

هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة ، لا سيما من قلوب أوجعتموها ، وأكباد أجعتموها ، وأجساد عريتموها ، اعملوا ما شئتم فإنا صابرون ، وجوروا فإنّا بالله مستجيرون[3] واظلموا فإنّا لله متظلمون ﴿ وسيعلم

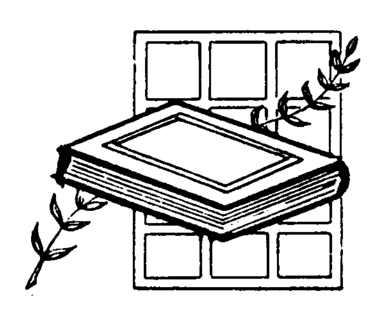
---

(١) أحمد بن طولون أبو العباس الأمير ، صاحب الديار المصرية والشامية والثغور . تركي مستعرب . كان شجاعاً جواداً حسن السيرة ، يباشر الأمور بنفسه ، موصوفاً بالشدة على خصومه . بنى الجامع المنسوب إليه في القاهرة ، ومن آثاره قلعة يافا (بفلسطين) كان أبوه مولى لنوح بن أسد الساماني (عامل بخارى وخراسان) وأهداه نوح في جملة من المماليك إلى المأمون ، فرقاه المأمون وولد له أحمد في سامراء فتفقه وتأدب وتقدم عند الخليفة المتوكل إلى أن ولي إمرة الثغور ودمشق ثم مصر ورحل بجيش إلى أنطاكية فمرض فيها فركب البحر إلى مصر فتوفي فيها . الأعلام .

(٢) أي أعطيتم نعماً وخدماً .

(٣) أي اظلموا فإننا نلتجىء إلى الله ونطلب منه الجوار .

الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾[1] فعدل لوقته[2] .



(1) سورة الشعراء آية ٢٢٧

(2) البيان الفاصل بين الحق والباطل لعلي فكري ص ٣٨٦

شمس الدين المقدسي[1] ينصح الصالح إسماعيل[2]

يا مالكاً لم أجد من نصيحته بُدّاً وفيها دمي أخشاه مُنسفكا
اسمعْ نصيحةَ من أوليتَه نعماً يخافُ كفرانها إن كفَّ أو تركا
والله لا امتدّ ملكٌ قدَّ مالكه على رعيته من ظُلْمِه شَبَكا
ترى الحسودَ به مستبشراً فرحاً مستغرباً من بوادي أمرهَ ضحكا
وزيره ابن غزالٍ والرفيعُ له قاضي القضاة ووالي حربه ابن بكا
وثعلبٌ وفُضَيْلٌ من هما وهما أهلُ المشورة فيما ضاق أو ضنكا
جماعةٌ بهم الآفات قد نشرت والشرعُ قد مات والإسلام قد هلكا
ما راقبوا الله في سرٍّ وفي عَلَنٍ وإنما يرقبون النجم والفلكا
إن كان خيراً ورزقاً واسعاً فلهم أو كان شراً و أمراً سيئاً فلكا[3]

---

(١) محمد بن سعد بن عبد الله بن مفلح بن هبة الله بن نمير شمس الدين الأنصاري الحنبلي المقدسي ، نشأ بقاسيون على الخير والصلاح ، وقرأ القرآن والعربية وسمع الكثير ، وكان ديناً ورعاً ، وبرع في الأدب وحسن الخط وكتب للصالح إسماعيل وللناصر داود ، وطال عمره وروى عنه الدمياطي وغيره توفي سنة ٦٥٠ . فوات الوفيات ٣٥٨/٣

(٢) إسماعيل الصالح ، عماد الدين أبو الخيش بن محمد بن أبي بكر العادل ابن أبو أيوب ، من ملوك الدولة الأيوبية . كان ملكاً شهماً محسناً لحاشيته كثير التجمل تسلط بدمشق سنة ٦٣٥ بعد وفاة صاحبها ، أخيه الأشرف وجاءه الملك الكامل فأخذها منه بعد حصار ورحل إسماعيل إلى بعلبك ثم هاجم دمشق وملكها سنة ٦٣٧ وأجرم بتسليمه قلعة الشقيف للفرنج . قال الذهبي : لغرض في نفسه فمقته المسلمون وأخرجته الخوارزمية من دمشق ثم صالحهم ووالوه وانتهى أمره بالخروج لاجئاً إلى حلب وفيها الناصر ابن أخيه وبينما هو في رحلة معه إلى دمشق أسره بعض رجال صاحب مصر وقتلوه . الأعلام للزركلي .

(٣) فوات الوفيات ٣٥٨/٣

مراجع الكتاب

١ ـ تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، للإمام أبي عبد الله محمد بن علي القلعي ، تحقيق : إبراهيم يوسف مصطفى عجو ـ مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء .

٢ ـ الذهب المسبوك في وعظ الملوك ، لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي ، تحقيق : أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ـ د. عبد الحليم عويس ـ عالم الكتب ، الرياض .

٣ ـ حياة الصحابة ، محمد يوسف الكاندهلوي ـ دار القلم ، دمشق .

٤ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان ، عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني ، تحقيق عبد الله الجبوري ـ مؤسسة الرسالة .

٥ ـ الإسلام بين العلماء والحكام ، عبد العزيز البدري ـ المكتبة العلمية ، المدينة المنورة .

٦ ـ الوصايا الخالدة ، عبد البديع صقر ـ مكتبة وهبة .

٧ ـ رجال من التاريخ ، علي الطنطاوي ـ دار المنارة ، جدة .

٨ ـ تأملات في دروب الحق والباطل ، عبد الله عبد الغني خياط ـ الكتاب العربي السعودي .

٩ ـ مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، الوزير الكاتب أبي نصر الفتح بن خاقان ، تحقيق : محمد علي شوابكة ـ دار عمار ، مؤسسة الرسالة .

١٠ ـ الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، لأبي الفرج معافى بن زكريا النهرواني الجريري ، تحقيق : د. محمد مرسي الخولي ـ عالم الكتب ، بيروت .

١١ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي ، تحقيق : بشار عواد معروف ـ مؤسسة الرسالة .
١٢ ـ فوات الوفيات ، محمد بن شاكر الكتبي ، تحقيق : إحسان عباس ـ دار صادر .
١٣ ـ المحاسن والمساوىء .
١٤ ـ الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء ، لابن الجوزي ، تحقيق : د. فؤاد عبد المنعم أحمد ، مراجعة السيد الصفطاوي ـ مؤسسة شباب الجامعة ، القاهرة .
١٥ ـ نصيحة الملوك للماوردي ، تحقيق : خضر محمد خضر ـ مكتبة الفلاح ، الكويت .
١٦ ـ الأعلام للزركلي ـ طبعة دار العلم للملايين .
١٧ ـ لسان العرب ـ طبعة دار المعارف مصر .
١٨ ـ ترتيب القاموس المحيط ـ طبعة عيسى البابي الحلبي .
١٩ ـ مختار الصحاح .
٢٠ ـ المصباح المنير .
٢١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
٢٢ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر .
٢٣ ـ البيان الفاصل بين الحق والباطل لعلي فكري .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة